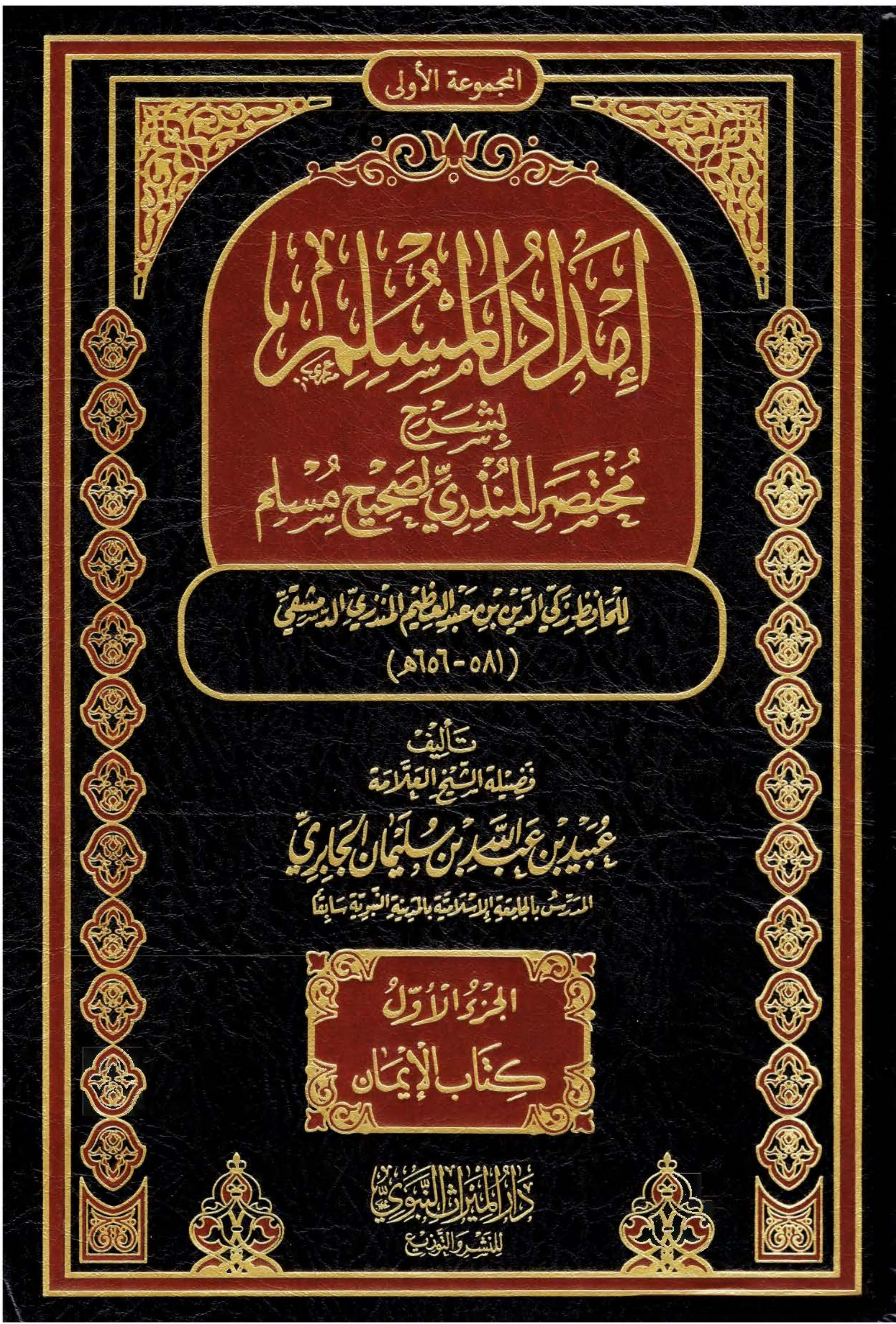
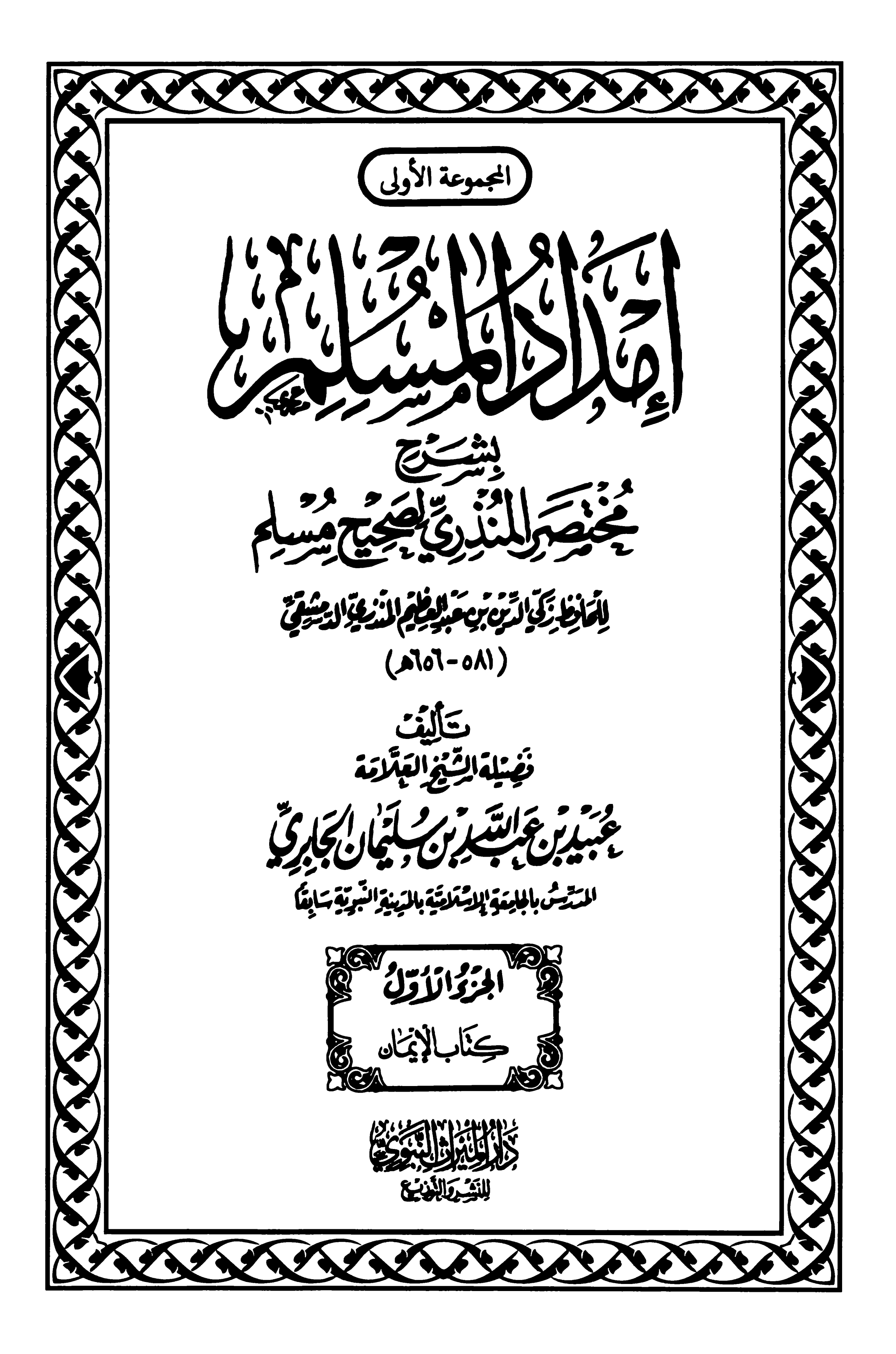

المجموعة الأولى
إمداد المسلم
بشرح
مختصر المنذري لصحيح مسلم
للحافظ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري الدمشقي
(٥٨١-٦٥٦هـ)
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً
الجزء الأول
كتاب الإيمان
دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع



المجموعة الأولى

إمداد المسلم

بشرح

مختصر المنذري لصحيح مسلم

للحافظ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري الدمشقي

(٥٨١ - ٦٥٦هـ)

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

الجزء الأول

كتاب الإيمان

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع



1436هـ-2015م



رقم الإيداع القانوني: 2014-4093
ردمك: 9-077-48-9947-978

التوزيع في مصر : دار المستقبل: 50- شارع منشية التحرير - جسر السويس-
عين شمس - الشرقية - ت : 00201118328377

جدة: مكتبة ميراث الأنبياء :حي الجامعة - مسجد الأمير متعب
ت : 00966562737777

المدينة النبوية: دار النصيحة :حي الفيصلية- أمام الباب الجنوبي
للجامعة الإسلامية - ت : 00966595982046



الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة
الجوال: 554250098(00213) تلفاكس: 26936739(00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخاتم النبيين، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ قد يسر لي النظر في الكتاب النفيس الماتع المتين «مختصر الإمام العلامة الثقة الحجة المتحري الزاهد أبي محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري لصحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحم الله الجميع» فعزمت علىٰ شرح هذا المختصر المنتقىٰ من ذلك الصحيح، وسميته «إمداد المسلم بشرح مختصر المنذري لصحيح مسلم».

سبب التأليف:

وقد حملني علىٰ تأليف هذا الكتاب، الذي أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع به أهل الإسلام عامة وأهل التوحيد والسنة خاصة؛ سببان:

أحدهما: ما تقدم من أن صاحبه هو أبو محمد الإمام المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والثاني: مكانة محقق هذا المختصر عند من يعرف قدره ومنزلته من أهل السنة، وأعني به محدث هذا العصر الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

منهج التأليف:

بلغت أحاديث هذا السفر الماتع العظيم النفيس؛ التي انتقاها مؤلفه المنذري، تسعة وسبعين ومئة حديث وألفين، منتقاة من أحاديث ثاني أصح الكتب بعد كتاب الله وهو «صحيح مسلم» - وأولها «صحيح البخاري» -، فقد أجمع أئمة العلم والدين علىٰ تلقي هذين الصحيحين بالقبول، والعمل بما فيهما جملة.

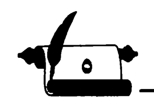
فكان هذا المختصر من ذلك الصحيح لمكانته العالية بين أئمة الحديث؛ جديرًا بالعناية، وقد سلكتُ في شرح هذا المختصر المنهج الآتي:

أولًا: صدَّرتُ مؤلفي هذا بترجمة مختصرة لمنتقيه الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري، وتشتمل علىٰ أمور منها: اسمه ونسبه، وثناء العلماء عليه.

ثانيًا: لخَّصت ما تضمنته مقدمة صاحب المختصر.

ثالثًا: كتبت تراجم المنذري موافقة لمختصره، ورقمتها.

رابعًا: كتبتُ أحاديث كل باب، فإن كان ما في الباب حديث واحد خرَّجته بسنده، محيلًا إلىٰ مكانه في «صحيح مسلم»، وإن كانت الأحاديث أكثر كتبت الأحاديث أولًا مرتبة وفق ما ذكرت في الباب، ثم خرَّجتها بذكر أسانيدها مرتبة



كما سبق.

خامسًا: جعلت شرحي لأحاديث كل باب علىٰ شكل مسائل، كما فعل القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآيات، ومن ثَم جمعتُ تحت كل مسألة - وهي رواية الباب - ما يبين معناها، ويشهد له ويؤكده، سواءٌ كانت تلك الروايات لحديث الباب أو أحاديث صحابةٍ آخَرين، سالكًا مسلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»؛ لأن ذلك من بيان السنة بالسنة، وهذا هو الغالب في الشرح.

سادسًا: تقصَّدت في شرحي للأحاديث النقل عن الأئمة والعلماء في الحديث وغيره فجعلته جُلَّ الشرح، وقد أنقل عن عالمٍ أو أكثر شرحًا كاملًا لبعض المسائل.

ومن أولئك العلماء الذين نقلت عنهم:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفىٰ سنة عشر وثلاثمئة، المعروف عند أهل العلم بشيخ المفسرين.

٢- أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفىٰ سنة ست عشرة وخمسمئة.

٣- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفىٰ سنة أربع وسبعين وسبعمئة.

٤- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفىٰ سنة إحدىٰ وسبعين وستمئة.

٥- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفىٰ سنة خمس وخمسين ومئتين وألف.

٦- أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المتوفىٰ سنة ست وسبعين

وثلاثمئة وألف.

ومن المحدثين:

١- الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفىٰ سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة.

٢- أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري الحزامي النووي المتوفىٰ سنة ست وسبعين وستمئة.

٣- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمري الأندلسي، المتوفىٰ سنة ثلاث وستين وأربعمئة.

والغرض من نقلنا عن هؤلاء الأئمة وغيرهم أسباب كثيرة:

الأول: اعترافي الصريح لأهل السابقة من علماء الإسلام، والأئمة، بالفضل الجزيل عليَّ، يحفزني علىٰ ذلك قوله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(١)].

الثاني: الإسهام في دعوة شباب الإسلام المتطلعين إلىٰ سبل الرشاد والاستقامة، والمتحمسين لسبل الإصلاح والصلاح؛ إلىٰ أن ينهلوا من كتب علماء الإسلام الذين بنوا فقههم علىٰ الكتاب والسنة وتربوا عليهما، وأن لا يغتروا ببريق الكتب الفكرية المعاصرة؛ فإن غالبها مبني علىٰ الجهل بحقائق الدين أصولًا وفروعًا.

الثالث: الدليل علىٰ أن أئمة الإسلام المشهود لهم بالفضل مثل مَنْ سَمَّينا؛

(١) سنن أبي داود، في: الأدب، باب: في شكر المعروف، (٤/ ٢٥٥)، رقم (٤٨١١).

خير من يؤخذ عنهم العلم؛ وذلك لعنايتهم بدواوين الإسلام المعنية بنقل الدين أصولًا وفروعًا.

سابعًا: ميزت شرح المتن بكلمة (ش) وجعلته أسود خفيفًا.

وأمورٌ أخرىٰ يدركها الناظر إن شاء الله تعالىٰ.

ثامنًا: جعلتُ للكتاب خمسة فهارس:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس المراجع.
- فهرس التراجم.
- فهرس الكتب والأبواب.

وضمنت هذا:

أولًا: أحاديث كل باب.

ثانيًا: أهم المسائل الواردة في الشرح.

وهذا الأخير مفرق علىٰ الأجزاء، وأما الأربع الأول فهي في الجزء الأخير من هذا الكتاب إن شاء الله، والله أسأل أن يجعله نافعًا مباركًا ثقيلًا في موازيننا يوم

نلقاه، متقبلًا غير مردود.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

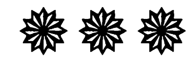
الفقير إلى ربه

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

ضحى يوم الإثنين الخامس عشر من ذي القعدة

عام ثلاثة وثلاثين وأربعمئة وألف

وقد آن الأوان في الشروع في المقصود من تأليفنا شرح هذا الكتاب، والله المستعان وعليه التكلان.





ترجمة مؤلف هذا المختصر
الحافظ المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

❁ **اسمه وكنيته:**

هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري الشامي الأصل، المصري المولد، أبو محمد.

❁ **مولده ونشأته:**

ولد في غرة شعبان سنة إحدىٰ وثمانين وخمسمائة، بفسطاط مصر بكوم الجارح الذي كان يتصل برحبة موقف الطحانين، حيث كانت دارهم هناك.

وكان لوالده الأثر الكبير علىٰ نشأته؛ حيث رغبه في العلم منذ صغره واعتنىٰ به كثيرًا، قال المنذري عن أبيه: (وكان يرغبني في الاشتغال بحديث رسول الله ﷺ ويحضني عليه كثيرًا، ويبذل وسعه في تحصيل ما أسمعه من الكتب، نفعه الله بذلك).

❁ **شيوخه:**

أخذ العلم عن عدة شيوخ، وقرأ القرآن، وتفقه، وسمع الحديث من جمع كثير من الشيوخ منهم: أبو عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي - وهو أول شيخ لقيه -،

ومن عمر بن طبرزذ، ومن أبي الجود غياث المقرئ، وست الكتبة بنت علي بن الطراح، ومن يونس بن يحيىٰ الهاشمي، وجعفر بن محمد بن آموسان، وعلي بن المفضل الحافظ، وعبد المجيب بن زهير الحربي، وإبراهيم بن البتيت، وأبو روح البيهقي، وأبو عبد الله بن البناء الصوفي، وعلي بن أبي الكرم بن البناء الخلال، وأبو المعالي محمد بن الزنف، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، وأبو الفتوح بن الجلاجلي، وأبو المعالي أسعد بن المنجىٰ، وأحمد بن محمد بن سيدهم الأنصاري، وأحمد بن عبد الله السلمي العطار، والشيخ أبو عمر بن قدامة، وداود بن ملاعب، وأبو نزار ربيعة بن الحسن الحضرمي، والإمام موفق الدين بن قدامة، وأبو محمد عبد الله بن عبد الجبار العثماني، وموسىٰ بن عبد القادر الجيلي والعلامة أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس المالكي، والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مجلي، وعبد الجليل بن مندويه الأصبهاني، والواعظ علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري، ونجيب بن بشارة السعدي، وعبد العزيز بن باقا، ومحمد بن عماد، وأبو المحاسن بن شداد، وأبو طالب بن حديد.

❁ تلاميذه ومنصبه:

درَّس المنذري بالجامع الظافري بالقاهرة مدة، ثم وَلِي مشيخة الدار الكاملية، وانقطع بها نحوًا من عشرين سنة، مكبًّا علىٰ التصنيف والتخريج والإفادة والرواية.

وممن سمع منه وحدث عنه: أبو الحسين اليونيني، وأبو محمد الدمياطي، والشرف الميدومي، والتقي عبيد، والشيخ محمد القزاز، والفخر ابن عساكر، وعلم الدين

الداوداري، وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وعبد القادر بن محمد الصعبي، وإسحاق بن إبراهيم الوزيري، والحسين بن أسد بن الأثير، وعلي بن إسماعيل بن قريش المخزومي، والعماد بن الجرائدي، وأبو العباس بن الدفوفي، ويوسف بن عمر الختني، وخلق سواهم، ودرس بالجامع الظافري مدة قبل مشيخة الكاملية.

❁ ثناء العلماء عليه:

قال الشريف عز الدين: كان عديم النظير في معرفة علم الحديث علىٰ اختلاف فنونه، عالمًا بصحيحه وسقيمه، ومعلوله وطرقه، متبحرًا في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، قيمًا بمعرفة غريبه وإعرابه واختلاف ألفاظه، إمامًا، حجة، ثبتًا ورعًا متحريًا فيما يقوله، متثبتًا فيما يرويه.

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإمام العلامة الحافظ المحقق شيخ الإسلام).

وقال: (وكان صالحًا زاهدًا، متنسكًا).

وقال: (وكان متين الديانة، ذا نسك وورع وسمت وجلالة).

وقال: (وكان ثبتًا حجة متبحرًا في علوم الحديث عارفًا بالفقه والنحو، مع الزهد والورع والصفات الحميدة).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإمام العلامة... وكان ثقة حجة متحريًا زاهدًا).

❁ مؤلفاته:

لقد خلَّف المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات كثيرة وآثارًا عديدة، لم تقتصر علىٰ نوع

معين من العلوم، بل تنوعت وتشعبت في شتىٰ العلوم والمعارف، فجمع علمه الوافر وصبَّه في تآليفه الكثيرة، وهاكها مرتبة علىٰ حروف المعجم:

١- أربعون حديثًا في اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم.

٢- أربعون حديثًا في هداية الإنسان لفضل طاعة الإمام والعدل والإحسان.

٣- أربعون حديثًا في الأحكام.

٤- الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام.

٥- تاريخ من دخل مصر.

٦- ترجمة أبي بكر الطرطوشي.

٧- الترغيب والترهيب.

٨- التكملة لوفيات النقلة.

٩- جزء فيمن غفر الله له ما تقدم وما تأخر.

١٠- جزء فيه حديث: «**الطهور شطر الإيمان**».

١١- الجمع بين الصحيحين.

١٢- الخلافيات ومذاهب السلف.

١٣- شرح التنبيه.

١٤- زوال الظما في ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعمىٰ.

١٥- عمل اليوم والليلة.

١٦- مختصر سنن أبي داود.

١٧- المعجم المترجم.

١٨- الموافقات.

١٩- مختصر صحيح مسلم. وهو كتابنا هذا الذي قمنا بشرحه، يسر الله إتمامه.

❁ وفاته:

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت في دار الحديث بالكاملية، في رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن بسطح المقطَّم بمقبرتهم الخاصة، وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة، وقد صلي عليه يوم الأحد في دار الحديث بالكاملية.

❁ مراجع ترجمته:

- تاريخ الإسلام (٤٨/ ٢٦٩).

- تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٣٦ - ١٤٣٨).

- سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١٩).

- العبر (٣/ ٢٨١).

- البداية والنهاية (١٣/ ٢١٢).

- ذيل مرآة الزمان (١/ ٢٤٨).

فوات الوفيات (٢/ ٣٦٦).

- طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٢٥٩).

- طبقات الشافعية لابن شهبة (٢/ ٤٤٢ - ٤٤٤).

- حسن المحاضرة (١/ ٣٥٥).

- مقدمة بشار عواد لكتاب التكملة لوفيات النقلة (١/ ١ - ٤٧).





الجزء الأول

كتـاب الإيمـــان



خطبة الكتاب

الحمد لله الرحيم الغفار، الكريم القهار، مقلِّب القلوب والأبصار، عالم الجهر والإسرار، أحمده حمدًا دائمًا بالعشي والإبكار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُنجي صاحبها من عذاب النار، وأشهد أن محمدًا نبيه المختار، ورسوله المجتبىٰ من أشرف نِجار، صلىٰ الله عليه وعلىٰ أهله وأزواجه وأصحابه الجدراء بالتعظيم والإكبار، صلاةً دائمة باقية بقاء الليل والنهار.

وبعد: فهذا كتاب اختصرته من «صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» اختصارًا يُسهله علىٰ حافظيه، ويقربه للناظر فيه، ورتبته ترتيبًا يُسرع بالطالب إلىٰ وجود مطلبه في مظِنته، وقد تضمن مع صغر حجمه جُلَّ مقصود الأصل.

وإلىٰ الله سبحانه أرغب في أن ينفعني به وقارئه وكاتبه والناظر فيه؛ إنه قريب مجيب.

ش/ ومحصل خطبة الكتاب هذه فيما يأتي:

أولًا: بعد البسملة، البَدء بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مضمنًا جملة من أسمائه، وهذا من حسن الثناء علىٰ الباري جَلَّ وَعَلَا.

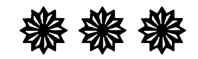
ثانيًا: التثنية بالشهادتين، وهذه سُنة دَرج عليها الجماهير من أئمة العلم والإيمان

والدين، وهذا تنبيه منهم - رحمة الله عليهم - إلىٰ أن الشهادتين هما أصل الدين وأساسه، وأن بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يتم للعبد تجريد الإخلاص لله وحده، وبتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله يتم له تجريد المتابعة لرسوله ﷺ، فالشهادتان متلازمتان، ولا تنفك إحداهما عن الأخرىٰ.

ثالثًا: الصلاة علىٰ النبي ﷺ وآله وأصحابه وذريته، وهذا من تمجيد النبي ﷺ والتعريف بقدر آله وأصحابه وأزواجه وذريته، والثناء علىٰ هؤلاء ومحبتهم وتوليهم والترضي عنهم؛ من أصول أهل السنة التي يدينون لله بها.

رابعًا: الغرض من تأليفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المختصر، وذلك بقوله: (فهذا كتاب اختصرته من صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، اختصارًا يسهله علىٰ حافظيه، ويقربه للناظر فيه، ورتبته ترتيبًا يسرع بالطالب إلىٰ وجود مطلبه في مظنته، وقد تضمن مع صغر حجمه جُلَّ مقصود الأصل).

خامسًا: ختمه بالدعاء له ولقارئه وكاتبه والناظر فيه.





كتابُ الإيمان

قوله: (كتاب الإيمان).

ش/ الكِتَاب: مصدر كتب يكتبُ كتْبًا وكِتابًا وكتابة، فمدار المادة علىٰ الجمع، ومنه تكتَّب القوم علىٰ كذا، أي اجتمعوا عليه، والكتيبة من الجيش الجماعة، وسمي الكتاب كتابًا لما يحتويه ويشتمل عليه من الحروف والكلمات.

والإيمان في اللغة: التصديق، قال تعالىٰ في خبر إخوة يوسف مع أبيهم ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِقِينَ ﴾(١).

وشرعًا: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والمراد من هذه الترجمة الاستدلال علىٰ أن الإيمان عند أهل السنة ذو شُعب وخِصال.



(١) [يوسف: ١٧].



الباب الأول

بابٌ: أول الإيمان قول: «لا إله إلا الله»

قوله: (بابٌ).

ش/ الباب في اللغة: المدخل إلىٰ الشيء، ومنه باب الدار؛ أي: مدخلها.

وشرعًا: جملةٌ من العلم تشتمل علىٰ مسائل وفصول في الغالب.

قوله: (أولُ الإِيمان قول: لا إله إلا الله).

ش/ الشاهد ظاهرٌ من لفظ الحديث.

الحديث الأول

عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس، فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجر، فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «من الوفد - أو: من القوم -؟» قالوا: ربيعة. قال: «مرحبًا بالقوم - أو: بالوفد - غير خزايا ولا الندامىٰ»، قال: فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع. قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده، وقال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟». قالوا: الله ورسوله

أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمسًا من المغنم»، ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت - قال شعبة: وربما قال: النقير - وقال: «احفظوه وأخبروا مِنْ ورائكم».

وزاد ابن معاذ في حديثه عن أبيه قال: وقال رسول الله ﷺ للأشج - أشج عبد القيس -: «إن فيك خصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة».

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر». قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإنك إن لا تراه فإنه يراك». قال: يا رسول الله، متىٰ الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها؛ إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله». ثم تلا ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾. إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[1]. ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) [لقمان: ٣٤].

«ردوا علي الرجل». فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم».

الحديث الثالث

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: هو علىٰ ملة عبد المطلب. وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك». فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في أبي طالب؛ فقال لرسول الله ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾(١).

وأنزل الله تعالىٰ في أبي طالب؛ فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(٢).

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «الأمر بالإيمان

---

(١) [التوبة: ١١٣]. (٢) [القصص: ٥٦].

بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن المثنىٰ ومحمد بن بشار، وألفاظهم متقاربة، قال أبو بكر: حدثنا غندر عن شعبة. وقال الآخران: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي جمرة، فذكره.

وأخرجه البخاري في باب «أداء الخمس من الإيمان»، فالحديث متفق عليه.

ثانيًا: وأخرج حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في باب: «بيان الإيمان والإسلام والإحسان...» إلخ.

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، جميعًا عن ابن علية، قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

ثالثًا: وأخرج حديث سعيد بن المسيب عن أبيه في باب «الدليل علىٰ صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع».

وقال: حدثني حرملة بن يحيىٰ التجيبي، أخبرنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، فذكره.

- **وفي الباب خمسٌ وستون مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن أبي جمرة).

ش/ هو [نصر بن عمران بن عصام الضُّبعي - بضم المعجمة، وفتح الموحدة،

بعدها مهملة - أبو جمرة - بالجيم - البصري، نزيل خراسان، مشهور بكنيته، ثقة ثبت من الثالثة، مات سنة ثمان وعشرين ومئة][1].

❁ المسألة الثانية: قوله: (كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس).

ش/ الترجمان هو الذي يتوسط حلقة التعليم عندهم، فينقل من الشيخ إلىٰ الناس، ومنهم إليه، فهو بمعنىٰ المبلِّغ.

وقوله: (ابن عباس).

ش/ هو [عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمىٰ البحر والحبر؛ لسعة علمه، وقال عمر: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد. مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة ع][2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (نبيذ الجَر).

ش/ النبيذ: اسم مفعول من النَّبْذِ وهو الطرح، وانتبذ الشيء ينتبذه إذا ابتعد منه، فالنبيذ هو طرح التمر أو البُسر في الماء مدة، حتىٰ تصير له نكهة، وهو مباح ما لم يُزْبِد، فإذا أَزْبَدَ وجب نَثْرُه؛ لأنه قد تعفن.

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٥٦١).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٣٠٩).

و(الجَر) واحده جرة، أوانٍ تصنع من الفخار.

وسر السؤال عنها أنها ليست لها مسام تنضح منها؛ ولذا فإن ما انتُبذ فيها يُخشىٰ مع مرور الوقت أن يُعْفِنَ فيصير مسكرًا.

۞ المسألة الرابعة: قوله: (إِنَّ وفد عبد القيس).

ش/ عبد القيس قبيلة من قبائل ربيعة المشهورة.

۞ المسألة الخامسة: قوله: (أتوا رسول الله ﷺ).

ش/ فمجيء هذا الوفد من تلك القبيلة إلىٰ رسول الله ﷺ كان سنة تسع، وتلك السنة معروفة بسنة الوفود؛ لكثرة من أتىٰ رسول الله ﷺ فيها من القبائل.

۞ المسألة السادسة: قوله: (مَنِ الوفد). إلىٰ قوله: (ولا ندامىٰ).

ش/ يتضمن أولًا: تعرف النبي ﷺ علىٰ هذا الوفد.

ويتضمن ثانيًا: جوابهم، وإلىٰ أي حيٍّ ينتسبون من أحياء العرب.

ويتضمن ثالثًا: سجيةً من السجايا الجميلة والخلق الكريم الذي أوتيه رسول الله ﷺ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وإيضاحه أنه رحَّب بهم ثم دعا لهم، وهذا من ملاطفة الضيف وحسن استقباله.

---

(١) [القلم: ٤].

❁ **المسألة السابعة: قوله:** (**يا رسول الله**).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي في الكتاب: (يا نبي الله)(١).

ش/ ولا منافاة بين العبارتين، فبكلتيهما جاء القرآن، قال تعالىٰ: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾(٣).

❁ **المسألة الثامنة: قوله:** (**إنا نأتيك من شقة بعيدة**).

ش/ (**شُقة**) المسافة الطويلة من الأرض؛ وسميت شقة لأنها تشق علىٰ سالكها.

و(**بعيدةٍ**) توكيد.

❁ **المسألة التاسعة: قوله:** (**وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر**).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنا حي من ربيعة وبيننا وبينك كفار مضر).

❁ **المسألة العاشرة: قوله:** (**وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام**).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم**).

ش/ وكلا اللفظين صحيح، ولا منافاة بين الإفراد في حديث الباب والجمع في حديث أبي سعيد، إذ أن (ال) فيهما للعموم.

---

(١) باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله.

(٢) [المائدة: ٦٧]. (٣) [الأحزاب: ٤٥].

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة، إذا نحن أخذنا به).**

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (قال: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع»**.

ش/ فلا غرابة؛ فأولىٰ العبارتين كانت للغَيبة والثانية للخطاب.

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (أمرهم بالإيمان بالله وحده).**

ش/ هذا هو ما اتفقت عليه النبوات والرسالات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟).**

ش/ هذا السؤال يُراد منه إصغاء المخاطَب لما يُلقىٰ عليه من الكلام؛ حتىٰ يَعِيَه، وهو من أساليب التشويق.

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (قالوا: الله ورسوله أعلم).**

ش/ القائل هم وفد عبد القيس، وفي هذا التعبير تفويض جواب السؤال إلىٰ

---

(١) [الأنبياء: ٢٥].

الله وإلىٰ رسوله ﷺ، وهذا غاية في الأدب، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستعملون هذا الأسلوب حين يسألهم النبي ﷺ عن أمر لم يكونوا يعلمونه من قبل.

۞ المسألة السادسة عشرة: قوله: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا**».

ش/ قلت: هذا هو مضمون الشهادتين، وهو إقرار المكلف علىٰ نفسه لله بالوحدانية وأن العبادة هي محض حقه تعالىٰ ولا شِركةَ فيها لأحد، وكذلك إقراره لنبيه ﷺ بالرسالة، فالشهادتان متلازمتان ولا تنفك إحداهما عن الأخرىٰ.

وما أحسن ما قال ابن القيم في هذا الباب:

[«**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**». كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها ارسل الله تعالىٰ رسله، وأنزل كتبه، وشرَّع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلىٰ المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله علىٰ جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتىٰ يسأل عن مسألتين:

ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولىٰ: بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقرارًا وعملًا.

وجواب الثانية: بتحقيق أن محمدًا رسول الله معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعة.

«وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». وأمينه علىٰ وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وحجة علىٰ الخلائق أجمعين، أرسله علىٰ حين فترة من الرسل، فهدىٰ به إلىٰ أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض علىٰ العباد طاعته، وتعزيره، وتوقيره، ومحبته، والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمره، ففي «المسند» من حديث أبي منيب الجرشي عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[1]. وكما أن الذلة مضروبة علىٰ من خالف أمره، فالعزة لأهل طاعته ومتابعته؛ قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]،

---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (٢/ ٥٠) رقم (٥١١٥).

(٢) [آل عمران: ١٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلىٰ أحد](٤). اهـ.

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (وإقام الصلاة).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وأقيموا الصلاة**».

ش/ فالجملة الأولىٰ خبرية والثانية طلبية، وإقام الصلاة هو أداؤها في أوقاتها وبما أمر به الشارع فيها من هيئات من شروط وواجبات، ومن حُسن إقامتها أداؤها في جماعة، والمراد بالصلاة هي الصلاة المكتوبة، وهي الصلوات الخمس.

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (وإيتاء الزكاة).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وآتوا الزكاة**».

ش/ خصَّ الصلاة والزكاة، لأنهما أعظم شعائر الإسلام العملية الظاهرة؛ فالصلاة حق الله علىٰ العبد في بدنه، والزكاة حقه عليه في ماله، فمن أدىٰ هاتين العبادتين؛ سَهُل عليه ما عداهما من شرائع الإسلام.

---

(١) [المناقفون: ٨].
(٢) [محمد: ٣٥].
(٣) [الأنفال: ٦٤].
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٥).

❁ **المسألة التاسعة عشرة: قوله: (وصوم رمضان).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وصوموا رمضان**».

ش/ رمضان هو الشهر الوحيد الذي فرض الله صيامه علىٰ كل مكلَّف مقيم صحيح خالٍ من الأعذار المسوغة للفطر، وقد تضافر علىٰ وجوب صيامه الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. إلىٰ قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾(1) الآية.

ومن السنة المتواترة هذان الحديثان وما هو في معناهما، وهو أشهر من أن يذكر، وأجمع المسلمون علىٰ أنه أحد أركان الإسلام الخمسة.

❁ **المسألة العشرون: قوله: (وأن تؤدوا خُمسًا من المغنم).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وأعطوا الخمس من الغنائم**».

ش/ الغنائم: جمع غنيمة، وهو ما يظفر به المسلمون حال الجهاد من أموال الكفار وذراريهم، والمراد أن هؤلاء الوفد إذا جاهدوا الكفار ونالوا من أموالهم وذراريهم أن يجعلوه خمسة أخماس؛ فأربعة لهم وخُمس يؤدونه لرسول الله ﷺ ومن خلَفه علىٰ أمر المسلمين بعده، وهذه سنة متبعة.

❁ **المسألة الحادية والعشرون: قوله: (ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم**

---

(1) [البقرة: ١٨٥].

والمزفت والنقير[١]».

ش/ فيتحصل من الحديثين: نهي النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذلك الوفد عن الانتباذ في أربع من الأواني، وسِر هذا النهي أن ما انتبُذ فيها يكون مُزبدًا ونتنًا؛ لأنها ليست لها مسام تنضح منها.

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (قال شعبة: وربما قال: النقير).

وفي الأصل: (قال شعبة: وربما قال: المقير)[٢].

❁ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (وقال: احفظوه وأخبروا من وراءكم).

ش/ والمعنىٰ: احفظوا ما أمرتكم به وما نهيتكم عنه، وأخبروا بذلك كله من تَقدُمون عليه من قومكم.

❁ المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (وزاد ابن معاذ في حديثه عن أبيه).

ش/ قلت: ابن معاذ اسمه عبيد الله بن معاذ[٣]، وهذه الزيادة أخرجها المصنف

---

(١) **الدباء:** هو القرع اليابس، أي: الوعاء منه، والحنتم: بفتح المهملة، وهي الجرار الخضر علىٰ أصح الأقوال، والمزفت: المطلي بالقار، وهو المقير، والنقير: هو جذع ينقر وسطه، وقد جاء مفسرًا في حديث أبي سعيد من كلامه ﷺ برقم (١٥).

(٢) كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، (١/ ٤٧) رقم (١٧).

(٣) انظر تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٤).

عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه بإسناده إلىٰ أبي جمرة، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وتلك الزيادة هي: «قال رسول الله ﷺ للأشج - أشج عبد القيس -: **إن فيك لخصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة**».

۞ المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (قال رسول الله ﷺ للأشج - أشج عبد القيس -: إن فيك لخصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: **إن فيك لخصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة**».

زاد أبو سعيد :«وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك. قال: وكنت أَخْبَؤُها حياءً من رسول الله ﷺ».

۞ المسألة السادسة والعشرون: قوله: (الحِلم).

ش/ الحلم ضد الجهل، وفي الحديث: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحلم عليهم ويجهلون علي»، وقد وصف الله نفسه بالحلم في مواضع من كتابه، منها قوله تعالىٰ: ﴿۞قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾(١).

قال ابن جرير رَحِمَهُٱللَّهُ: [وأما قوله: ﴿غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾؛ فإنه يعني: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عما يتصدقون به، ﴿حَلِيمٞ﴾ حين لا يعجل بالعقوبة علىٰ من يَمنُّ بصدقته منكم،

(١) [البقرة: ٢٦٣].

ويؤذي فيها من يتصدق بها عليه][1].

قلت: فبان بذكر الله هذه الصفة دعوة العباد إلىٰ التأسي به فيها.

❁ المسألة السابعة والعشرون: قوله: (الأناة).

ش/ هي التثبت في الأمور وعدم الاستعجال فيها، فكم من عجلةٍ أوقعت المرء فيما لا تحمد عقباه.

❁ المسألة الثامنة والعشرون: قوله: (عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، قيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين ابن ودمة [وذمة، وقيل] ابن هانئ، وقيل: ابن مل، وقيل: ابن صخر، وقيل: عامر بن عبد شمس، وقيل: ابن عمير، وقيل: يزيد بن عشرقة، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد شمس، وقيل: غنم، وقيل: عبيد بن غنم، وقيل: عمرو بن غنم، وقيل: ابن عامر، وقيل: سعيد بن الحارث، هذا الذي وقفنا عليه من الاختلاف في ذلك، ونقطع بأن عبد شمس وعبد نهم غير بعد أن أسلم، واختلف في أيها أرجح؛ فذهب كثيرون إلىٰ الأول، وذهب جمع من النسابين إلىٰ عمرو بن عامر، مات سنة سبع، وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ع][2].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٥٢١).

(٢) تقريب التهذيب (١/ ٦٨٠).

❁ المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس).

وعند البخاري في التفسير: «أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس»(١).

وعنده: «كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس»(٢).

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أي: ظاهرًا لهم غير محتجب عنهم، ولا ملتبس بغيره، والبروز الظهور.

وقد وقع في رواية أبي فروة بيان ذلك؛ فإن أوله: كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه. قال: فبنينا له دكانًا من طين كان يجلس عليه.

واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان يختص به، ويكون مرتفعًا، إذا احتاج لذلك، لضرورة تعليم ونحوه](٣).

❁ المسألة الثلاثون: قوله: (فأتاه رجل).

وفي التفسير: «إذ أتاه رجل يمشي»(٤).

---

(١) البخاري، في: تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، (٦/ ١١٥)، رقم (٤٧٧٧).

(٢) البخاري، في: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، (١/ ١٩)، رقم (٥٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٦).

(٤) سبق تخريجه.

وفي الإيمان: «أتاه رجل»[(١)].

ش/ [أي: ملك في صورة رجل، ولأبي فروة: «فإنا لجلوس عنده إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا، كأن ثيابه لم يمسها دنس».

وعند مسلم من طريق كهمس في حديث عمر: «بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر»[(٢)].

وفي رواية ابن حبان: «شديد سواد اللحية، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه»[(٣)].

وفي رواية لسليمان التيمي: «ليس عليه سحناء السفر، وليس من البلد، فتخطىٰ حتىٰ برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة، ثم وضع يده علىٰ ركبتي النبي ﷺ»[(٤)].

فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله: (علىٰ فخذيه). يعود علىٰ النبي ﷺ،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم، في: الإيمان، باب: الإسلام والإيمان والإحسان، (١/ ٣٦)، رقم (٨).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب: فرض الإيمان، ذكر الإخبار عن وصف الإسلام والإيمان بذكر جوامع شعبهما، (١/ ٣٩٠) رقم (١٦٨).

(٤) كتاب الإيمان، لابن منده، (١/ ١٤٦).

وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية، ورجحه الطيبي بحثًا؛ لأنه نسق الكلام، هذا وإن كان ظاهرًا من السياق، لكن وضعه يديه علىٰ فخذ النبي ﷺ صنيع منبه للإصغاء إليه.

وفيه إشارة لما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره؛ ليقوي الظن بأنه من جفاة الأعراب؛ ولهذا تخطىٰ الناس حتىٰ انتهىٰ إلىٰ النبي ﷺ كما تقدم؛ ولهذا استغرب الصحابة صنيعه؛ ولأنه ليس من أهل البلد، وجاء ماشيًا ليس عليه أثر سفر.

فإن قيل: كيف عرف عمر أنه لم يعرفه أحد منهم؟

أجيب: بأنه يحتمل أن يكون استند في ذلك إلىٰ ظنه أو إلىٰ صريح قول الحاضرين. والثاني أولىٰ كما في رواية عثمان بن غياث؛ فإن فيها: «فنظر القوم بعضهم إلىٰ بعض فقالوا: ما نعرف هذا»، وأفاد مسلم في رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث، فعنده في أوله: قال رسول الله ﷺ: «سلوني. فهابوا أن يسألوه. قال: فجاء رجل»][1]. اهـ من «الفتح».

۞ المسألة الحادية والثلاثون: قوله: (فقال: يا رسول الله).

ش/ [فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟

أجيب: بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو ليبين أن ذلك

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٦، ١١٧).

غير واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي. وهذا الثالث هو الصحيح، كما ثبت في رواية أبي فروة، ففيها: «كأن ثيابه لم يمسها دنس حتىٰ سلم من طرف البساط، فقال: **السلام عليك يا محمد**. فرد عليه السلام. قال: أدنو يا محمد؟ قال: **ادنُ**. فما زال يقول: **أدنو**؟ مرارًا، ويقول له: **ادنُ**». ونحوه في رواية عطاء عن ابن عمر، لكن قال: «**السلام عليك يا رسول الله**»، وفي رواية مطر الوراق فقال: «**يا رسول الله، أدنو منك؟** قال: **ادنُ**»، ولم يذكر السلام؛ فاختلفت الروايات هل قال له: يا محمد أو يا رسول الله؟ هل سلم أو لا؟ فأما السلام فمن ذكره مقدم علىٰ من سكت عنه.

وقال القرطبي: بناءً علىٰ أنه لم يسلم وقال: «يا محمد»؛ إنه أراد بذلك التعمية، فصنع صنيع الأعراب.

ويجمع بين الروايتين: بأنه بدأ أولًا بندائه باسمه لهذا المعنىٰ، ثم خاطبه بقوله: «يا رسول الله». ووقع عند القرطبي أنه قال: «السلام عليكم يا محمد». فاستنبط منه أنه يستحب للداخل أن يعمم بالسلام، ثم يخصص من يريد تخصيصه][1] اهـ.

❁ المسألة الثانية والثلاثون: قوله: (ما الإيمان؟).

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قدم السؤال عن الإيمان؛ لأنه الأصل، وثنَّىٰ بالإسلام؛ لأنه يظهر مصداق الدعوىٰ، وثلث بالإحسان؛ لأنه متعلق بهما، وفي رواية عمارة بن القعقاع بدأ بالإسلام؛ لأنه بالأمر الظاهر، وثنَّىٰ بالإيمان؛ لأنه بالأمر الباطن،

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٧).

ورجح هذا الطيبي لما فيه من الترقي. ولا شك أن القصة واحدة اختلف الرواة في تأديتها، وليس في السياق ترتيب، ويدل عليه رواية مطر الوراق؛ فإنه بدأ بالإسلام، وثنىٰ بالإحسان، وثلث بالإيمان، فالحق أن الواقع أمر واحد والتقديم والتأخير وقع من الرواة، والله أعلم][١].

ش/ قلت: وفيه دليل علىٰ صحة الرواية بالمعنىٰ.

❁ **المسألة الثالثة والثلاثون: قوله: (أن تؤمن بالله)**.

وعند البخاري في التفسير: «**الإيمان أن تؤمن بالله**»[٢].

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [دل الجواب أنه علم أنه سأله عن متعلقاته لا عن معنىٰ لفظه، وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق][٣].

قلت: وهذا في اللغة، أما في الشرع: فهو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

[**وقال الطيبي**: هذا يوهم التكرار وليس كذلك؛ فإن قوله: «**أن تؤمن بالله**». مضمن معنىٰ أن تعترف به؛ ولهذا عداه بالباء، أي: أن تصدق معترفًا بكذا.

قال الحافظ: والتصديق أيضًا يعدىٰ بالباء؛ فلا يحتاج إلىٰ دعوىٰ التضمين.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٧).

وقال الكرماني: ليس هو تعريفًا للشيء بنفسه، بل المراد من المحدود: الإيمان الشرعي، ومن الحد: الإيمان اللغوي.

قال الحافظ: والذي يظهر أنه إنما أعاد لفظ الإيمان للاعتناء بشأنه تفخيمًا لأمره، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(١). في جواب: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(٢).

يعني: أن قوله: (**أن تؤمن**). يحصل منه الإيمان، فكأنه قال: الإيمان الشرعي تصديق مخصوص. وإلا لكان الجواب: الإيمان التصديق. والإيمان بالله هو التصديق بوجوده، وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص](٣).

قلت: كما تضمن الإيمان بربوبيته، وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه، وبألوهيته، وهي عبادته وحده دون مَنْ سواه.

❁ المسألة الرابعة والثلاثون: قوله: (وملائكته).

ش/ الإيمان بالملائكة: هو التصديق بوجودهم، وأنهم كما وصفهم الله تعالىٰ: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾(٤)، وقدَّم الملائكة علىٰ الكتب والرسل نظرًا للترتيب الواقع؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل الملك بالكتاب إلىٰ الرسول؛ ولأن الملائكة موجودون قبل الرسل في الخلق.

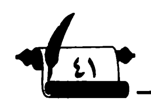
---

(١) [يس: ٧٩].

(٢) [يس: ٧٨].

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٧).

(٤) [الأنبياء: ٢٦].



واعلم أن الملائكة مخلوقون من نور، كما في «صحيح مسلم»: «**خلقت الملائكة من نور**»(١).

❁ **المسألة الخامسة والثلاثون: قوله: (وكتابه).**

ش/ الكتاب: اسم جنس يشمل جميع الكتب المنزلة علىٰ أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ بدليل ما أخرجه المصنف عن عمر: «**وكتبه**»(٢)، وفي الكتاب العزيز: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٣).

والمشهور من كتب الله عَزَّوَجَلَّ:

الأول: التوراة، وهو كتاب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، **قال تعالىٰ**: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾(٤).

الثاني: الزبور، وهو كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، **قال تعالىٰ**: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾(٥).

---

(١) مسلم، في الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة، (٤/ ٢٢٩٤)، رقم (٦٠).

(٢) مسلم، في الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦) رقم (٨).

(٣) [البقرة: ١٧٧].

(٤) [المائدة: ٤٣].

(٥) [النساء: ١٦٣].

الثالث: الإنجيل وهو كتاب عيسىٰ ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾(١).

الرابع: القرآن، واسمه الفرقان؛ لتفريقه بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والكفر والإيمان، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢).

الخامس: صحف إبراهيم ﷺ.

السادس: صحف موسىٰ ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(٣).

والمقطوع به أنه ما من نبي إلا أتاه الله وحيًا، به يهدي قومه إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم، قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٤).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هذه الآية الكريمة قد اشتملت علىٰ جميع ما يجب الإيمان به.

واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام بهذه الأصول، وإقراره

---

(١) [آل عمران: ٤٨].
(٢) [الفرقان: ١].
(٣) [الأعلىٰ: ١٨، ١٩].
(٤) [البقرة: ١٣٦].

المتضمن لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان، وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان؛ دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما؛ كان الإيمان اسمًا لما في القلب من الإقرار والتصديق، والإسلام اسمًا للأعمال الظاهرة، وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة.

فقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ﴾؛ أي: بألسنتكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان، بدون اعتقاد القلب؛ نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل عمل القلب؛ عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر عليه، إذا كان خيرًا ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد والمقترن به عمل القلب.

وفي قوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾. إشارة إلىٰ الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة لها؛ إذ هي أصل الدين وأساسه.

وفي قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾، ونحوه مما فيه صدور الفعل منسوبًا إلىٰ جميع الأمة؛ إشارة إلىٰ أنه يجب علىٰ الأمة الاعتصام بحبل الله جميعًا، والحث علىٰ الائتلاف حتىٰ يكون داعيهم واحدًا، وعملهم متحدًا، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد.

وفي قوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلخ؛ دلالة علىٰ جواز إضافة الإنسان إلىٰ نفسه

الإيمان، علىٰ وجه التقييد، بل علىٰ وجوب ذلك، بخلاف قوله: «أنا مؤمن». ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونًا بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة علىٰ نفسه بالإيمان.

فقوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: بأنه موجود، واحد أحد، متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ يشمل القرآن والسنة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾، فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من صفات الباري، وصفات رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلة، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء، وغير ذلك.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ إلىٰ آخر الآية؛ فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة علىٰ جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عمومًا وخصوصًا ما نص عليه في الآية؛ لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار، فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب؛ أن يؤمن بهم علىٰ وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل وجب الإيمان به مفصلًا.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه علىٰ دين.

فاليهود والنصارىٰ والصابئون وغيرهم - وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون

به من الرسل والكتب - فإنهم يكفرون بغيره، فيفرقون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم؛ فإن الرسول الذي زعموا أنهم قد آمنوا به؛ قد صدق سائر الرسل وخصوصًا محمدًا ﷺ، فإذا كذبوا محمدًا؛ فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرًا برسولهم.

وفي قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾. دلالة علىٰ أن عطية الدين هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية؛ لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.

وفي قوله: ﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾. إشارة إلىٰ أنه من كمال ربوبيته لعباده؛ أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدًىٰ ولا هملًا.

وإذا كان ما أوتي النبيون إنما هو من ربهم؛ ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه؛ فالرسل لا يدعون إلا إلىٰ الخير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم يصدق الآخر، ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض؛ لكونه من عند ربهم؛ ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾، وهذا بخلاف من ادعىٰ النبوة؛ فلا بد أن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه.

فلما بيَّن تعالىٰ جميع ما يؤمن به، عمومًا وخصوصًا، وكان القول لا يغني عن العمل؛ قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة؛ بدليل تقديم المعمول وهو ﴿لَهُۥ﴾، علىٰ العامل وهو ﴿مُسْلِمُونَ﴾.

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة - علىٰ إيجازها واختصارها - علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

واشتملت علىٰ الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلىٰ التخصيص الدال علىٰ الفضل بعد التعميم، وعلىٰ التصديق بالقلب واللسان والجوارح، والإخلاص لله في ذلك، وعلىٰ الفرق بين الرسل الصادقين ومن ادعىٰ النبوة من الكاذبين، وعلىٰ تعليم الباري عباده كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهدًىٰ ورحمة لقوم يؤمنون][١].

❁ المسألة السادسة والثلاثون: قوله: (ولقائه).

وفي حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**واليوم الآخر**»[٢].

ش/ والجامع بينهما أن اليوم الآخر هو يوم لقاء العباد بربهم، ولقائه بهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٦٧).

(٢) مسلم، في الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦) رقم (٨).

للحساب والجزاء، فيوفي كل عاملٍ بعمله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾(١)، وفي الإسراء: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٢).

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، فيما روىٰ عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **«يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**(٣).

۞ المسألة السابعة والثلاثون: قوله: (ورسله).

ش/ الرسل جمع رسول، فَعُولٌ بمعنىٰ: مُفْعَل، أي: مرسل. وهو **في اللغة** بمعنىٰ: من بعث برسالة.

وشرعًا: رجلٌ من بني آدم أوحىٰ الله إليه بشرع، وأمره بتبليغه.

[ووقع في حديث أنس وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **«والملائكة والكتاب والنبيين»**، وكل من السياقين في القرآن في البقرة خاصة](٤).

---

(١) [النجم: ٣١].

(٢) [الإسراء: ١٣، ١٤].

(٣) مسلم، في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٤)، رقم (٢٥٧٧).

(٤) فتح الباري (١/ ١١٨).

والإيمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، ودل الإجمال في ذكر الرسل علىٰ الاكتفاء بذلك في الإيمان بهم من غير تفصيل، إلا من ثبتت تسميته فيجب الإيمان به علىٰ التعيين، وفي الكتاب العزيز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾(١)، فالواجب الإيمان بجميع رسل الله من سمىٰ الله منهم؛ مثل: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وهود وصالح وشعيب ومحمد - صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين -، ومن لم يسمِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾(٢).

❁ المسألة الثامنة والثلاثون: قوله: (وتؤمن بالبعث الآخر).

وفي حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**واليوم الآخر**»(٣).

ش/ فأما البعث الآخر فقيل: ذُكر «الآخِر» تأكيدًا، كقولهم: أمس الذاهِب. وقيل: لأن البعث وقع مرتين:

الأولىٰ: الإخراج من العدم إلىٰ الوجود، أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلىٰ الحياة الدنيا.

الثانية: البعث من بطون القبور إلىٰ محل الاستقرار، وأما اليوم الآخر فقيل له

---

(١) [البقرة: ٢٨٥].

(٢) [النساء: ١٦٤].

(٣) سبق تخريجه.

ذلك؛ لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة.

والمراد بالإيمان به: التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله، مما يقع فيه من الحشر والجزاء والحساب، وغير ذلك؛ مثل: الجنة والنار، والحوض، والصراط، والقنطرة التي يقف عليها أهل الجنة؛ لتنقيتهم وتهذيبهم.

❁ المسألة التاسعة والثلاثون: قوله: (يا رسول الله، ما الإسلام؟).

وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام**»(١).

ش/ قلت: والمراد به السؤال عن الإسلام الشرعي الديني، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهذا هو ما جاءت به النبيون والمرسلون من لدن نوحٍ أولهم إلىٰ محمد خاتمهم - صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين -؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣).

وفي الحديث الصحيح: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**»(٤)، وأخرج أحمد وغيره عن

---

(١) سبق تخريجه. (٢) [الأنبياء: ٢٥]. (٣) [النحل: ٣٦].

(٤) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، (٤/ ١٦٧)، رقم (٣٤٤٣).

زر بن حبيش، عن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أمرني أن أقرأ عليك**. قال: فقرأ عليَّ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾(١). **إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية**»(٢) الحديث.

فإياك أيها المسلم أن تغتر بدعوة التقريب بين الإسلام دين الله الحق واليهودية والنصرانية، فالآيات وهذه الأحاديث نصٌّ صريح في أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يبعث نبيًّا ولا رسولًا إلا بالإسلام، وقد مضىٰ تعريفه.

س/ وإن قال قائل: كيف تصنعون بقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٣)؟

فالجواب: أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - متفقون علىٰ أن دينهم الذي بعثهم الله به إلىٰ أممهم دين واحد وهو الإسلام، وإن اختلفت شرائعهم، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تفسير الآية: (سبيلًا وسنة)(٤).

---

(١) [البينة: ١ - ٣].

(٢) مسند أحمد، حديث زر بن حبيش عن أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، (٥/ ١٣٣)، رقم (٢١٢٤١).

(٣) [المائدة: ٤٨].

(٤) البخاري، في الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ خمس**» (١/ ١٠)، وأخرجه الطبري في تفسير سورة المائدة، (١٠/ ٣٨٥).

۞ المسألة الأربعون: قوله: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا).

وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ**»[١].

ش/ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة الله؛ فيكون عطف الصلاة وغيرها عليها لإدخالها في الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا؛ فيدخل فيه جميع الوظائف، فعلىٰ هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من عطف الخاص علىٰ العام.

وتعقبه الحافظ فقال: أما الاحتمال الأول فبعيد؛ لأن المعرفة من متعلقات الإيمان، وأما الإسلام فهو أعمال قولية وبدنية، وقد عبر في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، فدل علىٰ أن المراد بالعبادة في حديث الباب النطق بالشهادتين، وبهذا تبين دفع الاحتمال الثاني، ولما عبر الراوي بالعبادة احتاج أن يوضحها بقوله: «**ولا تشرك به شيئًا**». ولم يحتج إليها في رواية عمر؛ لاستلزامها ذلك][٢].

ش/ قلت: وفي هذا دليل علىٰ أنه لا بد في العبادة من الإخلاص لله وحده، وقد تبين ذلك بقول النبي ﷺ في آخر الحديث: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٩).

دينهم». وفي الحديث: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

س/ فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر الحج؟

[**أجاب بعضهم**: باحتمال أنه لم يكن فُرِض، وهو مرجوح بما رواه ابن منده في كتاب الإيمان بإسناده الذي علىٰ شرط مسلم، من طريق سليمان التيمي في حديث عمر، أوله: «أن رجلًا في آخر عمر النبي ﷺ جاء إلىٰ رسول الله ﷺ...»، فذكر الحديث بطوله، وآخر عمره يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع؛ فإنها آخر سفراته، ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات، وكأنه إنما جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين التي بلغها متفرقة في مجلس واحد؛ لتنضبط ويستنبط منه جواز سؤال العالم ما لا يجهله السائل، ليعلمه السامع.

وأما الحج فقد ذكر؛ لكن بعض الرواة إما ذهل عنه وإما نسيه، والدليل علىٰ ذلك اختلافهم في ذكر بعض الأعمال دون بعض؛ ففي رواية كهمس: «**وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**». وكذا في حديث أنس، وفي رواية عطاء الخرساني لم يذكر الصوم، وفي حديث أبي عامر ذكر الصلاة والزكاة حسب، ولم يذكر في حديث ابن عباس مزيدًا علىٰ الشهادتين، وذكر سليمان التيمي في روايته الجميع، وزاد بعد قوله: «**وتحج وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتتم الوضوء**»، وقال مطر الوراق في روايته: «**وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة**»؛ قال: فذكر عرىٰ الإسلام؛ فتبين أن بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره][1] اهـ، من «الفتح».

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٩، ١٢٠).

❁ **المسألة الحادية والأربعون: قوله: (وتقيم الصلاة المكتوبة).**

ش/ تقدم شرحه في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

❁ **المسألة الثانية والأربعون: قوله: (وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان).**

ش/ يأتي الكلام عليه في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**بني الإسلام علىٰ خمس**»[(١)].

❁ **المسألة الثالثة والأربعون: قوله: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تراه فإنه يراك).**

وعند البخاري: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)].

ش/ قوله: (الإحسان): هو مصدر، تقول: أحسن يحسن إحسانًا، ويتعدىٰ بنفسه وبغيره، تقول: أحسنت كذا؛ إذا أتقنته، وأحسنت إلىٰ فلان؛ إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلًا محسن بإخلاصه إلىٰ نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال، حال التلبس بها، ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلىٰ حالتين:

أرفعهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتىٰ كأنه يراه بعينه، وهو قوله: «**كأنك تراه**»؛ أي: وهو يراك.

والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلعٌ عليه يرىٰ كل ما يعمل، وهو قوله: «**فإنه**

(١) في الباب الأربعين من المختصر، باب: بني الإسلام علىٰ خمس.

(٢) البخاري، في: تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، (٦/ ١١٥)، رقم (٤٧٧٧).

يراك».

وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله، وخشيته، وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله: «**أن تخشىٰ الله كأنك تراه**»(١). وكذا في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [معناه: أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك؛ لكونه يراك لا لكونك تراه، فهو دائمًا يراك؛ فأحسن عبادته، وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر علىٰ إحسان العبادة؛ فإنه يراك.

قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلىٰ مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من التلبس بشيء من النقائص؛ احترامًا لهم واستحياءً منهم](٢) اهـ من «الفتح».

تنبيه:

في قوله: (أن تعبد الله): فيه دليل علىٰ أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة، وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله ﷺ: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتىٰ تموتوا**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه. (٢) فتح الباري (١/ ١٢٠).

(٣) فتح الباري (١/ ١٢٠)، قلت: وخرجه ابن ماجه في الفتن، باب: فتنة الدجال، وخروج عيسىٰ ابن مريم، وخروج يأجوج، ومأجوج (٢/ ١٣٥٩) رقم (٤٠٧٧).

❁ **المسألة الرابعة والأربعون: قوله: (يا رسول الله، متىٰ الساعة؟).**

وفي حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «**فأخبرني عن الساعة**»[١].

ش/ أي: متىٰ تقوم الساعة؟ وصرح به في رواية عمارة بن القعقاع، واللام للعهد، والمراد: يوم القيامة.

❁ **المسألة الخامسة والأربعون: قوله: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل).**

ش/ (ما) نافية، وزاد في رواية أبي فروة: «فنكس فلم يجبه، ثم أعاد فلم يجبه، ثلاثًا، ثم رفع رأسه، فقال: **ما المسئول**»[٢].

قوله: (بأعلم). الباء صلة واقعة في خبر (ما) لتأكيد النفي، وهذا وإن كان مشعرًا بأن كلًّا منهما ليس له علم بوقتها كما يوضحه قوله بعد: «**خمس لا يعلمها إلا الله**»، وفي حديث ابن عباس هنا: فقال: «**سبحان الله! خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله**»، ثم تلا الآية.

[**قال النووي** رَحِمَهُٱللَّهُ: يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، ولا يكون في ذلك نقص من مرتبته، بل يكون ذلك دليلًا علىٰ مزيد ورعه.

وقال القرطبي: مقصود هذا السؤال كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة؛ لأنهم قد أكثروا السؤال عنها، كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المجتبىٰ من السنن للنسائي، في الإيمان وشرائعه، باب: صفة الإيمان والإسلام، (٨/ ١٠١) رقم (٤٩٩١).

فلما حصل الجواب بما ذكر هنا؛ حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الأسئلة الماضية؛ فإن المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونبه بهذه الأسئلة علىٰ تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن.

قوله: (مِن السائل)؛ عدل عن قوله: لست بأعلم بها منك. إلىٰ لفظ يشعر بالتعميم تعريضًا للسامعين؛ أي أن كل مسؤول وكل سائل فهو كذلك لا يعلم وقت قيام الساعة][1].

❁ المسألة السادسة والأربعون: قوله: (ولكن سأحدثك عن أشراطها).

وفي حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فأخبرني عن أمارتها**»[2].

وعند البخاري في التفسير: «**سأحدثك عن أشراطها**»[3].

وفي رواية أبي فروة: «**ولكن لها علامات تعرف بها**»[4].

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فحصل التردد، هل ابتدأه بذكر الأمارات أو السائل سأله عن الأمارات، ويجمع بينهما بأنه ابتدأ بقوله: «**وسأخبرك**». فقال له السائل: «**فأخبرني**». ويدل علىٰ ذلك رواية سليمان التيمي، ولفظها: «**ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها. قال: أجل**»، ونحوه في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وزاد: «**فحدثني**».

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وقد حصل تفصيل الأشراط من الرواية الأخرىٰ، وأنها العلامات، وهي بفتح الهمزة جمع شرط بفتحتين، كقلم وأقلام.

ويستفاد من اختلاف الروايات أن التحديث والإخبار والإنباء بمعنًىٰ واحد، وإنما غاير بينها أهل الحديث اصطلاحًا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامات الساعة علىٰ قسمين: ما يكون من نوع المعتاد أو غيره، والمذكور هنا الأول، وأما الغير مثل طلوع الشمس من مغربها، فتلك مقاربة لها أو مضايقة، والمراد هنا العلامات السابقة علىٰ ذلك، والله أعلم](١) اهـ.

❁ المسألة السابعة والأربعون: قوله: (إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها).

وفي حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أن تلد الأمة ربتها**»(٢).

وفي البخاري: «**إذا ولدت المرأة ربتها**»(٣).

ش/ والمعنىٰ: أن من علامات الساعة ولادة الأمة من هو مالكٌ لها في الأصل، كأن يكون سيدها ملكًا أو أميرًا فتلد منه.

❁ المسألة الثامنة والأربعون: قوله: (وإذا كانت العراة الحفاة رءوس الناس، فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان، فذاك من أشراطها).

وفي حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون**

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢١).

(٢، ٣) سبق تخريجه.

في البنيان»[١].

وعند البخاري: «**وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس**»[٢].

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [والمراد بهم أهل البادية، كما صرح به في رواية سليمان التيمي وغيره، قال: «ما الحفاة العراة؟ قال: **العريب**»، وهو بالعين المهملة علىٰ التصغير.

وفي الطبراني من طريق أبي حمزة، عن ابن عباس مرفوعًا: «**من انقلاب الدين تفصح النبط واتخاذهم القصور في الأمصار**».

قال القرطبي: المقصود: الإخبار عن تبدل الحال؛ بأن يستولي أهل البادية علىٰ الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر؛ فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلىٰ تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان، ومنه الحديث الآخر: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع**»، ومنه: «**إذا وسد الأمر** - أي أسند - **إلىٰ غير أهله؛ فانتظروا الساعة**». وكلاهما في الصحيح][٣].

۞ المسألة التاسعة والأربعون: قوله: (في خمس لا يعلمهن إلا الله).

ش/ [أي: علم وقت الساعة داخل في جملة خمس، وحذف متعلق الجار سائغ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾[٤]. أي: اذهب إلىٰ فرعون بهذه الآية في جملة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (١/ ١٢٣).

(٤) [النمل: ١٢].

﴿تِسۡعَ ءَايَٰتٍ﴾، وفي رواية عطاء الخرساني قال: «**فمتىٰ الساعة؟ قال: هي في خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله**»][١].

❁ **المسألة الخمسون: قوله: (ثم تلا ﷺ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾)[٢].

ش/ هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالىٰ بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالىٰ له بها.

فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا يجليها لوقتها إلا هو، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها.

قوله: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحدٍ بذلك، وهذا بيان لقوله تعالىٰ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ الآية[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾؛ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) [لقمان: ٣٤].

(٣) [الأنعام: ٥٩].

أحد سواه، إنه ذو علم بكل شيء لا يخفىٰ عليه شيء، خبير بما هو كائن وما قد كان.

❁ المسألة الحادية والخمسون: قوله: (ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: ردوا علي الرجل).

والبخاري: «**ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا علي**»[(١)].

وعنده: «**ثم أدبر فقال: ردوه**»[(٢)].

ش/ [**وفيه**: أن المَلَك يجوز أن يتمثل لغير النبي ﷺ، فيراه ويتكلم بحضرته، وهو يسمع، وقد ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة، والله أعلم][(٣)].

❁ المسألة الثانية والخمسون: قوله: (فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئًا).

ش/ والمعنىٰ: أن القوم انطلقوا في إثر ذلك السائل بأمر النبي ﷺ، فلم يروه ولم يدركوه؛ لأنه ملك.

❁ المسألة الثالثة والخمسون: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم).

وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثم انطلق فلبثت مليًّا، ثم قال لي: يا عمر، أتدري**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، في الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (١/ ١٩) رقم (٥٠).

(٣) فتح الباري (١/ ١٢٤).

من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١].

وعند البخاري في «التفسير»: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**»[٢]. وكذا في «الإيمان» دون لام التعليل.

ش/ [وللإسماعيلي: «**أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا**». ومثله لعمارة، وفي رواية أبي فروة: «**والذي بعث محمدًا بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل**»، وفي حديث أبي عامر: «ثم ولىٰ فلما لم نرَ طريقه. قال النبي ﷺ: **سبحان الله! هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم، والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط إلا وأنا أعرفه، إلا أن تكون هذه المرة**»، وفي رواية التيمي: «ثم نهض فولىٰ، فقال رسول الله ﷺ: **علي بالرجل**. فطلبناه كل مطلب فلم نقدر عليه، فقال: **هل تدرون من هذا؟ هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه؛ فوالذي نفسي بيده، ما شبه علي منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتىٰ ولىٰ**»[٣]][٤].

قال ابن حبان عقبه: تفرد سليمان التيمي بقوله: «**خذوا عنه**».

فتعقبه الحافظ بقوله: [وهو من الثقات الأثبات. وفي قوله: «**جاء ليعلم الناس دينهم**». إشارة إلىٰ هذه الزيادة، فما تفرد إلا بالتصريح، واتفقت هذه الروايات علىٰ

(١، ٢) تقدم تخريجه.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، في الإيمان، باب: فرض الإيمان، ذكر البيان بأن الإيمان والإسلام شعب وأجزاء، (١/ ٣٩٩)، رقم (١٧٣).

(٤) فتح الباري (١/ ١٢٤).

أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بشأنه بعد أن التمسوه فلم يجدوه][1].

تنبيهات:

أولًا: [ما وقع عند مسلم وغيره من حديث عمر في رواية كهمس: «ثم انطلق، قال عمر: فلبثت مليًّا، ثم قال: **يا عمر، أتدري من السائل؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل**»، فقد جمع بين الروايتين بعض الشراح بأن قوله: «فلبثت مليًّا» أي: زمانًا بعد انصرافه؛ فكأن النبي ﷺ أعلمهم بذلك بعد مضي وقت، ولكنه في ذلك المجلس، لكن يعكر علىٰ هذا الجمع قوله في رواية النسائي والترمذي: «فلبثت ثلاثًا» لكن ادعىٰ بعضهم فيها التصحيف وأن (مليًّا) صغرت ميمها فأشبهت (ثلاثًا)؛ لأنها تكتب بلا ألف، وهذه الدعوىٰ مردودة؛ فإن في رواية أبي عوانة: «فلبثنا ليالي، فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث»، ولابن حبان: «بعد ثالثة»، ولابن منده: «بعد ثلاثة أيام».

وجمع النووي بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبي ﷺ في المجلس، بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر، ولم يرجع مع من رجع لعارض عرض له، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، ولم يتفق الإخبار لعمر إلا بعد ثلاثة أيام، ويدل عليه قوله: «فلقيني»، وقوله: «فقال لي: **يا عمر**»؛ فوجه الخطاب له وحده بخلاف إخباره الأول، وهو جمع حسن][2] حكاه الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح الباري (١/ ١٢٤، ١٢٥).

ثانيًا: [قال ابن المنيِّر: في قوله: «**يعلمكم دينكم**». دلالة علىٰ أن السؤال الحسن يسمىٰ علمًا وتعليمًا؛ لأن جبريل لم يصدر منه سوىٰ السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلمًا، وقد اشتهر قولهم: «حُسن السؤال نصف العلم». ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث؛ لأن الفائدة فيه انبنت علىٰ السؤال والجواب معًا][1] حكاه الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثالثًا: [قال القرطبي: هذا الحديث يصلح أن يقال له: أم السنة؛ لما تضمنه من جمل علم السنة.

وقال الطيبي: لهذه النكتة استفتح به البغوي كتابيه: «المصابيح» و«شرح السنة»؛ اقتداءً بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة؛ لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالًا.

وقال القاضي عياض: اشتمل هذا الحديث علىٰ جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان ابتداءً وحالًا ومآلًا، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتىٰ إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه][2] حكاه الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ المسألة الرابعة والخمسون: قوله: (عن سعيد بن المسيب).

ش/ هو [سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢٥).

(٢) المصدر السابق.

الثانية، اتفقوا علىٰ أن مراسيله أصح المراسيل، وقال ابن المديني: «لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه»، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين ع][١].

❁ **المسألة الخامسة والخمسون: قوله: (عن أبيه).**

ش/ هو: [المسيب بن حزن - بفتح المهملة وسكون الزاي - ابن أبي وهب المخزومي، أبو سعيد، له ولأبيه صحبة، عاش إلىٰ خلافة عثمان خ م د س][٢].

❁ **المسألة السادسة والخمسون: قوله: (لما حضرت أبا طالب الوفاة).**

ش/ **قال الكرماني**: المراد: حضرت علامات الوفاة، وإلا فلو كان انتهىٰ إلىٰ المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن، ويدل له ما وقع من المراجعة بينه وبينهم.

قلت: وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣].

ورویٰ الترمذي وحسنه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٤].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٤١).

(٢) تقريب التهذيب (١/ ٥٣٢).

(٣) [النساء: ١٧، ١٨].

(٤) سنن الترمذي، في أبواب الدعوات، بابٌ: (٥/ ٥٤٧)، رقم (٣٥٣٧).

❁ **المسألة السابعة والخمسون: قوله: (جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة).**

ش/ ظاهره أن يكون المسيب حضر هذه القصة؛ فإن المذكورين من بني مخزوم، وهو من بني مخزوم أيضًا، وكان الثلاثة يومئذ كفارًا، فمات أبو جهل علىٰ كفره، وأسلم الآخران.

❁ **المسألة الثامنة والخمسون: قوله: (يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله).**

وفي تفسير سورة القصص عند البخاري: «**أي عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله**»(١).

قوله: (أي عم).

ش/ [أما «أي» فهو بالتخفيف حرف نداء، وأما «عم» فهو منادىٰ مضاف، ولكن حذفت منه ياء المتكلم، وهذا جائز في صريح اللغة.

قوله: (كلمة أحاج لك بها عند الله).

أي: بالنصب علىٰ البدل من «**لا إله إلا الله**» أو الاختصاص، ويجوز الرفع علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هي.

---

(١) البخاري، في التفسير، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، (٦/ ١١٢)، رقم (٤٧٧٢).

وقوله: (أحاج).

بتشديد الجيم من المحاجَّة، وهي مفاعلة من الحجة، والجيم مفتوحة علىٰ الجزم؛ جواب الأمر، والتقدير: إن تقل أحاج. ويجوز الرفع علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنا، ووقع في رواية معمر عن الزهري بهذا الإسناد في الجنائز: «**أشهد**». بدل: «**أحاج**»، وفي رواية مجاهد عند ابن جرير في تفسير هذه الآية: «**قل كلمة الإخلاص؛ أجادل عنك بها**»، وعنده في تفسير الآية الثالثة عشرة بعد المئة من سورة التوبة من طريق سفيان بن حسين، عن الزهري، قال: «**أي عم، إنك أعظم الناس علي حقًّا وأحسنهم عندي يدًا، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة فيك يوم القيامة**»][1].

❁ **المسألة التاسعة والخمسون: قوله: (فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟!).**

ش/ والمعنىٰ: أن هذين الرجلين أرادا ثني أبي طالب عن الاستجابة لدعوة النبي ﷺ إياه أن يقول كلمة التوحيد، وحرضاه علىٰ البقاء علىٰ ملة أبيه عبد المطلب، وهذا من أثر قرناء السوء علىٰ المرء.

وفيه دليل علىٰ أن المشركين يعلمون أن المراد بـ«**لا إله إلا الله**» ليس مجرد

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٧)، وانظر: إمداد القاري، شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري (٣/ ١٨٠، ١٨١).

قولها، فلو كان كذلك لما ألحا عليه بقولهما: «أترغب عن ملة عبد المطلب؟!».

❁ المسألة الستون: قوله: (فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة).

ش/ والمعنىٰ: أنه كلما عرض النبي ﷺ علىٰ أبي طالب الدعوة إلىٰ أن يقول: «**لا إله إلا الله**». كرر أبو جهل وصاحبه عليه مقالتهما: «أترغب عن ملة عبد المطلب؟!».

❁ المسألة الحادية والستون: قوله: (حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو علىٰ ملة عبد المطلب).

وعند البخاري في التفسير: (حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم: علىٰ ملة عبد المطلب)[1].

ش/ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو علىٰ ملة؛ كما توضحه رواية معمر في المناقب عند البخاري: (هو علىٰ ملة عبد المطلب)، وأراد بذلك نفسه، ويحتمل أن يكون قال: (أنا)، فغيرها الراوي أنفة أن يحكي كلام أبي طالب؛ استقباحًا للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة. ووقع في رواية مجاهد، قال: «يا ابن أخي، ملة الأشياخ أو سنة الأشياخ». ووقع في حديث أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم، باب: الدليل علىٰ صحة إسلام من حضره الموت، والترمذي في تفسير سورة القصص، والطبري: «قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: ما حمله عليه إلا جزع

(١) سبق تخريجه.

الموت لأقررت بها عينك»، وفي رواية الشعبي عند الطبراني: «قال: لو لا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل»(١).

۞ المسألة الثانية والستون: قوله: (وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله).

ش/ هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب، وكأنه استند في ذلك إلىٰ عدم سماعه ذلك منه في تلك الحال، وهذا القدر كافٍ في نفي قول أبي طالب كلمة الإخلاص.

۞ المسألة الثالثة والستون: قوله: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك).

ش/ هذا وعد من رسول الله ﷺ لعمه بالاستغفار له، ولا ينصرف إلا إلىٰ طلب المغفرة العامة، وسوغ له ذلك اقتداؤه بأبيه إبراهيم حين وعد أباه بالاستغفار له، كما قصَّ الله عنه بقوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾(٢).

۞ المسألة الرابعة والستون: قوله: (فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾).

ش/ يقول - تعالىٰ ذكره -: ما كان للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا به أن يستغفروا؛ يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربىٰ؛ ذوي قرابة لهم، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾؛ يقول: من بعد

---

(١) فتح الباري (٨/ ٥٠٧).

(٢) [مريم: ٤٧].

ما ماتوا علىٰ شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار؛ لأن الله قد قضىٰ أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله.

من فقه الآية:

أولًا: وجوب المعاداة والبغض في الله.

الثانية: النهي عن الدعاء للمشرك والاستغفار له.

❁ **المسألة الخامسة والستون: قوله: (وأنزل الله تعالىٰ في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾).

ش/ قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء. كان مذهبًا.

قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: هو أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه][١] اهـ.

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذه الآية وبين آية الشورىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٥٩٨).

صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(١)؟

قيل: الهداية نوعان:

الأول: مثبتة، كما في آية الشورىٰ، وهذه هداية الإرشاد والدلالة.

الثانية: منفية كما في آية الباب، وهي هداية التوفيق، وهذه خاصة بالله ولا يملكها أحد.

من فقه الحديث:

أولًا: حسن استقبال الضيف وملاطفته بما يستأنس به؛ كي تزول عنه الوحشة.

ثانيًا: حرص ذلك الوفد علىٰ أن يتعلموا من النبي ﷺ ما يكون لهم سبيلًا إلىٰ دخول الجنة.

ثالثًا: إن ما تضمنه الحديث من أوامر ونواهٍ سبب لدخول الجنة.

رابعًا: يجب علىٰ من تفقه في دين الله أن يعلِّمه قومه إذا تعذر عليهم الوصول إلىٰ أهل العلم، قال تعالىٰ: ﴿۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾(٢).

خامسًا: إثبات صفة المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، وأن تحلي المرء بالحلم والأناة، وهي

---

(١) [الشورىٰ: ٥٢].

(٢) [التوبة: ١٢٢].

التأني في الأمور؛ من أسباب نيله محبة الله.

سادسًا: فيه فضيلة لأشج وفد عبد القيس؛ لاتصافه بالحلم والأناة، والحلم هو عدم المعاجلة في العقوبة.

سابعًا: فيه الدليل علىٰ أن هذه الأمور المسؤول عنها هي من أصول الدين التي يجب معرفتها واعتقادها والعمل بها.

ثامنًا: فضيلة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ:

[**الثالثة:** وهي المسألة الكبرىٰ، تفسير قوله ﷺ: «**قل: لا إله إلا الله**». بخلاف ما عليه من يدعي العلم، ومعناها: يعني: أنه لا معبود بحق إلا الله.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: «**قل: لا إله إلا الله**». فقبح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام!

الخامسة: جدُّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد علىٰ من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء علىٰ الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته][١].



(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (٣٠).



الباب الثاني

بابٌ: أُمرت أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله. فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه علىٰ الله»؟! فقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعه. فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عَزَّ وَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

الحديث الخامس

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم علىٰ الله».

التخريج:

أولًا: حديث أبي هريرة أخرجه المصنف في باب: «الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

ثانيًا: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه في نفس الباب: حدثنا أبو غسان المسمعي مالك بن عبد الواحد، حدثنا عبد الملك بن الصباح، عن شعبة، عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذكره.

- **وفيه عشر مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده).**

ش/ قلت: كان استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فور وفاة رسول الله ﷺ، في الثاني عشر من ربيع الأول، سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة.

قوله: (أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو بكر بن أبي قحافة الصديق الأكبر، وقيل: اسمه عتيق، خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة ع][1].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣١٣).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (وكفر من كفر من العرب).**

ش/ هذه من عظائم المصائب التي ابتلي بها المسلمون عامة والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاصة، وكان كفر أولئك العرب أصناف؛ فمنهم من منع الزكاة مُحتجًّا بأنها كانت إِتَاوة - ضريبة - تؤدىٰ لمحمدٍ ﷺ فقط، ومنهم من ادعىٰ النبوة مثل: مسيلمة من بني حنيفة، والأسود العنسي من اليمن.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله؟!).**

ش/ هذا سؤال استغراب واستنكار من ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ عزم علىٰ قتال أولئك المرتدين مع قولهم: لا إله إلا الله.

قوله: (عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [عمر بن الخطاب بن نفيل - بنون وفاء مصغر - ابن عبد العزىٰ بن رياح - بتحتانية - ابن عبد الله بن قرط - بضم القاف - ابن رزاح - براء ثم زاي خفيفة - ابن عدي بن كعب القرشي العدوي، يقال له: الفاروق. أمير المؤمنين، مشهور، جم المناقب، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا ع][1].

(١) تقريب التهذيب (ص: ٤١٢).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فمن قال: لا إله إلا الله. فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه علىٰ الله).**

ش/ هذا هو ما استدل به ابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ عصمة دم ومال من قال: لا إله إلا الله.

وفيه دليل علىٰ شدة تحريه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ الحق، وهذا هو مبلغ علمه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ومن انتهىٰ إلىٰ ما سمعه من النصوص وأخذ به فلا لوم عليه، حتىٰ يتبين له بالدليل أن الحق خلافه.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهم علىٰ منعه).**

ش/ قلت: فكلتا الشعيرتين - الصلاة والزكاة - فريضة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع كما سيأتي بعد، فلا وجه للتفريق بينهما لهذه الأدلة؛ إذ الإجماع منعقد علىٰ أن من جحد واحدة منهما؛ كان كافرًا، فحقه أن يستتاب وإلا قتل ردةً؛ فحجة الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حجة قوية لا مجال لردها.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (فقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عَزَّوَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق).**

ش/ قلت: وهذا دليل علىٰ فقهه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ووقوفه عند الحجة التي يجب

التسليم لها، وإيضاحه في قوله: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عَزَّوَجَلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»، فأجمع المسلمون علىٰ ما ارتآه الصديق وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع هؤلاء، فلم يخالفوهم.

❁ المسألة السابعة: قوله: (عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا).

ش/ هو [عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستُصْغِر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادلة، وكان من أشد الناس اتباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها ع](1).

❁ المسألة الثامنة: قوله: (أُمِرْتُ).

ش/ كذا مبني للمفعول، فالآمر هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(2).

❁ المسألة التاسعة: قوله: (حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة).

ش/ هذه هي الغاية التي ينتهي إليها قتال المشركين، وفي الكتاب الكريم: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣١٥).

(٢) [التوبة: ٥].

يَعۡلَمُونَ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

❁ المسألة العاشرة: قوله: (فإذا فعلوا؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله).

ش/ فتحصل بضميمة حديث ابن عمر هذا إلى الآيتين ما يأتي:

أولًا: وجوب قتال المشركين حتىٰ يعلنوا الإسلام؛ وذلك بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

ثانيًا: تعليق تخلية سبيل المشركين وأُخوتهم في الدين وعصمة دمائهم وأموالهم؛ علىٰ هذه الثلاثة الأمور مجتمعة.

وفيه دليل لمن ذهب إلىٰ كفر تارك الصلاة متهاونًا، وسيأتي لهذه المسألة زيادة تفصيل في كتاب الصلاة.

ثالثًا: **قوله: «إلا بحقها وحسابهم علىٰ الله»**. فيه دليل علىٰ أن من أظهر هذه الخصال الثلاث؛ لا يحل دمه وماله إلا بما يوجبه من عقوبة، وقد جاء هذا مصرحًا به فيما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: **«لا يحل دم امرئ**

---

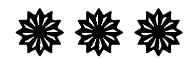
(١) [التوبة: ٥].

مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدىٰ ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»[١].

من فقه الحديثين:

أولًا: وجوب الوقوف عند الدليل من كتاب أو سنة.

ثانيًا: وجوب قتال مانع الزكاة، فإن كان المنع جحودًا بعد العلم بوجوبها؛ كان كافرًا مرتدًّا، وإن كان بخلًا مع الإقرار بوجوبها كان فاسقًا، ويأخذها الإمام منه قهرًا، وشيئًا من ماله عقوبة، وإن قاتل دونها قتل.



---

(١) متفق عليه، خرجه البخاري في الديات، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ الآية (٩/ ٥) رقم (٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح به دم المسلم، (٣/ ١٣٠٢) رقم (١٦٧٦).



الباب الثالث

بابٌ: من قتل رجلاً من الكفار بعد أن قال: لا إله إلا الله

الحديث السادس

عن المقداد بن الأسود أنه أخبره أنه قال: «يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلًا من الكفار فقاتلني، فضرب إحدىٰ يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله. أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: لا تقتله. قال: فقلت: يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها، أفأقتله؟ قال رسول الله ﷺ: لا تقتله؛ فإن قتلته؛ فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال».

أما الأوزاعي وابن جريج ففي حديثهما: قال: «أسلمت لله». وأما معمر(١) ففي حديثه: «فلما أهويت لأقتله قال: لا إله إلا الله».

الحديث السابع

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلًا فقال: لا إله إلا الله. فطعنته، فوقع في نفسي

(١) قلت: يعني: كما قال الليث في روايته، والسياق له.

من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال: لا إله إلا الله. وقتلته؟!» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟!». فما زال يكررها علي حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ[(١)].

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلمًا حتىٰ يقتله ذو البطين - يعني: أسامة -. قال: قال رجل: ألم يقل الله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[(٢)]؟! فقال سعد: قد قاتلنا حتىٰ لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة.

الحديث الثامن

عن صفوان بن محرز، أن جندب بن عبد الله البجلي بعث إلىٰ عسعس بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير، فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتىٰ أحدثهم. فبعث رسولًا إليهم، فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس[(٣)] أصفر فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به. حتىٰ دار الحديث، فلما دار الحديث إليه، حسر البرنس عن رأسه فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم إلا عن نبيكم ﷺ.

إن رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلىٰ قوم من المشركين، وإنهم التقوا،

---

(١) أي: لم يكن تقدم إسلامي، بل بدأت الآن الإسلام ليمحو عني ما تقدم.

(٢) [الأنفال: ٣٩].

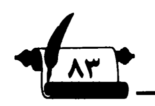
(٣) هو كل ثوب رأسه ملتصق به دراعة كانت، أو جبة، أو غيرهما.

فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلىٰ رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلًا من المسلمين قصد غفلته. قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله. فقتله، فجاء البشير إلىٰ النبي ﷺ، فسأله فأخبره، حتىٰ أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟ قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين وقتل فلانًا وفلانًا - وسمىٰ له نفرًا - وإني حملت عليه، فلما رأىٰ السيف قال: لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فكيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: يا رسول الله، استغفر لي. قال: وكيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟ قال: فجعل لا يزيده علىٰ أن يقول: كيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث المقداد بن الأسود في باب: «تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله». وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رمح، واللفظ متقارب، أخبرنا الليث، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، عن المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

ثانيًا: أخرج حديث أسامة بن زيد في نفس الباب، وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر ح وحدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم عن أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش عن أبي ظبيان عن أسامة بن زيد، وهذا حديث



ابن أبي شيبة، قال:... فذكره.

ثالثًا: أخرج حديث صفوان بن محرز في نفس الباب أيضًا، وقال: حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي يحدث أن خالدًا الأثبج ابن أخي صفوان بن محرز؛ حدث عن صفوان بن محرز، فذكره.

- **وفي الباب ثلاث وثلاثون مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكندي ثم الزهري، حالف أبوه كندة، وتبناه وهو الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور، من السابقين، لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره، مات سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة ع][(١)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (قال: يا رسول الله، أرأيت).**

ش/ هذا استفهام، ومعناه: أخبرني يا رسول الله إن لقيت رجلًا... إلخ.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (إن لقيت رجلًا من الكفار فقاتلني).**

وفي الصحيح: «فاقتتلنا»[(٢)]. وكذا في الديات، بابٌ[(٣)].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٥٤٥)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٢٠٢).

(٢) البخاري، كتاب المغازي، بَاب: شهود الملائكة بدرًا (٥/ ٨٥)، رقم (٤٠١٩).

(٣) البخاري، في المغازي، بابٌ (٥/ ٥٨) رقم (٤٠١٩).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فضرب إحدىٰ يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة).**

وفي الصحيح: «فضرب يَدِي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة»[(١)].

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (أسلمت لله)**، وكذا عند البخاري[(٢)].

ش/ والمعنىٰ: أعلنت وأشهرتُ الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟).**

وفي الصحيح: «أأقتله»[(٣)].

وعنده: «آقتله»[(٤)]. بالمد.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (قال رسول الله ﷺ: لا تقتله).**

وكذا عند البخاري في الموضعين السابقين.

ش/ وهذا نهيٌ صريح عن قتل من نطق الشهادتين، أو قال: أسلمت لله. لأنه بذلك انتقل مما كان عليه من الكفر إلىٰ دين الله الحق الإسلام.

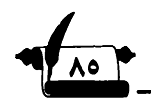
---

(١) البخاري، في الديات، بَاب (٩/ ٣)، رقم (٦٨٦٥).

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا (٥/ ٨٥)، رقم (٤٠١٩)، وفي الديات بَاب (٩/ ٣)، رقم (٦٨٦٥).

(٣) كتاب المغازي، بَاب: شهود الملائكة بدرًا، (٥/ ٨٥)، رقم (٤٠١٩).

(٤) البخاري، في الديات، بَابٌ (٩/ ٣)، رقم (٦٨٦٥).



❁ **المسألة الثامنة: قوله في رواية مَعْمَر: (فلما أهويت لأقتله).**

ش/ أي: رفعت عليه السيف.

قوله: (معمر).

ش/ هو [معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة ثبت فاضل، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وعاصم بن أبي النجود وهشام بن عروة؛ شيئًا، وكذا فيما حدث به بالبصرة، من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ع][1].

❁ **المسألة التاسعة: قوله في رواية معمر: (قال: لا إله إلا الله).**

ش/ هذا هو شاهد الترجمة، وبمقتضاها يدخل الكافر في الإسلام ويجب الكفُّ عنه، وسيأتي في آخر الباب مزيد إيضاح.

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (يا رسول الله، إنه قد قطع يدي، ثم قال ذلك بعد أن قطعها).**

وفي الصحيح: «يا رسول الله، إنه قطع إحدىٰ يَدَيَّ ثم قال ذلك بعدما قطعها»[2].

وزاد: «يا رسول الله، فإنه طرح إحدىٰ يَدَيَّ ثم قال ذلك بعدما قطعها»[3].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٥٤١).

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا، (٥/ ٨٥)، رقم (٤٠١٩).

(٣) البخاري، في الديات، بَابٌ (٩/ ٣)، رقم (٦٨٦٥).

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (قال رسول الله ﷺ: لا تقتله، فإن قتلته؛ فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله).**

وعند البخاري في الموضعين السابقين: «**لا تقتله، فإن قتلته؛ فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله**».

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال).**

وكذا في الموضعين السابقين في البخاري: «**وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

ش/ فتلخص من العبارتين: التحذير من قتل الكافر إذا نطق بالشهادة، وهذا دليل علىٰ أن قاتله ركب كبيرة من الكبائر؛ لهتكه حرمة النطق بالشهادتين.

ويزيد هذا توكيدًا ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «**إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه فقتلته، فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل**»[1].

ش/ قال مقيده: وفي هذا تذكير المسلم بما منَّ الله عليه به من نعمة الإيمان بعد أن كان كافرًا، فيجب عليه مراعاة هذه النعمة، ومن ذلك الكفُّ عمن نطق بالشهادة من الكفار.

---

(١) نفس المصدر السابق.

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (أما الأوزاعي).**

ش/ هو [عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه، ثقة جليل، من السابعة، مات سنة سبع وخمسين ع][(١)].

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (ابن جريج).**

ش/ هو [عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، من السادسة، مات سنة خمسين أو بعدها، وقد جاز السبعين، وقيل: جاز المائة. ولم يثبت ع][(٢)].

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).**

ش/ هو [أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي «ذو البطين» الأمير، أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة ع][(٣)].

❁ **المسألة السادسة عشرة: قوله: (بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة).**

وفي الصحيح: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة. قال: فصبحنا

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣٤٧).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٣٦٣).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ٩٨).

القوم فهزمناهم»[(١)].

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: «بعثنا رسول الله ﷺ إلىٰ الحرقة»، بضم المهملة وبالراء ثم قاف؛ وهم بطن من جهينة، قال ابن الكلبي: سموا بذلك لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، فأحرقوهم بالسهام لكثرة من قتلوا منهم. وهذه السرية يقال لها: سرية غالب بن عبيد الله الليثي. وكانت في رمضان سنة سبع، فيما ذكره ابن سعد عن شيخه، وكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي: «حدثني شيخ من أسلم عن رجال من قومه، قالوا: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبيد الله الكلبي ثم الليثي إلىٰ أرض بني مرة، وبها مرداس بن نهيك حليف لهم من بني الحرقة، فقتله أسامة»، فهذا يبين السبب في قول أسامة: «بعثنا إلىٰ الحرقات من جهينة»][(٢)].

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (فأدركت رجلًا، فقال: لا إله إلا الله. فطعنته).

وفي الصحيح: «ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله»[(٣)].

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (فوقع في نفسي من ذلك).

ش/ بيَّنه بقوله في رواية البخاري: «فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتىٰ

---

(١) البخاري، في الدِّيات، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ (٤/ ٩) رقم (٦٨٧٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (١٢/ ١٩٥).

(٣) البخاري، في الدِّيات، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، (٤/ ٩) رقم (٦٨٧٢).

قتلته»[١].

❁ **المسألة التاسعة عشرة: قوله: (فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أقال: لا إله إلا الله. وقتلته؟!).**

وفي الصحيح: «قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ. قال: فقال لي: **يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**»[٢].

وفي حديث صفوان، وهو الثالث في الباب: «فجاء البشير إلىٰ النبي ﷺ، فسأله، فأخبره حتىٰ أخبره خبر الرجل كيف صنع».

ش/ قلت: والجمع بين هذه الروايات أن خبر قتل أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك الرجل بلغ النبي ﷺ أولًا من البشير، ثم تأكد له ذلك بخبر أسامة إياه.

❁ **المسألة العشرون: قوله: (أقال: لا إله إلا الله. وقتلته؟!).**

وفي الصحيح: «**فقال لي: يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!**»[٣].

وفي حديث صفوان: «**فدعاه فسأله، فقال: لم قتلته؟**».

❁ **المسألة الحادية والعشرون: قوله: (قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح).**

وفي حديث صفوان: «قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلانًا

(١، ٢) نفس المصدر السابق.

(٣) البخاري، في الدِّيات، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، (٤/ ٩) رقم (٦٨٧٢).

وفلانًا - وسمىٰ له نفرًا -، وإني حملت عليه، فلما رأىٰ السيف قال: لا إله إلا الله».

وفي رواية البخاري: «قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذًا»(١).

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟! فما زال يكررها علي حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ).

وفي رواية البخاري: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!** قلت: كان متعوذًا. فما زال يكررها حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»(٢).

وفي حديث صفوان: «قال رسول الله ﷺ: **أقتلته؟** قال: نعم. قال: **فكيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟** قال: يا رسول الله، استغفر لي. قال: **وكيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟** قال: فجعل لا يزيده علىٰ أن يقول: **كيف تصنع بـ«لا إله إلا الله» إذا جاءت يوم القيامة؟**».

❁ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (قال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلمًا حتىٰ يقتله «ذو البطين» - يعني: أسامة -).

ش/ قلت: وسعد هذا هو سعد بن أبي وقاص الزهري، صحابي مشهور، وأحد المبشرين بالجنة، ولاه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جيش القادسية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) البخاري، في المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلىٰ الحرقات من جهينة (٥/ ١٤٤) رقم (٤٢٦٩).

❁ **المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (قال رجل: ألم يقل الله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾).**

ش/ القائل يظهر أنه من الخوارج المكفرين بالكبيرة، ومن مسلكهم المشين المسارعة للفتن؛ استحلالًا لدماء المسلمين وأعراضهم، وأراد أن يستدل بهذه الآية علىٰ ذلك المسلك الفاسد.

❁ **المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (فقال سعد: قد قاتلنا حتىٰ لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة).**

ش/ ومراده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الرد علىٰ مقولة ذلك الخارجي، وأن مقولته حجة باطلة، مخالفة لما أجمع عليه الصحابة ومن بعدهم من البعد عن الخوض في الفتن.

❁ **المسألة السادسة والعشرون: قوله: (عن صفوان بن محرز).**

ش/ هو [صفوان بن محرز بن زياد المازني أو الباهلي، ثقة، عابد، من الرابعة، مات سنة أربع وسبعين خ م ت س ق][(١)].

❁ **المسألة السابعة والعشرون: قوله: (أن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [جندب - بضم أوله، والدال تفتح وتضم - ابن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي - بفتحتين ثم قاف -، أبو عبد الله، وربما نسب إلىٰ جده، له

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٧٧).

صحبة، ومات بعد الستين ع][١].

❁ **المسألة الثامنة والعشرون: قوله: (بعث إلىٰ عسعس بن سلامة).**

ش/ لم أقف علىٰ اسم مبعوث جندب.

و**(عسعس بن سلامة)**: [فبعينين وسينين مهملات، والعينان مفتوحتان، والسين بينهما ساكنة. قال أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»: هو بصري روىٰ عن النبي ﷺ، يقولون: إن حديثه مرسل، وإن لم يسمع النبي ﷺ. وكذا قال البخاري في تاريخه: حديثه مرسل. وكذا ذكره ابن أبي حاتم وغيره في التابعين.

قال البخاري وغيره: كنية (عسعس) أبو صفرة، وهو تميمي بصري، وهو من الأسماء المفردة لا يعرف له نظير، والله أعلم][٢] حكاه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (زمن فتنة ابن الزبير).**

ش/ ابن الزبير: هو عبد الله بن الزبير، الصحابي المشهور رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكانت تلك الفتنة في إمارة يزيد بن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

❁ **المسألة الثلاثون: قوله: (اجمع لي نفرًا من إخوانك حتىٰ أحدثهم).**

ش/ القائل: هو جندب بن عبد الله، ونقلها عنه إلىٰ عسعس مبعوثه، ومراد

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ١٢٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (١/ ٢٠٥).

(٣) انظر تقريب التهذيب (١/ ٣٠٣).

جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحديث القوم بما يجب عليهم من لزوم السنة في مثل هذه الفتنة، وهكذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حريصين علىٰ تبليغ الناس ما تلقوه عن النبي ﷺ من السنة في هذا الباب وغيره، وهذا من النصيحة الواجبة، قال ﷺ: «**إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة**»(١) الحديث.

❁ المسألة الحادية والثلاثون: قوله: (تحدثوا بما كنتم تحدثون به. حتىٰ دار الحديث).

ش/ القائل هو جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك حين حضر مجلس القوم، وأراد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك أن يسمع ما لدىٰ القوم حتىٰ يقول ما عنده؛ بعده كي يقع منهم موقعه، وهذا من حسن السياسة وجميل الأدب؛ فإن مفاجأة الداخل علىٰ القوم بالحديث قد يكون سببًا لنفرتهم عنه وعدم إصغائهم إلىٰ ما عنده.

❁ المسألة الثانية والثلاثون: قوله: (إني أتيتكم، ولا أريد أن أخبركم إلا عن نبيكم ﷺ).

ش/ ومراده بهذا أن يطمئن ذلك المجلس أن ما يحدثهم به ليس من عند نفسه، بل مما تلقاه عن نبيه ﷺ.

❁ المسألة الثالثة والثلاثون: قوله: (إن رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلىٰ قوم من المشركين...) الحديث.

ش/ هذا هو خبر أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد مضىٰ شرحه.

---

(١) مسند أحمد، حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ١٠٢) رقم (١٦٩٨٧).



الباب الرابع

باب: من لقي الله تعالى بالإيمان غير شاكٍّ فيه، دخل الجنة

الحديث التاسع

عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة».

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أو عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - شك الأعمش -، قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله ﷺ: افعلوا. قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم. قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة. قال: ويجيء الآخر بكف تمر. قال: ويجيء الآخر بكسرة؛ حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم. قال: فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه. قال:

فأكلوا حتىٰ شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة.

الحديث الحادي عشر

عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: دخلت عليه وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلًا، لم تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك. ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ حرم الله عليه النار».

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ، حتىٰ أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابًا؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة «والربيع الجدول» فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما شأنك؟» قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا،

فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: «يا أبا هريرة». وأعطاني نعليه. قال: «اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنة»، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ، بعثني بهما: من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي؛ فخررت لاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلىٰ رسول الله ﷺ، فأجهشت بكاءً، وركبني عمر، فإذا هو علىٰ أثري، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا هريرة؟». قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي. قال: ارجع. فقال له رسول الله ﷺ: «يا عمر، ما حملك علىٰ ما فعلت؟» قال: يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - أبعثت أبا هريرة بنعليك: من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم». قال: فلا تفعل، فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ: «فخلهم».

الحديث الثالث عشر

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال:

«هل تدري ما حق الله علىٰ العباد؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا». ثم سار ساعة، قال: «يا معاذ بن جبل». قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «هل تدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أن لا يعذبهم».

الحديث الرابع عشر

عن محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك، قال: قدمت المدينة فلقيت عتبان، فقلت: حديث بلغني عنك. قال: أصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلىٰ رسول الله ﷺ: أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي، فأتخذه مصلًّىٰ. قال: فأتىٰ النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه، فدخل، وهو يصلي في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم، ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلىٰ مالك بن دخشم؛ قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، فقضىٰ رسول الله ﷺ الصلاة، وقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟». قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه. قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فيدخل النار أو تطعمه». قال أنس: فأعجبني هذا الحديث، فقلت لابني: اكتبه. فكتبه.

التخريج:

أولًا: حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه المصنف، باب: «الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم، قال أبو بكر: حدثنا ابن علية عن خالد، قال: حدثني الوليد بن مسلم عن حُمران عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

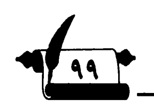
ثانيًا: أخرج حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب. وقال: حدثنا سهل بن عثمان وأبو كريب محمد بن العلاء، جميعًا عن أبي معاوية، قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة - أو عن أبي سعيد، شك الأعمش -... فذكره.

ثالثًا: أخرج حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب أيضًا. وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان، عن ابن محيريز، عن الصنابحي، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

رابعًا: أخرج حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في نفس الباب. وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثني أبو كثير، قال: حدثني أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

خامسًا: حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه أيضًا في نفس الباب. وقال: حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

سادسًا: أخرج حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب. وقال: حدثنا شيبان بن



فروخ، حدثنا سليمان - يعني: ابن المغيرة - قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك، قال حدثني محمود بن الربيع، عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

● **وفي الباب ثمانٍ وستون مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو أمير المؤمنين أبو عبد الله عثمان بن عفان، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، فضائله جمَّة، بويع بالخلافة بعد قتل عمر رضي الله عن الجميع، وقتلته السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني، الذي أسلم نفاقًا وكيدًا لأهل الإسلام.

[روىٰ البخاري في قصة قتل عمر أنه عهد إلىٰ ستة، وأمرهم أن يختاروا رجلًا، فجعلوا الاختيار إلىٰ عبد الرحمن بن عوف، فاختار عثمان، فبايعوه.

ويقال: كان ذلك يوم السبت، غرة المحرم، سنة أربع وعشرين.

وقال ابن إسحاق: قتل علىٰ رأس إحدىٰ عشرة سنة وأحد عشر شهرًا واثنين وعشرين يومًا من خلافته، فيكون ذلك في ثاني وعشرين ذي الحجة سنة خمس وثلاثين][1].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة).**

ش/ فيه دليل علىٰ أن من شروط لا إله إلا الله؛ العلم؛ يعني بمعناها، قال

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤١٩).

تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾(١).

وقد ذكر علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طرق تحصيل العلم بلا إله إلا الله، فقال:

[العلم لا بد فيه من إقرار القلب، ومعرفته بمعنىٰ ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله -؛ فرض عين علىٰ كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائنًا من كان، بل كل مضطر إلىٰ ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو؛ فيه أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه، وصفاته، وأفعاله، الدالة علىٰ كماله وعظمته وجلالته؛ فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد، للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالىٰ المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

---

(١) [محمد: ١٩].

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به؛ فإن هذا داع إلىٰ العلم بأنه تعالىٰ وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر؛ فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو، وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله علىٰ ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقًا وعقولًا ورأيًا وصوابًا وعلمًا، وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون؛ قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل علىٰ التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها، بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلىٰ أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها؛ عند تأمل العبد في بعضها؛ لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب؟!

فهناك يرسِّخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد علىٰ تكرر الباطل والشبه إلا نموًّا وكمالًا][1].

❁ **المسألة الثالثة: قوله:** (**عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، - أو عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شك الأعمش -**).

ش/ قلت: هذا غير قادح في صحة الحديث؛ إذ جهالة الصحابي لا تضر؛ لأنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم عدول، ولهذا قال العلماء: مجهول الصحابة معلوم.

قوله: (**أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**).

ش/ هو [سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة واسْتُصْغِر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروىٰ الكثير، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: سنة أربع وسبعين ع][2].

قوله: (**الأعمش**).

ش/ هو [سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس من الخامسة، مات سنة سبع وأربعين، أو ثمان وأربعين - يعني بعد المئة -، وكان مولده أول سنة إحدىٰ وستين ع][3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٧٨٧).

(٢) تقريب التهذيب (١/ ٢٣٢).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ٢٥٤).

۞ **المسألة الرابعة: قوله: (لما كان غزوة تبوك).**

ش/ كانت هذه الغزوة في رجب سنة تسع من الهجرة[(١)]، وتسمىٰ ساعة العسرة، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال مجاهد وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مُجدبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء.

قال قتادة: خرجوا إلىٰ الشام عام تبوك في لَهَبان الحر، علىٰ ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتىٰ لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم.

إلىٰ أن قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله عَزَّوَجَلَّ قد عوّدك في الدعاء خيرًا، فادع لنا. قال: «**تحب ذلك**». قال: نعم! فرفع يديه فلم يرجعهما حتىٰ مالت السماء فأظَلَّت ثم سكبت، فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

وقال ابن جرير في قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥١٥).

(٢) [التوبة: ١١٧].

ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي: من النفقة، والظهر، والزاد، والماء، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: عن الحق، ويشك في دين رسول الله ﷺ ويرتاب؛ بالذي نالهم من المشقة والشدة في سفره وغزوه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ثم رزقهم الإنابة إلىٰ ربهم، والرجوع إلىٰ الثبات علىٰ دينه، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾][1] اهـ مع اختصار وتصرف.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (أصاب الناس مجاعة).**

ش/ تقدم فيما حكاه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا).**

ش/ طلبوا ذلك من رسول الله ﷺ؛ لشدة ما أصابهم من الجهد في تلك الغزوة، وحملهم علىٰ ذلك نفاد زادهم، كما حكاه قتادة.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: افعلوا).**

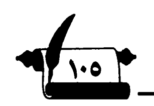
ش/ هذا إجابة منه ﷺ لطلب القوم؛ شفقة بهم، ورأفة، وخشية هلاكهم.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظهر).**

ش/ والمعنىٰ: لو أجبتهم إلىٰ طُلْبَتهم ففعلوا؛ قلَّت الرواحل، فيشتد عليهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٢٨).



العُسر والجَهد.

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة؛ لعل الله أن يجعل في ذلك).**

ش/ فتحصل من مشورة عمر هذه دليل علىٰ فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ أشار بما هو أصلح للقوم وأرفق بهم.

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: نعم).**

ش/ وهذا دليل أنه ﷺ قبل مشورة ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لما فيها من المصلحة والرفق والرحمة.

وفيه دليل علىٰ قبول الشورىٰ الصائبة ولو من واحد، وأنه لا يلزم لذلك جمع الأصوات لطلب الأكثر.

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (قال: فدعا بنطع، فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم).**

ش/ والنِّطعُ هو السُّماط، ويعبر عنه في عرف العامة اليوم بسفرة الطعام، والمعنىٰ: أن النبي ﷺ بسط ذلك النِّطع حتىٰ يضع القوم عليه ما فَضَلَ من أزوادهم، وهي قليلة جدًّا.

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة. قال: ويجيء الآخر بكف تمر. قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك شيء يسير).**

ش/ وهذا دليل صريح علىٰ أن الفاضل لدىٰ القوم من الأزواد في تلك الغزوة نزرٌ يسير.

❁ المسألة الثالثة عشرة: قوله: (فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم». قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتىٰ ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه. قال: فأكلوا حتىٰ شبعوا، وفضلت فضلة).

ش/ فيه عَلَم من أعلام نبوة محمد ﷺ؛ وذلك لما جعله الله ﷺ في ذلك الزاد اليسير من البركة؛ حتىٰ امتلأت أوعية القوم.

❁ المسألة الرابعة عشرة: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ الله بهما عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة).

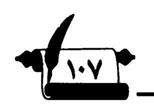
قوله: (غير شاك):

ش/ فسَّره في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي - وهو رابع أحاديث الباب -: **«فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنة»**، فتحصل من العبارتين أن من شروط الشهادتين: اليقين المنافي للشك والريب، ومصداقه في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

[﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: علىٰ الحقيقة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

---

(١) [الحجرات: ١٥].



وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار؛ دل ذلك علىٰ الإيمان التام في القلب؛ لأن من جاهد غيره علىٰ الإسلام، والقيام بشرائعه؛ فجهاده لنفسه علىٰ ذلك من باب أولىٰ وأحرىٰ؛ ولأن من لم يقوَ علىٰ الجهاد، فإن ذلك دليل علىٰ ضعف إيمانه، وشَرَط تعالىٰ في الإيمان عدم الريب، وهو الشك؛ لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك بوجه من الوجوه.

وقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة][1] اهـ محل الغرض.

❁ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (فيحجب عن الجنة).

ش/ أي فيُمنع عن الجنة، وهذا دليل علىٰ أن من نطق الشهادتين يقينًا مع العلم بمعناهما والعمل بمقتضاهما؛ كان من أهل الجنة.

واعلم أيها المسلم أن الحجب عن الجنة على ضربين:

أحدهما: حجب أبدي سرمدي لا ينتهي، وهذا في حق الكفار، وذوي النفاق الاعتقادي.

والثاني: حجب مؤقت، وهو في حق من لقي الله علىٰ التوحيد مصرًّا علىٰ كبائر، فهذا الصنف وهم فساق المؤمنين؛ منهم من تصيبهم النار بذنوبهم، ثم يخرجون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٨٠٢).

منها، كما سيأتي في [حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ][١].

❁ المسألة السادسة عشرة: قوله: (عن الصُّنَابِحِيِّ).

ش/ هو [اسمه عبد الرحمن أبو عبد الله بن عسيلة - بمهملتين مصغر - المرادي الصنابحي، ثقة من كبار التابعين، قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام، مات في خلافة عبد الملك ع][٢].

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد المدني، أحد النقباء، بدري مشهور، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون، وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية، قال سعيد بن عفير: كان طوله عشرة أشبار ع][٣].

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (دخلت عليه وهو في الموت فبكيت).

ش/ القائل هو الصنابحي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (مهلًا لم تبكي).

ش/ قوله: (مَهْلًا) أي: تمهل، ولا ترهق نفسك، ولا تجهدها بالبكاء.

وكيف لا يبكي عبد الرحمن الصُّنابحي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يرىٰ رجلًا من السابقين

(١) كتاب الإيمان، باب: خروج الموحدين من النار.

(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٣٤٦).

(٣) تقريب التهذيب (٢/ ٢٩٢)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٢٤).

الأولين علىٰ فراش الموت؟! وما ذلك إلا لمحبته إياه في ذات الله، ولصحبته لرسول الله ﷺ، وأظن الحامل له علىٰ البكاء ما أخرجه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي بردة عن أبيه، قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتىٰ نصلي معه العشاء. قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «**ما زلتم هاهنا؟**» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتىٰ نصلي معك العشاء. قال: «**أحسنتم - أو: أصبتم -**» قال: فرفع رأسه إلىٰ السماء، وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلىٰ السماء، فقال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتىٰ السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**»(١).

وقوله: (لم تبكي) سؤال استنكار.

۞ المسألة العشرون: قوله: (فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك).

ش/ أقسم عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لزائره الصُّنابحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ثلاثة أمور كما ترىٰ، ولم أقف خلال ما طالعته من شروح الحديث علىٰ سر ذلك، فأجتهد رأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

فيبدو لي والعلم عند الله أن هذا الصحابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يصنع ذلك رجمًا

(١) مسلم في فضائل الصحابة، باب: بيان أن النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤/ ١٩٦١)، رقم (٢٥٣١).

بالغيب، ومثل هذا لا بد فيه من مستندٍ عن المعصوم ﷺ، وأظنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استنبط ما أقسم عليه لذلك التابعي الفاضل الخيِّر من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مر بجنازة فأُثني عليها خيرًا، فقال نبي الله ﷺ: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومر بجنازة فأُثني عليها شرًّا، فقال نبي الله ﷺ: «وجبت، وجبت، وجبت»، قال عمر: فدىٰ لك أبي وأمي، مُرَّ بجنازة، فأُثني عليها خيرًا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»، ومر بجنازة، فأُثني عليها شرًّا، فقلت: «وجبت، وجبت، وجبت»؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار؛ أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**»(١) [متفق عليه، واللفظ لمسلم].

قلت: فعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضمن المخاطبين بهذا الحديث خطابًا أوليًّا وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فشهادته - إن شاء الله - لذلك التابعي مقبولة عند الله.

۞ المسألة الحادية والعشرون: قوله: (والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير).

ش/ فيه دليل علىٰ أن هذا الصحابي الجليل، وهو أحد النقباء في بيعة العقبة؛ بلَّغ عن النبي ﷺ كل ما سمعه منه من حديثه، وهذه منقبة عظيمة اشترك فيها السابقون الأولون من الصحابة وغيرهم؛ وذلك لحرصهم علىٰ تبليغ ما علِموه

(١) البخاري، في الجنائز، باب ثناء الناس علىٰ الميت (٢/ ٩٧) رقم (١٣٦٧)، صحيح مسلم، بَاب فيمن يثنىٰ عليه خير أو شر من الموتىٰ (٢/ ٦٥٥) رقم (٩٤٩).

من سنة النبي ﷺ إلىٰ الناس.

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (إلا حدثتكموه، إلا حديثًا واحدًا وسوف أحدثكموه اليوم).

ش/ هذا استثناء من عموم ما قبله، ولا يظن بمثل عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كتم علمًا عن النبي ﷺ، وهو يعلم حاجة الناس اليه.

❁ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (وقد أُحيط بنفسي).

ش/ يعني: فقد حضر أجلي؛ فآن الأوان كي أحدثكم ذلك الحديث الذي لم أحدثكموه من قبل.

❁ المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ حرم الله عليه النار).

ش/ وهذا نص صريح علىٰ أن ناطق الشهادتين، وقد تقدم بعض شروطها، وهي قيود فيها؛ نال الجنة.

واعلم أيها المسلم أن تحريم النار على أهل الشهادتين حقًّا نوعان:

أحدهما: تحريم دخول؛ وهذا في حق من لقي الله علىٰ التوحيد والسلامة من الآثام.

والثاني: تحريم خلود؛ وهذا في حق من لقي الله من أهل التوحيد مصرًّا علىٰ كبيرة، فإنه آمِنٌ من الخلود في النار، غير آمن من دخولها، كما سيأتي في ثنايا هذا الكتاب، إن شاء الله تعالىٰ.

❁ **المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (فأبطأ علينا).**

ش/ القائل هو أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والمعنىٰ: أنه تأخر تأخرًا تخوفوا عليه جراءه بدليل قوله: (**فخشينا أن يقتطع دوننا**). والمعنىٰ: تخوفنا أنه ﷺ قد حال بيننا وبينه مكروه.

❁ **المسألة السادسة والعشرون: قوله: (وفزعنا، فقمنا، فكنت أول من فزع).**

ش/ ومعناه: أنه لما اشتد تخوف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ رسول الله ﷺ؛ لتأخره عليهم، وخَشُوا أن يكون حدث له ما يحول بينهم وبينه؛ هبوا مسرعين في البحث عنه، وهذا دليل علىٰ شدة محبة أولئك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لرسول الله ﷺ، والمتقرر عند جميع أهل الإسلام والسنة عامة والصحابة خاصة؛ أن محبة النبي ﷺ في قلوبهم أشد من محبتهم لأنفسهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم.

❁ **المسألة السابعة والعشرون: قوله: (فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ، حتىٰ أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار).**

ش/ (**أَبْتَغِي رسول الله**) أي: أطلبه.

و(**الحَائِط**) هو البستان، ويغلب علىٰ ما كان فيه نخل؛ لأنه محاط بسور.

❁ **المسألة الثامنة والعشرون: قوله: (فَاحْتَفَزْتُ).**

ش/ يعني: ضممت بعضي إلىٰ بعض حتىٰ يسعني المدخل.

❁ **المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ).**

ش/ إذا انضم إلىٰ قوله: (فكنت أول من فزع)؛ تحصل في هذه الحادثة منقبتان لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختص بهما دون سائر من هبَّ في البحث عن النبي ﷺ، وهما: أنه أول فازعٍ، وأول داخلٍ علىٰ النبي ﷺ ذلك الحائط.

❁ **المسألة الثلاثون: قوله: (أبو هريرة؟).**

ش/ جملة استفهامية، و(أَبُو) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنت أو هذا.

وقوله: (نعم يا رسول الله).

ش/ هذا هو جواب الاستفهام، وتقديره: نعم، أنا أبو هريرة يا رسول الله. وهذا من المحذوف المستساغ.

قال في الألفية:

[وحذف ما يعلم جائز كما تقول: زيد بعد من عندكما؟

وفي جواب كيف زيد؟ قل: دنف فزيد استغني عنه إذ عرف

يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل جوازًا أو وجوبًا، فذكر في هذين البيتين الحذف جوازًا، فمثال حذف الخبر أن يقال: من عندكما؟ فتقول: زيد. التقدير: زيد عندنا. ومثله في رأي: خرجت فإذا السبع. التقدير: فإذا السبع حاضر. قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

التقدير: نحن بما عندنا راضون][1].

❁ **المسألة الحادية والثلاثون: قوله: (قال: ما شأنك؟).**

ش/ المعنىٰ: أي أمر جاء بك إلىٰ هذا المكان؟

❁ **المسألة الثانية والثلاثون: قوله: (كنت بين أظهرنا، فقمت، فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا).**

ش/ هذا هو بيان أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبب مجيئه إلىٰ دخول الحائط الذي كان فيه رسول الله ﷺ، وهو جوابه عن سؤال النبي ﷺ: «**ما شأنك؟**».

❁ **المسألة الثالثة والثلاثون: قوله: (ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي).**

ش/ وهذا تتمة جواب أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن سؤال النبي ﷺ: «**ما شأنك؟**»، ومحصَّلُه أنه لم يكن وحده في البحث عن النبي ﷺ، يدل له قوله: «وهؤلاء الناس ورائي».

❁ **المسألة الرابعة والثلاثون: قوله: (يا أبا هريرة - وأعطاني نعليه - قال: اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنة).**

ش/ هذه هي المنقبة الثالثة من مناقب أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الحادثة،

---

(١) ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل (١/ ٢٤٣، ٢٤٤).

وإعطاء النبي ﷺ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النعلين؛ علامة علىٰ أنه لقي رسول الله ﷺ لم يصبه مكروه، كما هي علامة علىٰ تصديقه فيما نقله عن النبي ﷺ من فضل شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: **(مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنة)** مضىٰ شرحه.

❁ المسألة الخامسة والثلاثون: قوله: (فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ؛ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه؛ بشرته بالجنة).

ش/ فيه منقبة من مناقب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي أنه أول الجادِّين في البحث عن النبي ﷺ بعد أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ المسألة السادسة والثلاثون: قوله: (فبشره بالجنة).

ش/ [وأبشرت الرجل وبشرته: أخبرته بسار بسط بشرة وجهه، وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر](١) اهـ محل الغرض.

قال مقيده: وما أعظمها من بشارة! وهي شهادة النبي ﷺ لمن نطق بالشهادتين مقيدة بما تقدم، وقيود أخرىٰ منها الإخلاص، كما سيأتي في [حديث عتبان](٢).

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة «بشر» (١/ ٤٨).

(٢) الباب الرابع، باب: من لقي الله تعالىٰ بالإيمان غير شاكٍّ فيه؛ دخل الجنة.

❁ المسألة السابعة والثلاثون: قوله: (فضرب عمر بيده بين ثديي، فخررت لاستي).

ش/ والمعنىٰ: أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سقط علىٰ مقعدته من شدة دفع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له، والذي حمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ هذا الصنيع هو خشيته أن يتكل الناس علىٰ هذه الشهادة دون حقوقها ومكملاتها، كما سيأتي، وهذا دليل علىٰ شدته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طلب الحق وتحري الصواب.

❁ المسألة الثامنة والثلاثون: قوله: (وركبني عمر فإذا هو علىٰ أثري).

ش/ والمعنىٰ: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودخل الحائط وراءه مباشرة.

❁ المسألة التاسعة والثلاثون: قوله: (فقال لي رسول الله ﷺ: ما لك يا أبا هريرة؟).

ش/ وهذا سؤال آخر يتضمن استفسار النبي ﷺ عن سبب رجوع أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه، ولعله ﷺ فهم من هذا الرجوع المبكر أن أبا هريرة لم يبلغ الناس ما أمره به من البشارة لمن قال: لا إله إلا الله.

❁ المسألة الأربعون: قوله: (لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي، قال: ارجع).

ش/ بهذا أبان أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبب رجوعه إلىٰ النبي ﷺ فور خروجه من عنده.

❁ المسألة الحادية والأربعون: قوله: (فقال له رسول الله: يا عمر، ما حملك علىٰ ما فعلت؟).

ش/ وهذا صريح في أنه ﷺ طلب من ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان ما حمله علىٰ

صنيعه بأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ حتىٰ يتبين له أله في ذلك عذر أو لا؟

❁ المسألة الثانية والأربعون: قوله: (يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم).

ش/ وهذا سؤال من عمر للنبي ﷺ تمهيدًا لما يذكره بعد من سبب صنيعه بأبي هريرة - رضي الله عن الجميع -.

❁ المسألة الثالثة والأربعون: قوله: (فلا تفعل، فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون).

ش/ هذا هو الباعث لابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ ما صنعه بأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومنه طلبه الرجوع إلىٰ النبي ﷺ، وهذا من عظيم فقه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومرادُه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حجب هذه البشارة عن الناس حتىٰ لا يتكلوا عليها دون عمل؛ وذلك أن الإسلام لا يزال غضًّا طريًّا، وكثيرٌ ممن دخل فيه لم تتمكن بشاشته من قلوبهم حتىٰ يدركوا مراد النبي ﷺ من هذه البشارة، وأنها ليست علىٰ إطلاقها، وهو ما قد يفهمه بعضهم من الاكتفاء بالشهادة.

❁ المسألة الرابعة والأربعون: قوله: (فخلهم).

ش/ والمعنىٰ: دعهم يعملون ولا تبشرهم بهذه البشارة، وهذا إقرار من النبي ﷺ لرأي عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وفيه دليل علىٰ أنه يجب درء المفاسد إذا ترجحت علىٰ المصالح، وأن الشورىٰ

الصائبة يجب قبولها ولو من واحد.

ومن الأدلة الكثيرة علىٰ هذا الباب، وهو درء المفاسد إذا ترجحت علىٰ المصالح؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١] الآية.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ينهىٰ الله المؤمنين عن أمر كان جائزًا بل مشروعًا في الأصل، وهو سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثانًا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلىٰ الله بإهانتها وسبها.

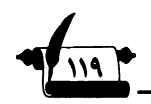
ولكن لما كان هذا السب طريقًا إلىٰ سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح؛ نهىٰ الله عن سب آلهة المشركين؛ لأنهم يحمون لدينهم ويتعصبون له][٢].

وقوله ﷺ لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - حين استأذن في قتل ابن أُبي رأس النفاق في المدينة حين قال كلمة السوء في النبي ﷺ والمؤمنين -: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[٣] وسيأتي الحديث في ثنايا شرح هذا المختصر إن شاء الله.

(١) [الأنعام: ١٠٨].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٦٨).

(٣) متفق عليه، خرجه البخاري في التفسير، بَاب: قَوْلُهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ (٦/ ١٥٤) رقم (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ مظلومًا وظالمًا (٤/ ١٩٩٨) رقم (٢٥٨٤).



❁ **المسألة الخامسة والأربعون: قوله: (عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهىٰ في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثماني عشرة ع][1].

❁ **المسألة السادسة والأربعون: قوله: (كنت ردف النبي ﷺ).**

كذا عند مسلم برواية أنس، وفي الصحيح من رواية عمرو بن ميمون: «كنت ردف رسول الله ﷺ علىٰ حمار يُقال له: عفير»[2].

❁ **المسألة السابعة والأربعون: قوله: (ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل).**

ش/ الرحْل هو ما يشد علىٰ الراحلة، ويجلس عليه الراكب الأول.

❁ **المسألة الثامنة والأربعون: قوله: (فقال: يا معاذ بن جبل).**

ش/ هذا نداء منه ﷺ، ومقصوده تنبيه معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ ما سيخبره به النبي ﷺ.

❁ **المسألة التاسعة والأربعون: قوله: (لبيك يا رسول الله وسعديك).**

ش/ (لَبَّيك): مصدرٌ من: أَلَبَّ بالمكان إذا أقام فيه، وثُنِّي للتأكيد، والمعنىٰ:

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٥٣٥)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٣٦).

(٢) البخاري في الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، (٤/ ٢٩) رقم (٢٨٥٦)، مسلم في الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا، (١/ ٥٨) رقم (٣٠).

أجبتك إجابة بعد إجابة.

وقوله: (وسعديك). مصدر من ساعد يساعدُ مساعدة، وثُنِّي للتوكيد أيضًا، والمعنىٰ: أسعدك الله إسعادًا بعد إسعاد.

❁ المسألة الخمسون: قوله: (ثم سار ساعة).

ش/ **الساعة**: هي المدة من الزمن، فقد تطول وقد تقصر، وإيضاحها فيما يحيط بها من قرائن.

❁ المسألة الحادية والخمسون: قوله: (يا معاذ بن جبل).

ش/ كرر النداء للتأكيد، وبه يتأكد إصغاء المخاطب وتنبهه لما يلقىٰ عليه.

❁ المسألة الثانية والخمسون: قوله: (هل تدري ما حق الله علىٰ العباد؟).

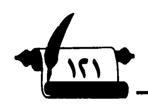
ش/ هذا أول الخطاب، وهو مجمل.

قوله: (الله ورسوله أعلم).

ش/ جرت عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حين يسألهم رسول الله ﷺ عن أمر من الدين لا يعلمونه بهذا القول، وهذا من رد العلم إلىٰ عالمه.

❁ المسألة الثالثة والخمسون: قوله: (فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا).

ش/ هذا هو البدء في تفسير ما أجمل قبل. واعلم أيها المسلم أن حق الله علىٰ



العباد فرض واجب وجوبًا عينيًّا علىٰ كل مكلف.

❁ **المسألة الرابعة والخمسون: قوله: (هل تدري ما حق العباد علىٰ الله إذا فعلوا ذلك؟).**

ش/ وهذا تنبيه منه ﷺ لصاحبه معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أن العباد لهم علىٰ الله حقٌّ إذا عبدوه وحده.

واعلم أن حق العباد علىٰ الله هو تفضل منه عليهم وإحسان إليهم؛ إذ الباري جَلَّ وَعَلَا لا يجب عليه شيء، ولكنه إذا وعد سبحانه أوجب علىٰ نفسه الوفاء بوعده.

❁ **المسألة الخامسة والخمسون: قوله: (أَنْ لا يعذبهم).**

ش/ واعلم أن التعذيب يوم القيامة على ضربين:

الأول: تعذيب دائم سرمدي؛ وهذا في حق الكفار والمشركين، وهو المنفي في هذا الحديث.

الثاني: تعذيب مؤقت؛ قد يصيب بعض الموحدين الذين لقوا الله علىٰ كبائر ثم مآلهم إلىٰ الجنة، كما سيأتي في ثنايا هذا الكتاب مفصلًا إن شاء الله.

❁ **المسألة السادسة والخمسون:** زاد عمرو بن ميمون عند الشيخين: «قلت: يا رسول الله! أفلا أُبَشِّرُ الناس؟ قال: «**لا تبشرْهم؛ فيتكلوا**»[1].

---

(١) نفس المصدر السابق.

زاد قتادة كما عند الشيخين: «فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا»(١).

ش/ فقوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**». موافقة لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: «فلا تفعل، فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون».

وقوله: (فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّمًا).

ش/ أي: تحرجًا من كتم العلم، خشية من الوعيد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾(٢).

❁ المسألة السابعة والخمسون: قوله: (عن محمود بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو الخزرجي، أبو نعيم أو أبو محمد المدني، صحابي صغير، وجُل روايته عن الصحابة ع](٣).

❁ المسألة الثامنة والخمسون: قوله: (عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

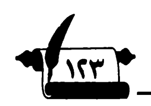
ش/ هو [عتبان - بكسر أوله وسكون المثناة - ابن مالك بن عمرو بن العجلان،

---

(١) البخاري، في العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١/ ٣٧)، رقم (١٢٨)، مسلم، في العلم، باب من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ٦١) رقم (٣٢).

(٢) [البقرة: ١٥٩].

(٣) تقريب التهذيب (ص: ٥٢٢).



الأنصاري السالمي، صحابي شهير، مات في خلافة معاوية خ م كد س ق][(١)].

۞ المسألة التاسعة والخمسون: قوله: (قدمت المدينة فلقيت عتبان، فقلت: حديث بلغني عنك. قال: أصابني في بُعدي بعض الشيء).

كذا هنا، وفي الأصل: (قدمت المدينة فلقيت عتبان، فقلت: حديث بلغني عنك. قال: أصابني في بصري بعض الشيء)[(٢)].

وفي رواية ابن شهاب عن محمود عند الشيخين: (أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، ممن شهد بدرًا من الأنصار، أنه أتىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري)[(٣)].

وفي رواية أنس عند المصنف: (حدثني عتبان بن مالك أنه عمي)[(٤)].

وعند الشيخين: (فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم؛ لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم)[(٥)].

ش/ قلت: فلعل العمىٰ لم يكن تامًّا، فلعل رواية: «عَمِي». من باب التجوز.

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣٨٠).

(٢) مسلم، في الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ٦١) رقم (٣٣).

(٣) البخاري، في الصلاة، باب المساجد في البيوت (١/ ٩٢) رقم (٤٢٥)، مسلم، في المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (١/ ٤٥٥) رقم (٢٦٣).

(٤) مسلم، في الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ٦١) رقم (٣٣).

(٥) سبق تخريجه.

❁ **المسألة الستون: قوله: (فبعثت إلىٰ رسول الله ﷺ أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذه مصلًّىٰ).**

وعند المصنف من وجه آخر: (فأرسل إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: تعالَ، فخُط لي مسجدًا)(١).

وعند الشيخين: (وودت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلًّىٰ. فقال له رسول الله ﷺ: **(سأفعل إن شاء الله)**(٢).

❁ **المسألة الحادية والستون: قوله: (فأتاني النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه).**

وفي رواية ثابت البناني: «فجاء رسول الله ﷺ وجاء قومه»(٣).

وعند الشيخين: «قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ؛ فأذنت له»(٤).

❁ **المسألة الثانية والستون: قوله: (فدخل وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم).**

ولهما: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت له إلىٰ ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا وراءه، فصلىٰ ركعتين ثم سلم. قال: وحبسناه علىٰ خزير صنعناه له»(٥).

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) سبق تخريجه.

❁ **المسألة الثالثة والستون: قوله: (ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلىٰ مالك بن دخشم).**

وعند المصنف من رواية ثابت عن أنس: «ونعت رجل منهم يقال له: مالك بن الدخشم»[(١)].

وعند الشيخين: «فاجتمعوا، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن - أو: ابن الدخشن -؟»[(٢)].

وقوله: (مالك بن دخشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [مالك بن الدخشم - بضم المهملة والمعجمة بينهما خاء معجمة، ويقال: بالنون بدل الميم. ويقال كذلك: بالتصغير - من بني عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي، مختلف في نسبته، وشهد بدرًا عند الجميع، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذ، وروىٰ ابن منده ذلك من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ثم أرسله النبي ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضرار.

قال أبو عمر: لا يصح عنه النفاق؛ فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه في ذلك][(٣)] اهـ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٧٢١).

❁ المسألة الرابعة والستون: قوله: (قالوا: ودوا أنه دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر).

وعند المصنف من رواية يونس والبخاري من رواية عقيل: «فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله»[(١)].

❁ المسألة الخامسة والستون: قوله: (فقضىٰ رسول الله ﷺ الصلاة، وقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟).

وعند الشيخين: «**لا تقل له ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله. يريد بذلك وجه الله؟**»[(٢)].

❁ المسألة السادسة والستون: قوله: (قالوا: إنه يقول ذلك، وما هو في قلبه).

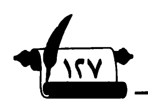
وعند الشيخين: «قالوا: الله ورسوله أعلم، فإنما نرىٰ وجهه ونصيحته للمنافقين»[(٣)].

❁ المسألة السابعة والستون: قوله: (قال: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فيدخل النار أو تطعمه).

وعند الشيخين: «فقال رسول الله ﷺ: **فإن الله قد حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله**»[(٤)].

وعند البخاري من حديث معاذ، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله**

(١، ٢، ٣، ٤) سبق تخريجه.



وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه؛ إلا حرمه الله على النار»[١].

ش/ فبان بهذا أربعة أمور:

الأول: براءة مالك بن الدخشم أو الدخيشن من النفاق بشهادة رسول الله ﷺ.

الثاني: وجوب الحذر من مواطن الريبة، وإن كان الإنسان في نفسه ذا دين وخلق كريم.

الثالث: أن الإخلاص شرطٌ في النطق بالشهادتين.

الرابع: **في قوله: «صدقًا من قلبه»** احتراز من شهادة المنافق، فإنه وإن نطق الشهادتين؛ لم يكن صادقًا في ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[٢].

۞ المسألة الثامنة والستون: قوله: (قال أنس: فأعجبني هذا الحديث؛ فقلت لابني: اكتبه. فكتبه).

ش/ فيه دليل على حرص أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على كتابة ما يخشىٰ فواته من السنة.

وفي الحديث غير ما تقدم فوائد منها:

الأولىٰ: جواز صلاة المرء في بيته لعذر وإن كان يسمع النداء.

---

(١) البخاري، في العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١/ ٣٧)، رقم (١٢٨).

(٢) [المنافقون: ١].

الثانية: جواز الجماعة في صلاة النافلة.

الثالثة: فيتحصل من أحاديث الباب مجتمعة أن الشهادة لا تنفع إلا بشروط، وهي:

- العلم المنافي للجهل.

- والإخلاص المنافي للشرك.

- واليقين المنافي للشك.

- والصدق المنافي للكذب.





الباب الخامس
الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله

الحديث الخامس عشر

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أناسًا من عبد القيس قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا نبي الله، إنا حي من ربيعة، وبيننا وبينك كفار مضر، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة، إذا نحن أخذنا به. فقال رسول الله ﷺ: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع؛ اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان، وأعطوا الخمس من الغنائم، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير». قالوا: يا نبي الله، ما علمك بالنقير؟ قال: «بلىٰ، جذع تنقرونه، فتقذفون فيه من القطيعاء - قال سعيد: أو قال: من التمر - ثم تصبون فيه من الماء، حتىٰ إذا سكن غليانه شربتموه، حتىٰ إن أحدكم - أو: إن أحدهم - ليضرب ابن عمه بالسيف». قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك. قال: وكنت أخبؤها حياءً من رسول الله ﷺ. فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: «في أسقية الأدم التي يلاث علىٰ أفواهها». قالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجرذان، ولا تبقىٰ بها أسقية الأدم. فقال نبي الله ﷺ:

«وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان». قال: وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه».

وقال: حدثنا يحيىٰ بن أيوب، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال: حدثنا من لقي الوفد الذين قدموا علىٰ رسول الله ﷺ من عبد القيس. قال سعيد: وذكر قتادة أبا نضرة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديثه هذا، فذكره.

- **مضىٰ شرحه في الباب الأول ضمن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه هاهنا سبع مسائل:**

۞ **المسألة الأولى: قوله: (قالوا: يا نبي الله، ما علمك بالنقير؟).**

وعند أحمد بالعطف: «وما علمك بالنقير؟»[1].

وعند المصنف من رواية أبي نضرة وحسن: «يا نبي الله - جعلنا الله فداءك - أو تدري ما النقير؟»[2].

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٢٢)، رقم (١١١٩١).

(٢) باب الأمر بالإيمان بالله تعالىٰ ورسوله ﷺ، وشرائع الدين، والدعاء إليه والسؤال عنه، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه (١/ ٥٠) رقم (١٨).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (بلىٰ، جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء - قال سعيد: أو قال: من التمر -).**

ش/ كذا بالشك.

وعند المصنف من رواية أبي نضرة: «**نعم الجذع ينقر وسطه**»(١).

وعند أحمد: «**جذع ينقر، ثم يلقون فيه من القطيعاء أو التمر والماء**»(٢).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (حتىٰ إذا سكن غليانه شربتموه، حتىٰ إن أحدكم - أو: إن أحدهم - ليضرب ابن عمه بالسيف).**

ش/ والمعنىٰ: أن النبي ﷺ أبان لهم الأثر السيئ المترتب علىٰ الانتباذ في الجذع.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله؟).**

وعند أحمد: «قال: ففيم تأمرنا أن نشرب فيه؟»(٣).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (في أسقية الأدم التي يلاث علىٰ أفواهها).**

وعند المصنف من رواية أبي النضرة: «**ولا في الدباء ولا في الحنتمة وعليكم بالموكىٰ**»(٤).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٢/ ٥٦) رقم (٥١٩١).

(٤) سبق تخريجه.

ش/ قوله: «**الأسقية**»، ويعبر أحيانًا بالقِرب.

۞ المسألة السادسة: قوله: (قالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقىٰ بها أسقية الأدم).

ش/ وأرادوا بهذه العبارة لعلهم يجدون رخصة في الانتباذ بما نهاهم عنه رسول الله ﷺ.

۞ المسألة السابعة: قوله: (وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان).

وعند أحمد: «**وإن أكلته الجرذان** - مرتين أو ثلاثًا -»[(١)] كذا بالشك.

ش/ وهذا يفيد تأكيد النهي عن الأربع المذكورات في حديث ابن عباس وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والجُرْذَانُ: [جمع جُرَذ: وهو الذَّكَر الكبير من الْفَأر][(٢)] قاله ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفيه دليل علىٰ طهارة الجرذان، ووجهه أنه ﷺ لم يأمرهم بغسل ما قرضته الجرذان.

۞۞۞

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «جرذ».



الباب السادس

باب: الإيمان بالله أفضل الأعمال

الحديث السادس عشر

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيله». قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا». قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعًا أو تصنع لأخرق». قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس؛ فإنها صدقة منك على نفسك».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان كون الإيمان بالله تعالىٰ أفضل الأعمال»، من طرق عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي مرواح الليثي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره، وأخرجه من وجه آخر عن عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

- **وفيه تسع مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور، اسمه جندب بن جنادة علىٰ الأصح،

وقيل: برير - بموحدة، مصغر أو مكبر - واختلف في أبيه، فقيل: جندب أو عشرقة أو عبد الله أو السكن. تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرًا، ومناقبه كثيرة جدًّا، مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان ع][١].

❁ المسألة الثانية: قوله: (أي الأعمال أفضل؟).

وعند البخاري: «أي العمل أفضل؟»[٢].

ش/ ومراده رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن يرشده النبي ﷺ إلىٰ الأفضل من صالح الأعمال التي شرعها الله لعباده وتعبدهم بها؛ حتىٰ يسارع فيها ويسابق إليها، وهذا من فقه أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وزيادة حرصه علىٰ الخير.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله).

وعند البخاري: «**إيمان بالله، وجهاد في سبيله**»[٣].

وعند أحمد: «**الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله**»[٤].

ش/ فيه:

أولًا: دليل علىٰ أنه لا شيء أفضل من الإيمان بالله، وأن العمل من الإيمان،

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٦٣٨)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٢٥).

(٢) البخاري، في العتق، باب أي الرقاب أفضل (٣/ ١٣٣) رقم (٢٥١٨).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٠٨) رقم (٨٠٦١).

بدليل قوله: «وجهاد في سبيله». فالعطف من باب عطف الخاص علىٰ العام، كقوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(١).

ثانيًا: وفيه الرد علىٰ المرجئة الذين يخرجون العمل من مسمىٰ الإيمان.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (أي الرقاب أفضل؟).**

وعند البخاري: «فأي الرقاب أفضل؟»(٢).

وفي رواية أحمد: «فإن لم أستطع ذاك؟ قال: فأي الرقاب أعظم أجرًا؟»(٣).

ش/ هذا هو السؤال الثاني الذي يلقيه هذا الصحابي علىٰ نبيه ﷺ مسترشدًا عن طريق آخر من طرق الخير، فالرقاب العبيد، ومراده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدله النبي ﷺ علىٰ أفضل ما يعتقه من الرقيق.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا).**

وعند البخاري: «**أعلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها**»(٤).

وعند أحمد: «**أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها**»(٥).

---

(١) [البقرة: ٢٣٨].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (٢/ ٣٨٨) رقم (٩٠٢٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) نفس المصدر السابق.

ش/ هذا هو الطريق الثاني الذي أرشد فيه النبي ﷺ؛ جوابًا علىٰ سؤاله: «أي الرقاب أفضل؟». فقد اتفقت الروايات علىٰ أن الأفضل عتقه من الرقاب هو النفيس عند أهله وغالي الثمن.

۞ المسألة السادسة: قوله: (قلت: فإن لم أفعل؟).

وعند البخاري وأحمد: «قال: فإن لم أستطع؟»[1].

ش/ وهذا هو السؤال الثالث الذي يسترشد فيه أبو ذر رضي الله عنه النبي ﷺ، حين لا يستطيع فعل ما أرشده إليه النبي ﷺ من قبل.

۞ المسألة السابعة: قوله: (تعين صانعًا أو تصنع لأخرق).

وعند البخاري: «**تعين ضايعا أو تصنع لأخرق**». وكذا عند أحمد[2].

ش/ ولا معارضة بين الروايتين؛ فالجمع بينهما أن النبي ﷺ أرشده إلىٰ عون صاحب الحرفة والضائع في الطريق حتىٰ يصل إلىٰ مبتغاه، كما أرشده إلىٰ عون الأخرق وهو من لا يجيد الصنعة، فقال: «**أو تصنع لأخرق**».

۞ المسألة الثامنة: قوله: (قلت: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟).

وعند البخاري: «فإن لم أفعل؟»[3] وهي بمعناها.

(١، ٢، ٣) سبق تخريجه.

وعند أحمد: «فإن لم أستطع ذاك؟»[١].

ش/ والمعنىٰ: استرشاد هذا الصحابي نبيه ﷺ ما الذي يفعله حين يعجز عما سبق، والظاهر أنه بسؤاله يعني الجهاد في سبيل الله وما بعده.

❁ المسألة التاسعة: قوله: (تكف شرك عن الناس؛ فإنها صدقة منك علىٰ نفسك).

وعند البخاري: «**تدع الناس من الشر، فإنها صدقة تصدق بها علىٰ نفسك**»[٢].

وعند أحمد: «**فاحبس نفسك عن الشر؛ فإنها صدقة حسنة تصدقت بها علىٰ نفسك**»[٣].

ش/ فاتفقت هذه الروايات علىٰ أنه في حال العجز عن المسائل السابقة من الأعمال وما هو مثلها؛ فسَبيل النجاة كف الأذىٰ عن الناس، وأن ذلك من صدقة المرء علىٰ نفسه.

واعلم أيها المسلم أن أجوبة النبي ﷺ علىٰ أسئلة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليست من الخاص بل من العام؛ فالخطاب له ولجميع المكلفين؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولأحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمعناه، ولفظه: «أن رجلًا أتىٰ رسول الله ﷺ وهو عنده، فسأله، فقال: يا نبي الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: **الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله**. قال: فإن لم أستطع ذاك؟ قال: فأي الرقاب أعظم أجرًا؟ قال:

(١، ٢، ٣) سبق تخريجه.

أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها. قال: فإن لم أستطع؟ قال: فتعين ضائعًا أو تصنع لأخرق؟ قال: فإن لم أستطع ذاك؟ قال: فاحبس نفسك عن الشر؛ فإنها صدقة حسنة تصدقت بها علىٰ نفسك»(١).

ش/ قال مقيده: فيجوز أن السائل في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه، ويحتمل التعدد.



(١) سبق تخريجه.



الباب السابع

بابٌ: في الأمر بالإيمان والاستعاذة بالله عند وسوسة الشيطان

الحديث السابع عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يزالون يسألونكم حتىٰ يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟». قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذ حصًىٰ بكفه فرماهم به، ثم قال: قوموا قوموا، صدق خليلي ﷺ.

الحديث الثامن عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتىٰ يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟»، قال وهو آخذ بيد رجلٍ، فقال: صدق الله ورسوله، قد سألني واحد، وهذا الثاني.

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديثه الأول في باب: «بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها».

قال: حدثني عبد الله بن الرومي، قال: حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة

وهو ابن عمار، حدثنا يحيىٰ، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديثه الثاني في نفس الباب، وقال: حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: حدثني أبي عن جدي عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

- **وفيهما أربع مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (لا يزال الناس يسألونكم عن العلم).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**لن يبرح الناس يتساءلون**»(١).

۞ المسألة الثانية: قوله: (حتىٰ يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟).

وفي الحديث بعده: «**حتىٰ يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟**».

وعند مسلم من رواية هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا، فليقل: آمنت بالله**»(٢).

وفي رواية أبي سعيد المؤدب: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول: الله...» ثم ذكر بمثله وزاد: «ورسله»(٣).

---

(١) البخاري، في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، وتكلف ما لا يعنيه (٩/ ٩٦) رقم (٧٢٩٦).

(٢) مسلم، في الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها (١/ ١١٩) رقم (١٣٤).

(٣) البخاري، في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، وتكلف ما لا يعنيه =

وفي رواية ابن شهاب عن عمه عند الشيخين: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتىٰ يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك؛ فليستعذ بالله ولينته**»[1].

۞ المسألة الثالثة: قوله: (فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟).

وفي حديث أنس عند البخاري: «**هذا الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟**»[2].

۞ المسألة الرابعة: قوله: (فأخذ حصًىٰ بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا، صدق خليلي ﷺ).

وفي الحديث الثاني: «وهو آخذ بيد رجل، فقال: صدق الله ورسوله، قد سألني واحد، وهذا الثاني».

ش/ وفي هذا معنىٰ هذين الحديثين، وما أخرجه المصنف من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة «قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ، فسألوه:

=

(٩/ ٩٦) رقم (٧٢٩٦)، مسلم، في الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها (١/ ١١٩) رقم (١٣٤).

(١) البخاري، في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٢٣)، مسلم، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها (١/ ١١٩).

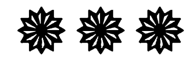
(٢) سبق تخريجه.

إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: **وقد وجدتموه؟** قالوا: نعم. قال: **ذاك صريح الإيمان**». وسيأتي في الباب السادس والعشرين(١).

فتحصل من مجموع هذه الأحاديث ما يأتي:

أولًا: شدة عداوة الشيطان لأهل الإيمان، وذلك أنه ما يفتأ يقذف في قلوبهم الوسوسة في الله.

ثانيًا: سَعة فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسَعة لطفه ورحمته بأهل الإيمان؛ إذ أمرهم علىٰ لسان رسوله ﷺ بما يبطل كيد الشيطان من هذه الوسوسة.



---

(١) باب: في الوسوسة من الإيمان.



الباب الثامن

باب: في الإيمان بالله والاستقامة

الحديث التاسع عشر

عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك - وفي حديث أبي أسامة: غيرَك -. قال: «قل: آمنت بالله. فاستقم».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «جامع أوصاف الإيمان»، من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

- **وفيه ثلاث مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم الثقفي الطائفي.

أخرج حديثه مسلم والنسائي والترمذي، واستعمله عمر علىٰ صدقات الطائف،

وروىٰ عنه أولاده؛ عاصم وعبد الله وعلقمة وعمرو وأبو الحكم، وغيرهم][(١)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك).**

وفي حديث أبي أسامة: «**غيرك**».

وعند أحمد والترمذي: «حدثني بأمر أعتصم به»[(٢)].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (قل: آمنت بالله. ثم استقم).**

وعند أحمد والترمذي: «**قل: ربي الله. ثم استقم**»[(٣)].

ش/ قلت: اتفقت هذه الروايات علىٰ وجوب الصدع بالعقيدة، وحسن التدين إخلاصًا لله واتباعًا لرسوله ﷺ، وهذان شرطان لا يقبل الله عملًا يتعبد به المرء لربه دونهما.

قال أهل العلم: العمل إن فقد الإخلاص لله كان شركًا أو رياءً، وإن فقد المتابعة لرسول الله ﷺ كان بدعة، ومتىٰ جمع العمل الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ؛ كان سنة، وفي التنزيل الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١٢٤)، وانظر تقريب التهذيب (ص: ٢٤٤).

(٢) مسند أحمد، مسند سفيان بن عبد الله الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٤١٣) رقم (١٥٤٥٦)، الترمذي في الزهد، عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حفظ اللسان (٤/ ٦٠٧) رقم (٢٤١٠).

(٣) نفس المصدرين السابقين.

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: [يخبر تعالىٰ عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث علىٰ الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾؛ أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالىٰ واستسلموا لأمره، ثم استقاموا علىٰ الصراط المستقيم علمًا وعملًا؛ فلهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الكرام؛ أي: يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار، ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ علىٰ ما يستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ علىٰ ما مضىٰ؛ فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا](٢).

قلت: ونظيرها من سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

زاد أحمد والترمذي: «يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا»(٤).

وأخرج الترمذي عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت مع النبي ﷺ في

(١) [فصلت: ٣٠].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٧٤٨).

(٣) [الأحقاف: ١٣].

(٤) سبق تخريجه.

سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير علىٰ من يسره الله عليه»؛ فذكر الحديث، وفيه: «ثم قال: **ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قلت: بلىٰ يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: **كف عليك هذا**. فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: **ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم - أو: علىٰ مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**»(١).

من فقه الأحاديث:

ش/ يتحصل من مجموع هذه الأحاديث ثلاث فوائد:

أولًا: إعلان الإخلاص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في التدين.

ثانيًا: إعلان تجريد المتابعة لرسوله ﷺ، وعبر عنه بقوله: «**ثم استقم**».

ثالثًا: وجوب الحذر من فلتات اللسان.



(١) الترمذي، في الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٥/ ١١) رقم (٢٦١٦).



الباب التاسع

بابٌ: في آيات النبي ﷺ والإيمان به

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحىٰ الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار».

الحديث الثاني والعشرون

عن صالح بن صالح الهمداني عن الشعبي قال: رأيت رجلًا من أهل خراسان، سأل الشعبي فقال: يا أبا عمرو، إن من قِبلَنا من أهل خُراسان، يقولون في الرجل إذا أعتق أمته ثم تزوجها: فهو كالراكب بدنته. فقال الشعبي: حدثني أبو بردة بن أبي موسىٰ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من

أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه؛ فله أجران، وعبد مملوك أدىٰ حق الله تعالىٰ وحق سيده؛ فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران».

ثم قال الشعبي للخراساني: خذ هذا الحديث بغير شيء؛ فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلىٰ المدينة.

التخريج:

أولًا: الحديث الأول أخرجه المصنف في باب: «وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلىٰ جميع الناس ونسخ الملل بملته».

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، به.

ثانيًا: وأخرج الحديث الثاني في نفس الباب، وقال: حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن وهب، قال: وأخبرني عمرو أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكره.

ثالثًا: وأخرج الحديث الثالث في نفس الباب أيضًا، من طرق عن شعبة، كلهم حدثنا صالح بن صالح عن الشعبي، فذكره.

- **وفي الباب سبع عشرة مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما

مثله آمن عليه البشر).

وفي الصحيح: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن - أو: آمن -، عليه البشر**»(١).

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح»:

[قوله: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي**». هذا دال علىٰ أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر علىٰ المعاندة.

«**من الآيات**»؛ أي: المعجزات الخوارق.

قوله: «**ما مثله آمن عليه البشر**». «**ما**» موصولة وقعت مفعولًا ثانيًا «**لأعطي**»، و«**مثله**» مبتدأ، و«**آمن**» خبره، والمِثل يطلق ويراد به عين الشيء وما يساويه، والمعنىٰ: أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها](٢) اهـ.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحىٰ الله إلي)**.

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أي: إن معجزتي التي تحديت بها الوحيُ الذي أنزل علي وهو القرآن؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر

---

(١) البخاري، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «**بعثت بجوامع الكلم**»، (٩/ ٩٢) رقم (٧٢٧٤).

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٩/ ٦).

معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تَقَدَّمه، بل المراد أنه المعجزة العظمىٰ التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به، لم يعطها بعينها غيره، تحدىٰ بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه][١].

وقال أيضًا: [قوله: «**إنما كان الذي أوتيته**». أن القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها؛ لاشتماله علىٰ الدعوة، والحجة، ودوام الانتفاع به إلىٰ آخر الدهر][٢].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة).

ش/ يوضحه من الأحاديث حديث حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم آخرها وأكرمها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ**»[٣].

❁ المسألة الرابعة: قوله: (والذي نفس محمدٍ بيده).

ش/ هذا حلف منه ﷺ بربه جَلَّوَعَلَا، وكثير ما يكون حلفه ﷺ بمثل هذه الصيغة، والمراد به تأكيد المحلوف عليه، وهو قوله: «**لا يسمع بي**».

❁ المسألة الخامسة: قوله: (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر السابق (١٣/ ٢٤٨).

(٣) مسند أحمد، مسند بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٣) رقم (٢٠٠٣٧).

ش/ فيه:

أولًا: الدليل علىٰ أن كل من أدرك بعثة النبي ﷺ قسمان:

أحدهما: من استجاب لرسالته وانقاد لها؛ فهو من أمة الإجابة.

الثاني: من استنكف عنها؛ فهو من أمة الدعوة، وهو كافر بعد بلوغه الحجة الرسالية إن مات ولم يسلم.

وثانيًا: عموم رسالته ﷺ، وهذا بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن السنة المتواترة تواترًا معنويًّا: «**وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس كافة**»[3].

وثالثًا: فيه الرد علىٰ من ينكر أن اليهود والنصارىٰ كفار، وقد أجمع المسلمون علىٰ ما تضمنته الآيات وما في معناها والحديث بعدها، علىٰ أن اليهود والنصارىٰ

---

(١) [الأحزاب: ٤٠].

(٢) [سبأ: ٢٨].

(٣) أخرجه البخاري، في الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» (١/ ٩٥) رقم (٤٣٨).

كفار، وكذا كل من بلغته الحجة الرسالية ولم يؤمن بما جاء به محمد ﷺ.

۞ المسألة السادسة: قوله: (عن صالح بن صالح الهمداني).

ش/ هو [صالح بن صالح بن حي، ويقال: بين ابن صالح وحي مسلم، ويقال: حيان. وحي لقب حيان، وقد ينسب إلىٰ جد أبيه فيقال: صالح بن حي وصالح بن حيان. قال أحمد: ثقة ثقة، من السادسة - يعني: بعد المئة -، مات سنة ثلاث وخمسين - يعني: بعد المئة -، ووثقه العِجلي ع][1].

۞ المسألة السابعة: قوله: (عن الشعبي).

ش/ هو [عامر بن شراحيل الشعبي - بفتح المعجمة -، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، من الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين ع][2].

۞ المسألة الثامنة: قوله: (رأيت رجلًا من أهل خراسان).

ش/ لم أقف علىٰ تسمية هذا السائل، ولا يترتب علىٰ الجهل به ضرر؛ إذ العبرة بالقصة، وهي صحيحة.

۞ المسألة التاسعة: قوله: (يا أبا عمرو).

ش/ القائل هنا السائل، وأبو عمرو كنية الشعبي.

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٢٧٢).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٢٨٧).



❁ **المسألة العاشرة: قوله: (إن من قبلنا من أهل خراسان يقولون في الرجل إذا أعتق أمته ثم تزوجها: فهو كالراكب بدنته).**

ش/ ومراده أن أولئك القوم يستقبحون نكاح الرجل أمته بعد عتقها، وهذا التشبيه غاية في شناعة هذا الصنيع والتنفير منه.

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (أبو بردة بن أبي موسىٰ).**

ش/ هو [أبو بردة بن أبي موسىٰ الأشعري، قيل: اسمه عامر. وقيل: الحارث. ثقة من الثالثة، مات سنة أربع ومائة، وقيل غير ذلك، جاز الثمانين ع][1].

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (عن أبيه).**

ش/ هو [عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار - بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة - أبو موسىٰ الأشعري صحابي مشهور، أمَّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. ع][2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين).**

وفي الصحيح: «**ثلاثة لهم أجران**»[3].

ش/ والمراد به ثلاثة أصناف من عباد الله، وليس ثلاثة أشخاص.

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٢٨٨).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٣١٨)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٢١١).

(٣) البخاري، في العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله (١/ ٣١) رقم (٩٧).

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران).**

ش/ وفي الكتاب العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

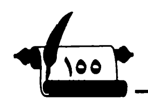
قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يذكر تعالىٰ عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به، ويقرون بأنه الحق، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ وهم أهل التوراة والإنجيل الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، ﴿هُم بِهِۦ﴾؛ أي: بهذا القرآن ومن جاء به؛ ﴿يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ استمعوا له وأذعنوا، و﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾؛ لموافقته ما جاءت به الرسل، ومطابقته لما ذكر في الكتب، واشتماله علىٰ الأخبار الصادقة والأوامر والنواهي الموافقة لغاية الحكمة.

وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم وينفع قولهم؛ لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق علىٰ شبهة فضلًا عن الحجة؛ لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ

---

(١) [القصص: ٥٢ - ٥٤].



مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الآيات.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾. فلذلك ثبتنا علىٰ ما مَنَّ الله به علينا من الإيمان فصدقنا بهذا القرآن؛ آمنا بالكتاب الأول والكتاب الآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب إيمانه بالكتاب الأول.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين آمنوا بالكتابين، ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أجرًا علىٰ الإيمان الأول وأجرًا علىٰ الإيمان الثاني، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ علىٰ الإيمان، وثبتوا علىٰ العمل، فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة، ولا ثناهم عن الإيمان رياسة ولا شهوة.

ومن خصالهم الفاضلة التي من آثار إيمانهم الصحيح؛ أنهم: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أحد حتىٰ للمسيء إليهم بالقول والفعل، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل؛ لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم][١].

❁ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (وعبدٌ مملوك أدىٰ حق الله تعالىٰ وحق سيده؛ فله أجران).

وفي الصحيح من طريق محمد بن كثير عن سفيان: «**وأيما عبد أدىٰ حق الله وحق مواليه؛ فله أجران**»[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٦٢٠).

(٢) البخاري، في العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده (٣/ ١٤٩) رقم (٢٥٤٧).

وفيه من رواية علي بن عبد الله عن سفيان: «**والعبد الذي يؤدي حق الله، وينصح لسيده**»[(١)].

وفيه من رواية محمد بن مقاتل: أخبرنا عبد الله، أخبرنا صالح بن حي: «**والعبد إذا اتقىٰ ربه وأطاع مواليه؛ فله أجران**»[(٢)].

وعند أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا أطاع العبد ربه وأطاع سيده؛ فله أجران**»[(٣)].

وعنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «فلما أعتق أبو رافع بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كان لي أجران، فذهب أحدهما»[(٤)].

❁ المسألة السادسة عشرة: قوله: (ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران).

وفي الصحيح من رواية محمد بن كثير عن سفيان: «**أيما رجل كانت له جارية، فأدبها فأحسن تأديبها، وأعتقها، وتزوجها؛ فله أجران**»[(٥)].

---

(١) البخاري، في الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين (٤/ ٦٠) رقم (٣٠١١).

(٢) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٤/ ١٦٧) رقم (٣٤٤٦).

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٦٣) رقم (٧٥٦٤).

(٤) مسند أحمد مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٤٤) رقم (٨٥١٨).

(٥) سبق تخريجه.

وفيه من رواية علي بن عبد الله: «**الرجل تكون له الأمة، فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها؛ فله أجران**»[١].

وفيه من رواية محمد بن مقاتل: «**إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها؛ كان له أجران**»[٢].

وفيه من رواية موسىٰ بن إسماعيل: «**أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلَّمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران**»[٣].

ش/ قال مقيده: اتفقت هذه الروايات كلها علىٰ إبطال ذلك العرف الشنيع الذي سأل عنه الخُرساني.

ومناسبة أحاديث الباب الثلاثة لكتاب الإيمان أن ما تضمنته من أخبار النبي ﷺ هو من الوحي، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٥].

واعلم أن السنة وحي من الله إلىٰ رسوله ﷺ، قال ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب**

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، في النكاح، باب اتخاذ السراري، ومن أعتق جاريته ثم تزوجها (٧/ ٦) رقم (٥٠٨٣).

(٤) [النجم: ٣، ٤].

(٥) [الحشر: ٧].

ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا علىٰ أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[1] الحديث.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: «فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه»[2].

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (ثم قال الشعبي للخراساني: خذ هذا الحديث بغير شيء؛ فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلىٰ المدينة).

ش/ والمعنىٰ: وصية الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذلك السائل الخراساني أن يحفظ هذا الحديث ويعمل به.



---

(١) مسند أحمد، مسند المقدام بن معد يكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٤/ ١٣٠) رقم (١٧٢١٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، العقيدة الواسطية (٣/ ١٣٨).



الباب العاشر

باب: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

الحديث الرابع والعشرون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

الحديث الخامس والعشرون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتىٰ يحب لجاره - أو قال: لأخيه - ما يحب لنفسه».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف الحديث الأول في باب: «بيان خصال من اتصف بهن

وجد حلاوة الإيمان».

قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن يحيىٰ بن أبي عمر ومحمد بن بشار، جميعًا عن الثقفي، قال ابن أبي عمر: حدثنا عبد الوهاب عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

ثانيًا: أخرج الحديث الثاني في باب: «وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان علىٰ من لم يحبه هذه المحبة»، عن شيخيه محمد بن المثنىٰ وابن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

ثالثًا: أخرج الحديث الثالث باب: «الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير».

قال: حدثني زهير بن حرب حدثنا يحيىٰ بن سعيد عن حسين المعلم عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

- **وفي الباب سبع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، مشهور لقبه ذو الأذنين، مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين. وقد جاوز المائة ع][1].

(١) تقريب التهذيب (١/ ١١٥)، وانظر الإصابة في معرفة الصحابة (١/ ٤٢).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان).**

وعند أحمد من رواية قتادة: «**ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان**»(١).

وعند النسائي: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه**»(٢).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).**

وفي الصحيح: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»(٣).

ش/ تنبيه:

ثنّىٰ الضمير هنا، وأنكره في حديث الخطيب: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوىٰ. فقال رسول الله ﷺ: **بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعصِ الله ورسوله**»(٤). وأحسن ما وقفت عليه من دفع التعارض بين هذا وحديث الباب حمل النهي في حديث الخطيب علىٰ الأدب والأولىٰ، وحمل التثنية في حديث الباب علىٰ الجواز، والله أعلم.

فائدة:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فمن أحبَّ الله ورسوله محبةً صادقة

---

(١) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ١٧٢) رقم (١٢٧٨٨).

(٢) السنن الكبرىٰ، كتاب الإيمان وشرائعه، باب طعم الإيمان (٦/ ٥٢٧) رقم (١١٧١٨).

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١/ ١٢) رقم (١٦).

(٤) مسلم، في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٤/ ٥٩٤) رقم (٨٧٠).

من قلبه؛ أوجب له ذلك أنْ يُحبَّ بقلبه ما يُحبُّه الله ورسولُه، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضىٰ بما يرضىٰ الله ورسوله، ويَسخط ما يَسْخَطُهُ الله ورسوله، وأنْ يعمل بجوارحه بمقتضىٰ هذا الحبِّ والبغض][1].

❁ المسألة الرابعة: قوله: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله).

وفي الصحيح من رواية سليمان بن حرب: «**ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله عَزَّوَجَلَّ**»[2].

وعند النسائي: «**وأن يحب في الله وأن يبغض في الله**»[3].

وعند أحمد: «**ورجل يحب رجلًا لا يحبه إلا لله**»[4].

وعنده: «**والرجل يحب الرجل لا يحبه إلا لله**»[5].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).

وفي الصحيح: «**وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[6].

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣/ ١١٥٠).

(٢) البخاري، في الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقىٰ في النار من الإيمان (١/ ١٣) رقم (٢١).

(٣) السنن الصغرىٰ، كتاب الإيمان وشرائعه، باب طعم الإيمان (٨/ ٩٤) رقم (٤٩٨٧).

(٤) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ٢٣٠) رقم (١٣٤٣١).

(٥) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ٢٨٨) رقم (١٤١٠٢).

(٦) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١/ ١٢) رقم (١٦).

وفيه أيضًا: «ومن يكره أن يعود في الكفر، بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار»(١).

وعند أحمد: «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها»(٢).

وعنده من رواية محمد بن جعفر: «ومن كان أن يلقىٰ في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله عَزَّوَجَلَّ منه»(٣).

وعنده من رواية المؤمل بن إسماعيل: «وأن يكره العبد أن يرجع عن الإسلام كما يكره أن يقذف في النار، وأن يحب العبد العبد لا يحبه إلا لله عَزَّوَجَلَّ»(٤).

وعنده من رواية يونس وحسن بن موسىٰ: «ورجل أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديًا نصرانيًا - قال حسن -: أو نصرانيًا»(٥).

ش/ وفيه ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى:

فيما جاء من السنة متضمنًا معنىٰ هذا الحديث: اعلم أيها المسلم - هديت إلىٰ

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٠٣) رقم (١٢٠٢١).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٧٢) رقم (١٢٧٨٨).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٧٤) رقم (١٢٨٠٦).

(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٣٠) رقم (١٣٤٣١).

مراشد أمورك ورزقت السداد في الأقوال والأعمال - أن الأحاديث في هذا المعنىٰ إن لم تكن متواترة تواترًا معنويًّا يُوجب العلم والعمل؛ فهي مستفيضة، وهاك بعضها:

الأول: حديث: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا**»(١).

الثاني: عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا. غفر له ذنبه**»(٢).

الثالث: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطىٰ لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»(٣).

الرابع: عن نوفل بن مسعود، قال: دخلنا علىٰ أنس بن مالك، فقلنا: حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاث من كن فيه؛ حرم علىٰ النار وحرمت النار عليه؛ إيمان بالله، وحب الله، وأن يلقىٰ في النار فيحرق أحب إليه من أن يرجع في الكفر**»(٤).

---

(١) سيأتي - إن شاء الله - تحت الباب الحادي عشر، باب: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا**».

(٢) مسلم، في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة (١/ ٢٩٠) رقم (٣٨٦).

(٣) سنن أبي داود، في السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه (٤/ ٢٢٠) رقم (٤٦٨١).

(٤) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١١٣) رقم (١٢١٤٣).

الفائدة الثانية:

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة بالشيء يتبع المحبة ل،ه فمن أحب شيئًا أو اشتهاه إذا حصل له مراده؛ فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ...

قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها؛ فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يُكتَفىٰ فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قلت: ولا يكون كذلك إلا إذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه.

قال: وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

قلت: فإن من أحب مخلوقًا لله لا لغرض آخر كان هذا من تمام حبه لله؛ فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحب أنبياء الله وأولياءه لأجل قيامهم بمحبوبات الله لا لشيء آخر؛ فقد أحبهم لله لا لغيره.

قال: ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار.

قلت: وإنما كره الضد لما دخل قلبه من محبة الله، فانكشف له بنور المحبة محاسن الإسلام، ورذائل الجهل والكفران، وهذا هو المحب الذي يكون مع من

أحب، كما في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل سأل النبي ﷺ: متىٰ الساعة؟ فقال: «**ما أعددت لها؟**». قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت مع من أحببت**»[(١)].

وفي رواية للبخاري: «فقلنا: ونحن كذلك. قال: «**نعم**». قال أنس: ففرحنا يومئذٍ فرحًا شديدًا»[(٢)]...

قوله: «كما يكره أن يقذف في النار»؛ أي: يستوي عنده الأمران: الإلقاء في النار والعود في الكفر.

قلت: وفي الحديث من الفوائد:

أن الله تعالىٰ يحبه المؤمنون، وهو تعالىٰ يحبهم، كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[(٣)].

وفيه رد ما يظنه الناس من أنه من ولد علىٰ الإسلام أفضل ممن كان كافرًا فأسلم، فمن اتصف بهذه الأمور هو أفضل ممن لم يتصف بها مطلقًا؛ ولهذا كان السابقون الأولون أفضل ممن ولد علىٰ الإسلام.

وفيه رد علىٰ الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عَزَّوَجَلَّ (٨/ ٤٠) رقم (٦١٧١)، مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب المرء مع من أحب (٤/ ٢٠٣٢) رقم (٢٦٣٩).

(٢) البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل عمر بن الخطاب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ١٢) رقم (٣٦٨٨).

(٣) [المائدة: ٥٤].

مطلقًا، والصواب: إن لم يتب كان ناقصًا، وإن تاب فلا؛ ولهذا كان المهاجرون والأنصار أفضل هذه الأمة وإن كانوا في أول الأمر كفارًا يعبدون الأصنام، بل المنتقل من الضلال إلىٰ الهدىٰ ومن السيئات إلىٰ الحسنات؛ يضاعف له الثواب. «قاله شيخ الإسلام».

وفيه دليل علىٰ عداوة المشركين وبغضهم؛ لأن من أبغض شيئًا أبغض من اتصف به، فإذا كان يكره الكفر كما يكره أن يلقىٰ في النار؛ فكذلك يكره من اتصف به](١) اهـ.

الفائدة الثالثة:

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [هذا حديث عظيم، أصل من أصول الإسلام، قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: معنىٰ حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك علىٰ عرض الدنيا، ومحبة العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ.

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث بمعنىٰ الحديث المتقدم: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا**»، وذلك أنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة، وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ، وكراهة الرجوع إلىٰ الكفر، إلا لمن قوىٰ بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٧٧ - ٤٧٩)، وانظر مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام (١٠/ ٢٠٥ - ٢١٠).

لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته. قال: والحب في الله من ثمرات حب الله.

قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب علىٰ ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب ويكره ما كره][1].

❁ المسألة السادسة: قوله: (لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين).

وعند النسائي: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ماله وأهله والناس أجمعين**»[2] وذكر الحديث.

❁ المسألة السابعة: قوله: (لا يؤمن عبد حتىٰ يحب لجاره - أو قال: لأخيه - ما يحب لنفسه).

وعند أحمد من رواية محمد بن جعفر: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه - أو: لجاره - ما يحب لنفسه**». ولم يشك حجاج[3].

وزاد روح في المسند: «**من خير**»[4].

وفي لفظ آخر عن شعبة: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب للناس ما يحب لنفسه**»[5].

(١) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١/ ١٢٢).

(٢) السنن الصغرىٰ، كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة الإيمان (٨/ ١١٥) رقم (٥٠١٤).

(٣) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٧٦) رقم (١٢٨٢٤).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٠٦) رقم (١٣١٦٩).

(٥) المصدر السابق (٤/ ٢٧٢) رقم (١٣٩٠٢).



الباب الحادي عشر

بابٌ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا»

الحديث السادس والعشرون

عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا**».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الدليل علىٰ أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا؛ فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصي الكبائر».

قال: حدثنا محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر المكي وبشر بن الحكم، قالا: حدثنا عبد العزيز - وهو ابن محمد الدراوردي - عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، مشهور، مات سنة

اثنتين وثلاثين أو بعدها وهو ابن ثمان وثمانين ع][١].

❁ المسألة الثانية: قوله: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال صاحب التحرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ «رضيت بالشيء»: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره.

فمعنىٰ الحديث: لم يطلب غير الله تعالىٰ، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته؛ فقد خلصت حلاوة الإيمان إلىٰ قلبه وذاق طعمه.

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه؛ لأن من رضي أمرًا سهل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالىٰ ولذت له، والله أعلم][٢].

قال مقيده: ويجلي معنىٰ هذا الحديث أحاديث كثيرة، منها:

الأول: حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم في الباب قبله.

الثاني: عند أحمد عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «أخذ رسول الله ﷺ

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٩٣).

(٢) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ١١١).

بيدي، فقال: **يا أبا سعيد، ثلاثة من قالهن دخل الجنة. قلت: ما هن يا رسول الله؟ قال: من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا. ثم قال: يا أبا سعيد، والرابعة لها من الفضل كما بين السماء إلىٰ الأرض، وهي الجهاد في سبيل الله**»[١].

[قال محققه: صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة].

الثالث: عند المصنف عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا سعيد، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا؛ وجبت له الجنة**». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله. ففعل، ثم قال: «**وأخرىٰ يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**»، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله**»[٢].

ويتحصل من مجموع هذه الأحاديث بضميمتها إلى ترجمة النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل الإيمان صنفان:

أحدهما: أهل الإيمان التام الكامل، وهؤلاء يشملهم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) مسند أحمد (٣/ ١٤) رقم (١١١١٧).

(٢) مسلم، في الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالىٰ للمجاهد في الجنة من الدرجات (٣/ ١٥٠١) رقم (١٨٨٤).

حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١).

الصنف الثاني: أهل الإيمان الناقص، وهؤلاء هم أهل الإيمان العام، فعقيدة أهل السنة في هؤلاء أنهم مؤمنون بإيمانهم فساق بكبائرهم، وقد يقولون: مؤمنون ناقصو الإيمان. وهذا هو حكمهم عليهم في الدنيا، وأما حكمهم في الآخرة فإن لقوا الله دون توبة من كبائر الذنوب فهم تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم، ومن عذبه لا يخلده في النار.

وما أحسن ما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ومن مات من أهل القبلة مُوَحِّدًا يُصلىٰ عليه، ويُستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، أمره إلىٰ الله](٢) اهـ.



---

(١) [الأنفال: ٢ – ٤].

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، عقيدة أحمد بن حنبل (١/ ٣١١).



الباب الثاني عشر

بابٌ: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا

الحديث السابع والعشرون

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتىٰ يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر». غير أن في حديث سفيان: «وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق».

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف الحديث الأول في باب: «بيان خصال المنافق»، من طرق عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذكره.

ثانيًا: أخرج الحديث الثاني في نفس الباب، وقال: حدثنا يحيىٰ بن أيوب،

وقتيبة بن سعيد، واللفظ ليحيىٰ، قالا: حدثنا إسماعيل بن جعفر، قال: أخبرني أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به.

- **وفيهما:**

قوله: (عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد - بالتصغير - ابن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن. أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة علىٰ الأصح، بالطائف علىٰ الراجح ع][(١)].

أخرج البخاري حديث ابن عمرو بلفظ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»**[(٢)]. تابعه شعبة عن الأعمش.

وأخرجه أحمد بلفظ: **«أربع من كن فيه كان منافقًا أو: كانت فيه خصلة من الأربع كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها»**[(٣)] الحديث.

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٣١٥).

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق (١/ ١٦) رقم (٣٣).

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٨٩) رقم (٦٧٦٨).

وعنده من رواية أبي الحجاج: «**ثلاث إذا كن في الرجل فهو المنافق الخالص: إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن اؤتمن خان، ومن كانت فيه خصلة منهن لم يزل يعني فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها**»(١).

وعند المصنف من رواية العلاء بن عبد الرحمن: «**وقال: آية المنافق ثلاث وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم**»(٢).

ش/ والمعنىٰ أنه: «**وإن صام وصلىٰ وزعم أنه مسلم**»، لا يزول عنه النفاق العملي بذلك حتىٰ يدع تلك الخصال.

وأخرج النسائي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق؟ إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، فمن كانت فيه واحدة منهن لم تزل فيه خصلة من النفاق حتىٰ يتركها**»(٣).

ش/ قلت: ويتحصل من مجموع روايات الحديثين:

أن خصال النفاق العملي خمس وهي: الكذب في الحديث، والخُلف في الوعد، وخيانة الأمانة، والغدر في العهد، والفجور في الخصومة.

تنبيه:

وما أحسن ما قاله الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو (٢/ ٢٠٠) رقم (٦٨٧٩).

(٢) مسلم كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) رقم (٥٩).

(٣) السنن الصغرىٰ، في الإيمان وشرائعه، باب علامة المنافق (٨/ ١١٧) رقم (٥٠٢٣).

«وإنما معنىٰ هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب علىٰ عهد رسول الله ﷺ، هكذا روي عن الحسن البصري شيء من هذا أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق العمل، ونفاق التكذيب»(١).

قال مقيده: وبهذا تعلم أن النفاق علىٰ ضربين:

أحدهما: نفاق اعتقادي، وهو كفر في الباطن، وهو الذي أخبر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن أهله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾(٢). وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(٣) إلىٰ آخر السورة.

وهو أنواع:

أحدها: تكذيب النبي ﷺ.

الثاني: تكذيب بعض ما جاء به النبي ﷺ.

الثالث: بغض النبي ﷺ.

الرابع: بغض بعض ما جاء به النبي ﷺ.

---

(١) جامع الترمذي، في الإيمان بالله وشرائعه، باب ما جاء في علامة المنافق (٥/ ١٩) رقم (٢٦٣٢).

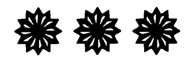
(٢) [النساء: ١٤٥].

(٣) [المنافقون: ١].

الخامس: كراهية انتصار دين الله.

السادس: المسرة بانخفاض دين الله.

الضرب الثاني: النفاق العملي، وهو ما تضمنته أحاديث الباب، وسمي عمليًّا؛ لأنه متعلق بالمعاملات فيما بين الناس.





الباب الثالث عشر

بابٌ: مَثَلُ المؤمن كالزرع، ومثل المنافق والكافر كالأرزة

الحديث التاسع والعشرون

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها أخرىٰ حتىٰ تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية علىٰ أصلها لا يفيئها شيء حتىٰ يكون انجعافها مرة واحدة».

وفي رواية: «وتعدلها مرة حتىٰ يأتيه أجله، ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية التي لا يصيبها شيء».

الحديث الثلاثون

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «أخبروني بشجرة شبه أو: كالرجل المسلم لا يتحات ورقها»، قال إبراهيم: لعل مسلمًا قال: «وتؤتي أكلها». وكذا وجدت عند غيري أيضًا: «ولا تؤتي أكلها كل حين». قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديث كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في باب: «مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز»(١) من رواية أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبد الله بن نمير ومحمد بن بشر، قالا: حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعد بن إبراهيم حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فذكره.

ثانيًا: أخرج حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، باب: **«مثل المؤمن مثل النخلة»**(٢).

قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فذكره.

- **وفي الباب ست عشرة مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

ش/ هو [كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي - بالفتح - المدني، صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا، مات في خلافة علي ع](٣).

❁ المسألة الثانية: قوله: (مثل المؤمن).

ش/ يعني: حاله ووصفه.

---

(١) مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٤/ ٢١٦٣) رقم (٢٨١٠).

(٢) مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٤/ ٢١٦٦) رقم (٢٨١١).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ٤٦١).

❁ المسألة الثالثة: قوله: (كمثل الخامة من الزرع).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كمثل خامة الزرع**»(١).

وعند أحمد من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كمثل السنبلة**»(٢).

وعند ابن حبان من رواية سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كالزرع»(٣).

قال الدارمي عقب روايته حديث كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [قال أبو محمد: الخَامَة: الضَّعيف](٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هي: الطاقة والقصبة اللينة**»(٥).

❁ المسألة الرابعة: قوله: (تفيئها الريح).

وعند المصنف من وجه آخر: «**تفيئها الرياح**»(٦).

---

(١) البخاري، في المرضىٰ، باب ما جاء في كفارة المرض (٩/ ١٣٧) رقم (٧٤٦٦).

(٢) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٣٤٩) رقم (١٤٨٠٣).

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، في الجنائز، باب ذكر تمثيل المصطفىٰ ﷺ المؤمن بالزرع في كثرة ميلانه (٧/ ١٧٨) رقم (٢٩١٥).

(٤) سنن الدارمي، في الرقاق، باب مثل المؤمن مثل الزرع (٢/ ٤٠٠) رقم (٢٧٤٩).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، للنووي (١٧/ ١٥١).

(٦) مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٤/ ٢١٦٤) رقم (٢٨١٠).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يفيء ورقه**»[(١)].

وعند أحمد من حديث كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تقيمها الرياح**»[(٢)].

وعند ابن حبان من رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تزال الريح تفيئه**»[(٣)].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (تصرعها مرة وتعدلها أخرىٰ).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من حيث أتتها الريح تكفئها، فإذا سكنت اعتدلت**»[(٤)].

وعنه عند أحمد: «**من حيث انتهىٰ الريح كفتها، فإذا سكنت اعتدلت**»[(٥)].

وعنده عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تخر مرة وتستقيم مرة**»[(٦)].

وعنده من رواية أخرىٰ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مرة تستقيم، ومرة تميل وتعتدل**»[(٧)].

وعند الدارمي من حديث كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تعدلها مرة وتضجعها أخرىٰ،**

---

(١) البخاري، في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٩/ ١٣٧) رقم (٧٤٦٦).

(٢) مسند أحمد، مسند كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٤٥٤) رقم (١٥٨٠٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البخاري، في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٩/ ١٣٧) رقم (٧٤٦٦).

(٥) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٥٢٣) رقم (١٠٧٨٥).

(٦) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٣٤٩) رقم (١٤٨٠٣).

(٧) المصدر السابق (٣/ ٣٩٤) رقم (١٥٢٨٢).

حتىٰ يأتيه الموت»[١].

وعند البخاري: «**وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء**»[٢].

ش/ قلت: وفيه النص الصريح علىٰ أن المؤمن محل الابتلاء أكثر من غيره، وفي «المسند» عن مصعب بن سعد، قال: قال سعد: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، حتىٰ يبتلىٰ العبد علىٰ قدر دينه، ذاك، فإن كان صلب الدين، ابتلي علىٰ قدر ذاك**». وقال مرة: «**أشد بلاءً، وإن كان في دينه رقة؛ ابتلي علىٰ قدر ذاك**». وقال مرة: «**علىٰ حسب دينه**». قال: «**فما تبرح البلايا عن العبد حتىٰ يمشي في الأرض - يعني - وما إن عليه من خطيئة**»[٣].

❁ **المسألة السادسة: قوله: (حتىٰ تهيج).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ومعنىٰ: «**تهيج**»: تيبس][٤].

قلت: وفي الكتاب الكريم: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾[٥] الآية.

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٨٠) رقم (١٥٥٥).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١٧/ ١٥١).

(٥) [الحديد: ٢٠].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (ومثل الكافر).**

وعند المصنف من رواية سفيان: «**ومثل المنافق**»(١).

ش/ والظاهر أن المثل مضروب للكافر الخالص، والمنافق نفاق اعتقاد.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (كمثل الأرزة المجذية علىٰ أصلها لا يفيئها شيء).**

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كمثل الأرزة صماء معتدلة**»(٢).

وعند مسلم من رواية عبد الرحمن بن مهدي وبشر بن السري عن سفيان: «**مثل الأرزة المجذية التي لا يصيبها شيء**»(٣).

وعند أحمد: «**مثل الأرزة المجذية علىٰ أصلها لا يقلها شيء**»(٤).

وعند ابن حبان: «**كالشجرة الأرز**»(٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [وأما «**الأرزة**» فبفتح الهمزة وراء ساكنة ثم زاي، هذا هو المشهور في ضبطها، وهو المعروف في الروايات وكتب الغريب، وذكر الجوهري

---

(١) أخرجه مسلم، في صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٧/ ١١٤) رقم (٥٦٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم، في صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٤/ ٢١٦٤) رقم (٢٨١٠).

(٤، ٥) سبق تخريجه.

وصاحب «نهاية الغريب» أنها تقال أيضًا بفتح الراء.

قال في النهاية: وقال بعضهم: هي «**الآرزة**» بالمد وكسر الراء علىٰ وزن «فاعلة». وأنكرها أبو عبيد، وقد قال أهل اللغة: الآرزة بالمد هي الثابتة. وهذا المعنىٰ صحيح هنا؛ فإنكار أبي عبيد محمول علىٰ إنكار روايتها كذلك لا إنكار لصحة معناها.

قال أهل اللغة والغريب: شجر معروف يقال له: الأرزن. يشبه شجر الصنوبر - بفتح الصاد -، يكون بالشام وبلاد الأرمن، وقيل: هو الصنوبر](١) اهـ.

❁ المسألة التاسعة: قوله: (حتىٰ يكون انجعافها مرة واحدة).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حتىٰ يقصمها الله إذا شاء**»(٢).

وعند أحمد من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا يزال مستقيمًا حتىٰ يخر ولا يشعر**»(٣).

وعنده من حديث كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حتىٰ يكون انجعافها يختلعها - أو: انجعافها مرة واحدة -**»(٤): شك عبد الرحمن.

وعند ابن حبان: «**لَا تَهْتَزُّ حَتَّىٰ تستحصد**»(٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [وقوله ﷺ: «**تستحصد**». بفتح أوله وكسر الصاد، ضبطناه، وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين، وعن بعضهم بضم أوله وفتح الصاد علىٰ ما لم يسم فاعله، والأول أجود، أي: لا تتغير حتىٰ تنقلع مرة واحدة كالزرع الذي

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٩/ ١٨٦).

(٢، ٣، ٤، ٥) سبق تخريجه.

انتهىٰ يبسه][1].

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (حتىٰ يأتيه أجله).**

وعند الدارمي: «**حتىٰ يأتيه الموت**»[2].

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني).**

وعند المصنف من رواية مجاهد: «قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: **أخبروني**»[3].

وعند الشيخين من رواية مجاهد: «كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار»[4].

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (بشجرة شبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها).**

وعند المصنف من رواية مجاهد: «**عن شجرة، مثلها مثل المؤمن**»[5].

وعنده من رواية عبد الله بن دينار: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي**»[6].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٩/ ١٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٤/ ٢١٦٦) رقم (٢٨١١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفهم في العلم (١/ ٢٥) رقم (٧٢)، ومسلم، في صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة (٤/ ٢١٦٥) رقم (٢٨١١).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) المصدر السابق (٤/ ٢١٦٤) رقم (٢٨١١).

وفي الصحيح من رواية عبيد بن إسماعيل: «**بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم**»(١).

وعنده من رواية عمر بن حفص بن غياث: «**إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم**»(٢).

*** المسألة الثالثة عشرة: قوله: (تؤتي أكلها كل حين).**

وفي الصحيح: «**تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**»(٣).

*** المسألة الرابعة عشر: قوله: (فوقع في نفسي أنها النخلة).**

وعند المصنف من رواية مجاهد: «فجعل القوم يذكرون شجرًا من شجر البوادي، قال ابن عمر: وألقي في نفسي - أو: روعي - أنها النخلة»(٤).

وعند أحمد من رواية عبد الله بن دينار: «ووقع في قلبي»(٥).

وعنده: «ووقع في صدري»(٦).

---

(١) البخاري، في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (٦/ ٧٩) رقم (٤٦٩٨).

(٢) البخاري، في الأطعمة، باب أكل الجمار (٧/ ٨٠) رقم (٥٤٤٤).

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (٨/ ٣٤) رقم (٦١٤٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٢٣) رقم (٦٠٥٢).

(٦) نفس المصدر السابق (٢/ ١٥٧) رقم (٦٤٦٨).

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا).**

وعند المصنف من رواية مجاهد: «فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم»(١).

وعند أحمد من رواية عبد الله بن دينار: «فاستحييت أن أتكلم»(٢).

وعنده: «وكنت من أحدث الناس»(٣).

❁ **المسألة السادسة عشرة: قوله: (فقال عمر: لأن تكون قلتها؛ أحب إلي من كذا وكذا).**

وعند المصنف من رواية عبد الله بن دينار: «فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: هي النخلة. أحب إلي من كذا وكذا»(٤).

وفي الصحيح: «يا أبتاه، وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا. قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما؛ فكرهت»(٥).

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٥٧) رقم (٦٤٦٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) البخاري، في الأدب، باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (٨/ ٣٤) رقم (٦١٤٤).

وفي رواية أخرىٰ: «فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا. قال عمر: لأن تكون قلتها؛ أحب إلي من كذا وكذا»[(١)].

وعند أحمد من رواية عبد الله بن دينار: «فذكرت ذلك لعمر، فقال: يا بني ما منعك أن تتكلم، فوالله لأن تكون قلت ذلك أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»[(٢)].

من فقه الأحاديث:

يتحصل من حديثي الباب وما انضم إليهما من الفقه العظيم ما يأتي:

أولًا: في تشبيه المؤمن بالخامة كما في حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتشبيه المسلم بالنخلة كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ تنبيه إلىٰ حميد خصال المؤمن، وكريم خلقه، ولين عريكته في الاستجابة للخير، والتحلي بالخصال الحميدة.

ثانيًا: في تشبيه الكافر والمنافق بالأُرْزة؛ تنفير بليغ يتضمن التحذير من الكفر والنفاق وأن لا يغتر بإمهال الله إياهما؛ فإن ذلك من الاستدراج، قال تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٣)]، وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[(٤)].

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) [القلم: ٤٤].

(٤) [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته.** قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»[1].

ثالثًا: المذاكرة في العلم.

رابعًا: إن منفعة المؤمن ليست قاصرة علىٰ نفسه بل هي متعدية إلىٰ غيره، ومن هذه المنافع المتعدية العلم.

خامسًا: فيه منقبة من مناقب ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهي عدم إخباره أن تلك الشجرة هي النخلة، وذلك توقيرٌ منه لأكابر القوم مثل أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سادسًا: من الخصال الجميلة والسجايا الحميدة عدم التصدر للمسائل إذا كان في المجلس أسنان القوم وفضلاؤهم، ويجب تقييد هذا بالمسائل العادية التي لا يفوت بعدم الكلام فيها مصلحة شرعية يجب بيانها علىٰ من أدركها من المذاكرة.

سابعًا: فيه أسلوب من أساليب التشويق، وهو طرح المسألة علىٰ الجالسين في صورة سؤال حتىٰ يتهيئوا لفقهها إذا لم يدركوها من السؤال.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري، في تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

تتمة

وفي هذه التتمة ننقل لك فائدتين نفيستين:

الفائدة الأولى: فوائد مضافة إلى ما تقدم من فقه حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خاصة:

- فيه دليل علىٰ أنه يجوز للعالم أن يطرح علىٰ أصحابه ما يختبر به علمهم؛ لأن ما جرىٰ منه في المذاكرة لا يكاد ينسىٰ.

- وفيه ضرب الأمثال بالشجر وغيره.

- وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من أكابرهم، وإجلالهم، وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم.

- وفيع أنه شبه النبي ﷺ النخلة بالمسلم، كما شبهها الله في كتابه، وضرب بها المثل للناس، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

- وفيه استحباب إلقاء العالم المسألة علىٰ أصحابه؛ ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر والاعتناء.

- وفيه توقير الكبار كما فعل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) [إبراهيم: ٢٦].

- وفيه سرور الإنسان بنجابة ولده وحسن فهمه، وقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن تكون قلت: هي النخلة. أحب إلي». أراد بذلك أن النبي ﷺ كان يدعو لابنه ويعلم حسن فهمه ونجابته.

- وفيه أن العالم الكبير قد يخفىٰ عليه بعض ما يدركه من هو دونه؛ لأنَّ العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء.

- وفيه إذا علم الصغير ما يجهل الكبير؛ فإنه ينبغي لمن كان عنده علم أن يذكره وينزع به وإن كان صغيرًا، ولا يعد ذلك منه سوء أدب، ولا تنقصًا لحق الكبير في التقدم عليه، وعلىٰ ذلك دل قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: «لأن تكون قلت: هي النخلة. أحب إلي من كذا وكذا».

الفائدة الثانية: في أوجه الشبه بين النخلة والمؤمن:

ذكر أهل العلم في أوجه الشبه بين المؤمن والنخلة أحد عشر وجهًا، وهاك هي:

١- في كثرة خيرها.

٢- دوام ظلها.

٣- طيب ثمرها.

٤- وجود ثمرها علىٰ الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتىٰ ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة.

٥- جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها.

٦- لا تحمل حتىٰ تلقح.

٧- ثبات أصلها في الأرض واستقراره فيها، وليست بمنزلة الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

٨- دوام لباسها وزينتها؛ فلا يسقط عنها صيفًا ولا شتاءً، كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوىٰ وزينتها حتىٰ يوافي ربه تعالىٰ.

٩- سهولة تناول ثمرتها وتيسره، وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله، لا بالغر ولا باللئيم.

١٠- إذا قطع رأسها يبست، وسائر الأشجار تتشعب من جوانبها بعد قطع رؤوسها.

١١- أن ثمرتها من أنفع ثمار العالم؛ فإنه يؤكل رطبه فاكهة وحلاوة، ويابسه يكون قوتًا وإدامًا وفاكهة، ويتخذ منه الخل والحلوىٰ، ويدخل في الأدوية والأشربة، وعموم المنفعة به وبالعنب فوق كل الثمار[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٣٠٧)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٤٨)، وشرح البخاري لابن بطال (١/ ١٤١) (٩/ ٣١٧)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج للنووي (١٧/ ١٥٣ - ١٥٥)، وزاد المعاد (٤/ ٣٩٧)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٣٠)، وفتح الباري (١/ ١٤٥ - ١٤٧).



الباب الرابع عشر

باب: الحياء من الإيمان

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو: بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان».

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط، وفينا بُشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله»، أو قال: الحياء كله خير». فقال بُشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف. فغضب عمران حتىٰ احمرتا عيناه، وقال: ألا أُراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث. قال: فأعاد بُشير. فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به.

التخريج:

أولًا: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه المصنف في باب: «بيان عدد شعب

الإيمان، وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان».

وقال: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب، وقال: حدثنا يحيىٰ بن حبيب الحارثي، حدثنا حماد بن زيد، عن إسحاق - وهو ابن سويد -: أن أبا قتادة حدث؛ فذكره.

- **وفي الباب تسع مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (الإيمان بضع وسبعون - أو: بضع وستون - شعبة).**

كذا بالشك هنا.

وفي راوية سليمان بن بلال عن ابن دينار بالجزم: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»(١).

ش/ قلت: والبضع هو العدد من الثلاثة إلىٰ التسعة، والشعبة هي الطائفة والقطعة من الشيء، والمعنىٰ: أن الإيمان خصال وشعب متعددة.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (فأفضلها: لا إله إلا الله).**

وعند أحمد: «**أفضلها لا إله إلا الله**»(٢).

---

(١) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٣٥)

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤١٤) رقم (٩٣٥٠).

وعند ابن أبي شيبة: «**أعظمها: لا إله إلا الله**»(١).

وعند ابن حبان: «**أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله**»(٢).

ش/ والجمع بين هذه الروايات الأربع أن «لا إله إلا الله» هي أصل الدين والإيمان وأساسه، ودونها لا إسلام ولا إيمان؛ إذ معناها الذي جاءت به النبيون والمرسلون: لا معبود بحق إلا الله.

قلت: ويدل لذلك من آيِ التنزيل الكريم ما لا يحصىٰ، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾(٣).

۞ المسألة الثالثة: قوله: (وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق).

وعند النسائي: «**وأوضعها: إماطة الأذىٰ عن الطريق**»(٤) صححه الألباني.

وعند أبي داود: «**وأدناها: إماطة العظم عن الطريق**»(٥) صححه الألباني.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، في الأدب، باب ما ذكر في الحياء وما جاء به (٨/ ٣٣٣).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب فرض الإيمان، باب ذكر البيان بأن الإيمان أجزاء وشعب لها أعلىٰ وأدنىٰ (١/ ٣٨٤) رقم (١٩١).

(٣) [الأنبياء: ٢٥].

(٤) السنن الصغرىٰ، كتاب الإيمان وشرائعه، باب ذكر شعب الإيمان (٨/ ١١٠) رقم (٥٠٠٥)، صحيح وضعيف سنن النسائي للألباني؛ رقم (٥٠٠٥).

(٥) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء (٤/ ٢١٩) رقم (٤٦٧٦)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني؛ رقم (٤٦٧٦).

ش/ قلت: الأذىٰ كل ما يُتأذىٰ منه، سواء كان في الممرات أو التجمعات العامة، واتفقت الروايات علىٰ أن إزالته من شعب الإيمان وخصاله، وفي ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نزع رجل لم يعمل خيرًا قط غصن شوك عن الطريق؛ إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعًا فأماطه؛ فشكر الله له بها، فأدخله الجنة**»[١] صححه الألباني.

وفي ختم حديثنا علىٰ شعب الإيمان نسوق كلامًا نفيسًا لابن حبان؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[الدليل علىٰ أن الإيمان أجزاء بشعب؛ أن النبي ﷺ قال - في خبر عبد الله بن دينار -: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله**»، فذكر جزءًا من أجزاء شعبه هي كلها فرض علىٰ المخاطبين في جميع الأحوال؛ لأنه ﷺ لم يقل: وأني رسول الله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار. وما يشبه هذا من أجزاء هذه الشعبة، واقتصر علىٰ ذكر جزء واحد منها، حيث قال: «**أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله**». فدل هذا علىٰ أن سائر الأجزاء من هذه الشعبة كلها من الإيمان، ثم عطف فقال: «**وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**»، فذكر جزءًا من أجزاء شعبه هي نفل كلها للمخاطبين في كل الأوقات، فدل ذلك علىٰ أن سائر الأجزاء التي هي من هذه الشعبة، وكل جزء من أجزاء الشعب التي هي من بين الجزأين المذكورين في هذا الخبر، اللذين هما من أعلىٰ الإيمان وأدناه؛

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في إماطة الأذىٰ عن الطريق (٤/ ٣٦٢) رقم (٥٢٤٥)، صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني؛ رقم (٥٢٤٥).

كله من الإيمان][1] اهـ محل الغرض.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (والحياء شعبة من الإيمان).**

وعند ابن حبان: «**والحياء من الإيمان**»[2].

ش/ ولا منافاة بين هذه الرواية ورواية الباب وما في معناهما؛ إذ المعنىٰ أن الحياء من خصال الإيمان.

تنبيه:

في الترمذي: «**الإيمان أربعة وستون بابًا**»[3]، وعند ابن ماجه: «**الإيمان بضع وستون - أو سبعون - بابًا**»[4] والجمع بين هذه الروايات وحديث الباب: أن العدد لا مفهوم له، والله أعلم.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به سهيل بن أبي صالح (١/ ٣٨٦).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «**فإنها مؤمنة**» (١/ ٤٢٠).

(٣) جامع الترمذي، في الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه (٥/ ١٠) رقم (٢٦١٤).

(٤) سنن ابن ماجه، في المقدمة، باب في الإيمان (١/ ٢٢) رقم (٥٧)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه للألباني؛ رقم (٥٧).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [الحارث - ويقال: عمرو، أو النعمان - بن رِبعي - بكسر الراء وسكون الموحدة بعدها مهملة - بن بلدمة - بضم الموحدة والمهملة بينهما لام ساكنة - السلمي - بفتحتين - المدني، شهد أحدًا وما بعدها ولم يصح شهوده بدرًا، ومات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمانٍ وثلاثين. والأول أصح وأشهر ع][1].

❁ **المسألة السادسة: قوله: (عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [أبو نُجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلًا، وقضىٰ بالكوفة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة ع][2].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (بُشَير بن كعب).**

ش/ هو [بشير - مصغر - بن كعب بن أبي الحميري العدوي أبو أيوب البصري، ثقة مخضرم، من الثانية خ ٤][3].

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (الحياء خير كله، أو قال: الحياء كله خير).** كذا بالشك.

وعند أحمد من رواية أبي السوار العدوي: «**الحياء خيرٌ كله**»[4]؛ بالجزم.

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٦٦٦).

(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٤٢٩)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٧٠٥).

(٣) تقريب التهذيب (١/ ١٢٦).

(٤) مسند أحمد، مسند عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٤٢٦) رقم (١٩٨٣٠).

وعند البزار: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه، وقال رسول الله ﷺ: **الحياء خير كله**»(١).

ش/ وعندي: أن الشك في حديث الباب غير مؤثر في المعنىٰ.

❁ المسألة التاسعة: قوله: (إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف، فغضب عمران حتىٰ احمرتا عيناه، وقال: ألا أُراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث. قال: فأعاد بشير. فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وأما إنكار عمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فلكونه قال: «منه ضعف. بعد سماعه قول النبي ﷺ أنه خير كله».

ومعنىٰ تعارض: تأتي بكلام في مقابلته وتعترض بما يخالفه.

وقولهم: «إنه منا لا بأس به». معناه: ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة أو غيرها مما يخالف به أهل الاستقامة. والله أعلم](٢).

ش/ قال مقيده: والخبير بأحوال الناس يدرك أن من الحياء ما هو ضعف، وذلك حين يصل الأمر إلىٰ الإفراط في الحياء حتىٰ يفوت به مصالح دينية ودنيوية، وإنما أراد عمران رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن لا يعارض أحدٌ السنة بمجرد الرأي والاجتهاد،

---

(١) مسند البزار (١٣/ ٤٣٤) رقم (٧١٨٢).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ١١٦).

وقد أبان ذلك النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما نقلناه عنه.

من فقه الأحاديث:

وقد أفادت أحاديث الباب وما انضم إليها فوائد عظيمة منها:

أولًا: أن أعلىٰ شعب الإيمان وأفضلها الشهادة؛ إذ هي إقرار المكلف علىٰ نفسه لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، فلا إيمان دون ذلك.

ثانيًا: الحض علىٰ الاستكثار من خصال الخير.

ثالثًا: في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صراحة شاهد لحد الإيمان عند أهل السنة؛ أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، والله أعلم.

رابعًا: تسكين العالم إذا وجد في مجلسه ما يثير غضبه، ومن ذلك الثناء علىٰ من ظنه معارضًا للسنة بقوله.





الباب الخامس عشر

بابٌ: من الإيمان حسن الجوار وإكرام الضيف

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان».

قال: حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن عبد الله بن نمير جميعًا عن ابن عيينة؛ قال ابن نمير: حدثنا سفيان، عن عمرو: أنه سمع نافع بن جبير يخبر عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن أبي شريح الخزاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [أبو شريح الخزاعي الكعبي، اسمه خويلد بن عمرو، أو عكسه،

وقيل: عبد الرحمن بن عمرو. وقيل: هانئ. وقيل: كعب. صحابي نزل المدينة، مات سنة ثمانٍ وستين علىٰ الصحيح ع][1].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (فليحسن إلىٰ جاره).**

وفي الصحيح عنه: «**فليكرم جاره**»[2].

وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**فلا يؤذي جاره**»[3].

وعند أحمد بالتأكيد: «**فلا يؤذين جاره**»[4].

ش/ قلت: وفي التنزيل الكريم: ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾[5] الآية.

فالجيران أربعة:

الأول: الجار المسلم القريب؛ فله حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار.

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٦٤٨)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٠٤).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره (٨/ ١١) رقم (٦٠١٩).

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره (٧/ ٢٦) رقم (٥١٨٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير (١/ ٦٨) رقم (٤٧).

(٤) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٤٣٣)، رقم (٩٥٩٣).

(٥) [النساء: ٣٦].

الثاني: الجار المسلم؛ فله حق الإسلام وحق الجوار.

الثالث: الجار القريب، فله حق القرابة وحق الجوار.

الرابع: الجار الكافر، فله حق الجوار فقط.

وفي الحض على إكرام الجار والإحسان إليه أحاديث كثيرة منها:

الأول: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتىٰ ظننت أنه سيورثه»**(١).

الثاني: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرسن شاة»**(٢).

الثالث: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة؛ فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»**(٣).

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فليكرم ضيفه).

وفي الصحيح: **«فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد**

---

(١) متفق عليه، البخاري كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار (٨/ ١٠) رقم (٦٠١٥)، ومسلم كتاب البر والصلة الأدب، باب الوصاة بالجار والإحسان إليه (٤/ ٢٠٢٥) رقم (٢٦٢٤).

(٢) مسلم كتاب الزكاة، باب الحث علىٰ الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من القليل لاحتقاره (٢/ ٧١٤) رقم (١٠٣٠).

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصاة بالجار والإحسان إليه (٤/ ٢٠٢٥) رقم (٢٦٢٥).

ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتىٰ يحرجه»[١].

وفيه من راوية ليث: «قال: وما جائزته يا رسول الله؟»[٢] فذكره.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فليقل خيرًا أو ليسكت).**

وفي المتفق عليه من حديث أبي شريح وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **«فليقل خيرًا أو ليصمت»**[٣].

وللمصنف من رواية شيخه أبي بكر بن أبي شيبة **«قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرًا؛ فليتكلم بخير أو ليسكت»**[٤].

وعند أحمد عن علقمة، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ: **«وليقل حقًّا أو ليسكت»**[٥].

قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: [أما قوله ﷺ: **«فليقل خيرًا أو ليصمت»**. فمعناه: أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه، واجبًا أو مندوبًا؛

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٨/ ٣٢)، رقم (٦١٣٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذِ جاره (٨/ ١١) رقم (٦٠١٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان رقم (٤٧).

(٤) مسلم في الرضاع، باب الوصية بالنساء (٢/ ١٠٩١) رقم (١٤٦٨).

(٥) مسند أحمد، من حديث أصحاب النبي ﷺ (٥/ ٢٤) رقم (٢٠٣٠٠).

فليتكلم. وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين.

فعلىٰ هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه، مندوبًا إلىٰ الإمساك عنه، مخافة من انجراره إلىٰ المحرم أو المكروه. وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١).

واختلف السلف والعلماء في أنه: هل يُكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحًا لا ثواب فيه ولا عقاب؛ لعموم الآية، أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟

وإلىٰ الثاني ذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من العلماء؛ وعلىٰ هذا تكون الآية مخصوصة، أي: ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء.

وقد ندب الشرع إلىٰ الإمساك عن كثير من المباحات؛ لئلا ينجر صاحبها إلىٰ المحرمات أو المكروهات.

وقد أخذ الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معنىٰ الحديث، فقال: «إذا أراد أن يتكلم فليفكر؛ فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه تكلم، إن ظهر له فيه ضرر، أو شَكَّ فيه؛ أمسك».

وقد قال الإمام الجليل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد، إمام المالكية بالمغرب في زمنه: جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث؛ قول النبي ﷺ: **«من كان يؤمن**

---

(١) [ق: ١٨].

بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»، وقوله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**، وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية: **«لا تغضب»**، وقوله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، والله أعلم][١].

من فقه الحديث:

هذا الحديث كبير القدر، ومن أعظم ما أُوتيه رسول الله ﷺ من جوامع الكلم؛ لما يحتويه من فوائد عظيمة منها:

أولًا: أن ما تضمنه من الخصال هي من شعار أهل الإيمان وجميل صفاتهم؛ إذ هي من شعب الإيمان الظاهرة.

ثانيًا: الحض علىٰ الإحسان إلىٰ الجار، وذلك يكون بإكرامه وكف الأذىٰ عنه في نفسه، وصيانة عرضه وماله، وسواء كان الجار من أهل الإسلام أو غيرهم.

ثالثًا: الحض علىٰ إكرام الضيف، وينصح بأن يكون من الموجود ومما جرىٰ به العرف دون تكلف وقد ظهر من خلال الروايات مدة الضيافة.

رابعًا: وجوب الصمت إذا خشي المرء أن يجره كلامه إلىٰ محرم أو مكروه، وقد أبان النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة، فأفاد وأجاد.

❁ ❁ ❁

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ١٢٨).



الباب السادس عشر

بابٌ: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

التخريج:

أخرجه المصنف تحت باب: «تحريم إيذاء الجار».

وقال: حدثنا يحيىٰ بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر؛ جميعًا، عن إسماعيل بن جعفر، قال ابن أيوب: حدثنا إسماعيل، قال: أخبرني العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (لا يدخل الجنة).

وعند أحمد وابن حبان من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد»**[1].

---

(١) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٥٤) رقم (١٢٥٨٣)، والإحسان في تقريب =

وعند البزار: «**والذي نفسي بيده لا يدخل عَبد الجنة**»(١).

❁ المسألة الثانية: قوله: (من لا يأمن جاره بوائقه).

وفي الصحيح عن أبي شريح وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوايقه**»(٢).

وعند أحمد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه**»(٣).

وعنده: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الجار لا يأمن جاره بوائقه. قالوا: يا رسول الله، وما بوائقه؟ قال: شره**»(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [البوائق: جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والفتك](٥).

ش/ قال مقيده: وفي هذا الحديث فائدتان:

=

صحيح ابن حبان، في البر والصلة والإحسان، باب الجار، ذكر الخبر الدال علىٰ أن مجانبة الرجل أذىٰ جيرانه من الإيمان (٢/ ٢٦٤) رقم (٥١٠).

(١) مسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٥٧) رقم (٧٤٣٢).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٨/ ١٠) رقم (٦٠١٦).

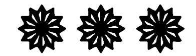
(٣) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٥٤) رقم (١٢٥٨٣)،

(٤) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٨٨) رقم (٧٨٦٥).

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ١٢٧).

الفائدة الأولىٰ: وجوب حرمة الجار.

الفائدة الثانية: أن التعدي علىٰ الجار بما يؤذيه في نفسه أو ماله أو عرضه من الكبائر المنافية لكمال الإيمان.





الباب السابع عشر

بابٌ: من الإيمان تغيير المنكر باليد واللسان والقلب

الحديث الخامس والثلاثون

عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضىٰ ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

الحديث السادس والثلاثون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب؛ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر فأنكره عليَّ، فقدم ابن مسعود فنزل بقناة، فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعوده، فانطلقت معه، فلما جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث؛ فحدثنيه كما حدثته ابن عمر.

التخريج:

أولًا: حديث طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه المصنف في باب: «بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان».

فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن سفيان (ح) وحدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة؛ كلاهما عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، وهذا حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الباب نفسه، فقال: حدثنا عمرو الناقد وأبو بكر بن النضر وعبد بن حميد - واللفظ لعبد -؛ قالوا: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثني أبي، عن صالح بن كيسان، عن الحارث، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن عبد الرحمن بن المسور، عن أبي رافع، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب اثنتا عشرة مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [أبو عبد الله الكوفي طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي، قال أبو داود: رأىٰ النبي ﷺ ولم يسمع منه. مات سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ع][1].

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٢٨١)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥١٠).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان).**

ش/ هو [أبو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين، ومات سنة خمس وستين في رمضان وله ثلاث أو إحدىٰ وستون سنة، لا تثبت له صحبة، من الثانية، قال عروة بن الزبير: «مروان لا يُتهَم في الحديث» خ ٤][1].

والمعنىٰ: أن قبل إمارته علىٰ المدينة كان الناس يبدؤون يوم العيد بالصلاة قبل الخطبة، كما كان الأمر في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وهذا الصنيع من مروان يسميه العلماء «البدعة المروانية»؛ لمخالفته سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين بعده.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة).**

ش/ لم أقف علىٰ تسمية هذا الرجل، والمعنىٰ: أنه يذكِّر أمير المدينة مروان بالسنة في العيد؛ وهي البدء بالصلاة قبل الخطبة، وهذا الصنيع من ذاك الرجل ليس به بأس، ولا يجوز الاحتجاج به علىٰ جواز الإنكار علنًا علىٰ ولي الأمر، فهو مثل الفتح علىٰ الإمام حين يخطئ في القراءة.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فقال: قد ترك ما هنالك).**

ش/ القائل هو أمير المدينة مروان.

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٥٢٥).

وعند المصنف من راوية عياض بن عبد الله بن سعد، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الأضحىٰ ويوم الفطر، فيبدأ بالصلاة، فإذا صلىٰ صلاته وسلم، قام فأقبل علىٰ الناس وهم جلوس في مصلاهم، فإن كان له حاجة ببعث ذكره للناس، أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها، وكان يقول: «**تصدقوا، تصدقوا، تصدقوا**»، وكان أكثر من يتصدق النساء، ثم ينصرف، فلم يزل كذلك حتىٰ كان مروان بن الحكم، فخرجت مخاصرًا مروان حتىٰ أتينا المصلىٰ، فإذا كثير بن الصلت قد بنىٰ منبرًا من طين ولبن، فإذا مروان ينازعني يده، كأنه يجرني نحو المنبر، وأنا أجره نحو الصلاة، فلما رأيت ذلك منه، قلت: أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: لا، يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم. قلت: كلا، والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم. ثلاث مرار، ثم انصرف»[(١)].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضىٰ ما عليه).

ش/ والمعنىٰ: أن ذلك الرجل الذي قام إلىٰ مروان فذكَّره قد قضىٰ ما عليه من واجب النصيحة، وذلك بتذكيره أن الصلاة قبل الخطبة، وليس عليه أكثر من ذلك؛ إذ برئت به ذمته.

❁ المسألة السادسة: قوله: (من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده).

ش/ معنىٰ «يغيره»: يزيله، وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فمن جاهدهم**

---

(١) مسلم كتاب صلاة العيدين، بابٌ (٢/ ٦٠٥) رقم (٨٨٩).

بيده؛ فهو مؤمن»[١].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فإن لم يستطع فبلسانه).**

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن».

ش/ والمعنىٰ: أنه في حال عجز المرء عن تغيير المنكر باليد، وجب عليه أن يغيره بلسانه، وذلك يكون بالحكمة والموعظة الحسنة من ترغيب وترهيب مبنيين علىٰ نصوص الكتاب والسنة، وهذه لأهل العلم وطلابه الذين يحسنون خطاب الخاصة والعامة.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (فإن لم يستطع فبقلبه).**

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومن جاهدهم بقلبه؛ فهو مؤمن».

ش/ والمعنىٰ: أن من عجز عن تغيير المنكر باليد واللسان؛ ففرضه إنكار المنكر بقلبه، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعباده وفضله عليهم؛ إذ لم يكلفهم من الأمر ما لا يطيقون، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]، وقال ﷺ: **«إذا أمرتكم بأمر؛ فأتوا منه ما استطعتم»**[٤].

---

(١) في نفس الباب؛ من الإيمان تغيير المنكر باليد واللسان والقلب.

(٢) [البقرة: ٢٨٦]. (٣) [التغابن: ١٦].

(٤) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ (٩/ ٩٤) رقم (٧٢٨٨)، ومسلم كتاب الحج، باب فرض الحج مرة واحدة في العمر (٢/ ٩٧٥) رقم (١٣٣٧).

وفي القواعد الفقهية للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَيسَ وَاجِبٌ بِلا اِقْتِدَارِ وَلا مُحَرَّمٌ مَعَ اضْطِرارِ

❁ المسألة التاسعة: قوله: (وذلك أضعف الإيمان).

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [«قوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» معناه - والله أعلم -: أقله ثمرة.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به؛ قولًا كان أو فعلًا؛ فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب ويردها إلىٰ أصحابها بنفسه، أو بأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره؛ إذ ذلك أدعىٰ إلىٰ قبول قوله.

كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل؛ لهذا المعنىٰ، ويغلظ علىٰ المتمادي في غيه والمسرف في بطالته؛ إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره، لكون جانبه محميًّا عن سطوة الظالم.

فإن غلب علىٰ ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده؛ اقتصر علىٰ القول باللسان والوعظ والتخويف][1].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج للنووي (٢/ ٢٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولىٰ: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة][1] اهـ محل الغرض.

قال مقيده:

اعلم أولًا: أن ما كان مطلقًا في حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يجب حمله علىٰ ما كان بالاستطاعة في حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهذا من حمل المطلق علىٰ المقيد، كما هو مقرر في الأصول.

واعلم ثانيًا: أن تغيير المنكر علىٰ ثلاث مراتب، كما في حديث أبي سعيد؛ فلا يحل لمن كان ناصحًا علىٰ بصيرة أن يخلط بينها:

فالمرتبة الأولىٰ: هي لذوي السلطان ونوابهم من رجال الحسبة ونحوهم.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٤).

والثانية: لمن يحسنون خطاب الناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

والثالثة: وهي الإنكار بالقلب، وهذه لمن عجز عن المرتبتين الأوليين، وقد سبق لك شرح ذلك.

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبة جمة، وأمَّره عمر علىٰ الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ع][(١)].

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب؛ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره).**

وعند المصنف من وجه آخر: «**ما كان من نبي إلا كان له حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته**»[(٢)].

قوله: «حَوَارِيُّونَ» [«حور» فيه: «الزبير ابن عمتي وحَوَارِيَّ من أمَّتي»؛ أي: خاصَّتي من أصحابي وناصِري.

ومنه «الحوارِيُّون: أصحاب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ»؛ أي: خلْصانُه وأنصاره.

(١) تقريب التهذيب (١/ ٣٢٣).

(٢) مسلم في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص (١/ ٧٠) رقم (٥٠).

وأصله من التَّحْوِير: التَّبْييض. قيل: إنهم كانوا قَصَّارين يُحَوِّرون الثِّياب؛ أي: يُبَيِّضونها].
حكاه ابن الأثير[1].

ش/ قلت: فبان بهذا المعنىٰ اللغوي والشرعي للحواريين.

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون).

وعند ابن حبان: «**سيكون أمراء من بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون**»[2].

وعنده: «**ثم يكون من بعدهم أقوام يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما ينكرون**»[3].

قوله: (خُلُوفٌ).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله ﷺ: «**ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف**». الضمير في «**إنها**» هو الذي يسميه النحويون ضمير القصة والشأن.

ومعنىٰ «**تخلف**» تحدث، وهو بضم اللام.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «حور».

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان باب فرض الإيمان، ذكر إطلاق اسم الإيمان علىٰ من أتىٰ جزءًا من بعض أجزائه (١/ ٤٠٣) رقم (١٧٧).

(٣) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ باب بدء الخلق، مدخل ذكر البيان بأن الأنبياء كان لهم حواريون يهدون بهديهم بعدهم (١٤/ ٧٤) رقم (٦١٩٣).

وأما «الخلوف» فبضم الخاء، وهو جمع خُلْف بإسكان اللام، وهو الخالف بشَر. وأما بفتح اللام؛ فهو الخالف بخير، والله أعلم][(١)].

ومن **الأول**: قوله تعالىٰ في المنافقين: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[(٢)].

ومن **الثاني**: حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[(٣)] «صحيح»، رواه البيهقي.



(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٨).

(٢) [التوبة: ٨٦، ٨٧].

(٣) مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق الألباني (١/ ٥٣).



الباب الثامن عشر

بابٌ: لا يحب عليًّا إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق

الحديث السابع والثلاثون

عن زر بن حبيش قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق».

قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع وأبو معاوية؛ عن الأعمش (ح) وحدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ - واللفظ له - أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب خمس مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن زر بن حبيش).**

ش/ هو [أبو مريم زر - بكسر أوله وتشديد الراء -، ابن حبيش - بمهملة

وموحدة ومعجمة مصغر -، ابن حباشة - بضم المهملة بعدها موحدة ثم معجمة - الأسدي الكوفي، ثقة جليل مخضرم، من الثانية، مات سنة إحدىٰ أو اثنتين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة ع][1].

❁ المسألة الثانية: قوله: (علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي «حيدرة، أبو تراب، وأبو الحسنين»، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأولين، ورجح جمع أنه أول من أسلم «فهو سابق العرب»، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة علىٰ الأرجح ع][2].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [وأما قوله: «فلق الحبة». فمعناه: شقها بالنبات.

وقوله: «وبرأ النسمة». هو بالهمزة؛ أي: خلق النسمة؛ وهي بفتح النون والسين، وهي الإنسان، وقيل: النفس.

وحكىٰ الأزهري: أن النسمة: هي النفس، وأن كل دابة في جوفها روح فهي نسمة، والله أعلم][3].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٢١٥).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٤٠٢)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٦٩)،

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٦٤).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي).**

وعند أحمد: «والله إنه مما عهد إلي رسول الله ﷺ»(١).

وعند الترمذي: «لقد عهد إلي النبي الأمي ﷺ»(٢).

وعند النسائي: «عهد إلي رسول الله ﷺ»(٣).

ش/ قلت: وكلا الوصفين له ﷺ في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾(٤) الآية.

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(٥).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).**

وعند الترمذي: «**أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»(٦).

ش/ قلت: ولا معارضة بين الروايتين؛ فالجمع بينهما ممكن، وذلك أن عليًّا

---

(١) مسند أحمد، مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٨٤) رقم (٦٤٢).

(٢) جامع الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، بابٌ (٥/ ٦٤٣) رقم (٣٧٣٦).

(٣) سنن النسائي الصغرىٰ كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة المنافق (٨/ ١١٥) رقم (٥٠١٨).

(٤) [الحجرات: ٧].

(٥) [الأعراف: ١٥٧]

(٦) جامع الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله بابٌ (٥/ ٦٤٣) رقم (٣٧٣٦).

ذكرها مرة بالتكلم، وذكرها أخرىٰ بالخطاب.

وأخرج البخاري في الديات عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألت عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهمًا يُعطىٰ رجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»(١).

فيتحصل من مجموع الأحاديث من الفوائد ما يأتي:

أولًا: فضيلة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما أكثر فضائله! ولولا خشية الإطالة لذكرناها، ويكفي عن ذلك أن يعلم المسلم أن مناقبه وفضائله متواترة عن النبي ﷺ.

ثانيًا: وجوب محبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن ذلك من علامات الإيمان.

ثالثًا: تحريم بغضه، وأنه من علامات النفاق، وذلك من الكبائر.

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

[من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ حيث قال يوم غدير خُم: «**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»، وقال أيضًا للعباس عمه - وقد اشتكىٰ إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم - فقال: «**والذي نفسي بيده لا**

---

(١) البخاري، كتاب الديات، باب العاقلة (٩/ ١١) رقم (٦٩٠٣).

يؤمنون حتىٰ يحبوكم لله ولقرابتي»، وقال: «**إن الله اصطفىٰ بني إسماعيل، واصطفىٰ من بني إسماعيل كنانة، واصطفىٰ من كنانة قريشًا، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل][1].

رابعًا: يجوز للمرء الدفاع عن نفسه بذكر ثناء أهل الفضل عليه، وأن ذلك ليس من تزكية النفس المحرمة.

خامسًا: الرد علىٰ طائفتين زائغتين ضالتين منحرفتين عن سبيل المؤمنين:

إحداهما: الخوارج؛ وهم الذين يكفرون عليًّا ومن معه من الصحابة وخيار التابعين.

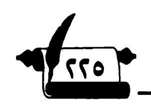
والأخرىٰ: النواصب؛ وهم من ناصبوا عليًّا وآل البيت العداوة.

سادسًا: في حديث أبي جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رد علىٰ الرافضة المدعين أن آل البيت لديهم من العلم ما لم يعلمه سائر الصحابة لا سيما أبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.



---

(١) مجموع الفتاوىٰ، العقيدة الواسطية (٣/ ١٥٤).





الباب التاسع عشر

باب: آية الإيمان حب الأنصار، وبغضهم آية النفاق

الحديث الثامن والثلاثون

عن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الدليل على أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق».

فقال: حدثني زهير بن حرب، قال: حدثني معاذ بن معاذ (ح) وحدثنا عبيد الله بن معاذ - واللفظ له - حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث عن النبي ﷺ؛ فذكره.

- **وفيه خمس مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن عدي بن ثابت).

ش/ هو [عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي، ثقة، رمي بالتشيع، من الرابعة،

مات سنة ست عشرة بعد المئة ع][1].

۞ **المسألة الثانية: قوله: (البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة، استُصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَة، مات سنة اثنتين وسبعين ع][2].

۞ **المسألة الثالثة: قوله: (الأنصار).**

ش/ الأنصار قبيلتا الأوس والخزرج بالمدينة، وهذا اسم إسلامي، جمع الله بينهما عليه؛ فصار علمًا علىٰ هاتين القبيلتين ومنقبة لهما، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

۞ **المسألة الرابعة: قوله: (لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق).**

وعند الشيخين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[4].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣٨٨).

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ١٢١)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٢٧٨).

(٣) [التوبة: ١٠٠].

(٤) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار (١/ ١٢) رقم (١٧)، ومسلم باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان (١/ ٨٥) رقم (٧٤).

وأخرج مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**»(١).

ش/ قال مقيده: وما دلت عليه هذه الأحاديث تضافر عليه الكتاب والسنة المتواترة، وأجمع عليه أئمة العلم والإيمان والدين، ومن اعتقد غيره؛ فهو مشاق لله ولرسوله ﷺ، متبع غير سبيل المؤمنين.

❁ المسألة الخامسة: قوله: (من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [ومعنىٰ هذه الأحاديث: أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام.

وعرف من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قربه من رسول الله ﷺ، وحب النبي ﷺ له، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعليًا لهذا؛ كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه؛ لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك. واستدل به علىٰ نفاقه وفساد سريرته، والله أعلم](٢).

---

(١) مسلم، باب الدليل علىٰ أن حب الأنصار وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الإيمان (١/ ٨٥) رقم (٧٤).

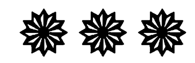
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج للنووي (٢/ ٦٤).

قال مقيده: وفي الحديث فوائد عدة:

الأولى: وجوب محبة الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن ذلك من خصال الإيمان.

الثانية: تحريم بغض الأنصار، وأن ذلك من شعب النفاق الاعتقادي.

الثالثة: فيه دليل على أن من أسباب محبة الله للعبد محبته للأنصار، وأن من أسباب بغض الله له بغضه للأنصار.





الباب العشرون

باب: إن الإيمان ليأرِز إلى المدينة

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلىٰ المدينة كما تأرز الحية إلىٰ جحرها».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين».

فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة؛ عن عبيد الله بن عمر (ح) وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (إن الإيمان ليأرز).

وعند مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود**

غريبا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها»[١].

وعند أحمد: «**إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين**»[٢].

قال محققه: إسناده جيد وجهالة ابن سعد لا تضر؛ فإن أبناءه الذين رووا عنه ثقات معروفون بنقل العلم، علىٰ أنه قد جاء مبينًا عند ابن منده، وأنه عامر بن سعد، وهو ثقة من رجال الشيخين.

❁ المسألة الثانية: قوله: (كما تأرز الحية في جحرها).

ش/ والمعنىٰ: أن أهل الإيمان يصل بهم الأمر آخر الزمان إلىٰ أن ينحازوا، وينشمروا، وينضم بعضهم إلىٰ بعض في هاتين المدينتين، وهما: مكة - وفيها المسجد الحرام -، والمدينة - وفيها مسجده ﷺ -.

من فقه الحديث:

أولًا: فيه علم من أعلام نبوته ﷺ، وسيقع الأمر كما أخبر؛ لأن ذلك مما أوحىٰ الله، إليه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٣]؛ فيجب

---

(١) مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين (١/ ١٣١) رقم (١٤٦).

(٢) مسند أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (١/ ١٨٤) رقم (١٦٠٤).

(٣) [النجم: ٣، ٤].

تصديقه في هذا وجميع ما أخبر به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1] الآية.

ثانيًا: فيه فضل المدينتين ومسجديهما.



(١) [الحشر: ٧].



الباب الحادي والعشرون

بابٌ: الإيمان يمان والحكمة يمانية

الحديث الأربعون

أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبًا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين، أهل الوبر، قبل مطلع الشمس».

الحديث الحادي والأربعون

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قال رسول الله ﷺ: «غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز».

التخريج:

أولًا: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه المصنف في باب: «تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه».

فقال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو اليمان، عن شعيب، عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وحديث جابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا أخرجه في نفس الباب.

وقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن الحارث المخزومي، عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير. أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا يقول؛ فذكره.

- **وفي الباب ثلاث مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبًا، الإيمان يمان).**

وعند الشيخين من رواية ذكوان: «**أتاكم أهل اليمن، هم ألين قلوبًا وأرق أفئدة**»[(١)].

وعند ابن حبان: «**الله أكبر الله أكبر، جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم، لينة طاعتهم**»[(٢)]. قال محققه: [حديث صحيح لغيره، إسناده ضعيف، الحسين بن عيسىٰ الحنفي ضعيف].

ش/ قال عبيد: وأراه يشير ﷺ إلىٰ قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

وأخرج ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

---

(١) البخاري، في المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥/ ١٧٣) رقم (٤٣٨٨)، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه (١/ ٧٣) رقم (٥٢).

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمان، ذكر إضافة المصطفىٰ ﷺ الحكمة إلىٰ أهل اليمن (١٦/ ٢٨٧).

وَٱلْفَتْحُ﴾، قال النبي ﷺ: «**جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن**»، قالوا: يا نبي الله، وما أهل اليمن؟ قال: «**رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والحكمة يمانية**»][(١)].

ش/ وقد كان قدوم هؤلاء اليمنيين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ سنة تسع من الهجرة.

ويتحصل من حديث الباب وما في معناه: أن ذلك الوفد من أهل اليمن فيهم خصلتان: لين القلوب ورقة الأفئدة، وهاتان علامتان علىٰ محبتهم الخير.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (الإيمان يمان والحكمة يمانية).**

وفي رواية ابن سيرين عند المصنف: «**الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**»[(٢)].

وفي الصحيح من حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: «**الإيمان يمان هاهنا**»[(٣)].

وعند أحمد من رواية أبي مصعب، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**ونحا بيده نحو اليمن: الإيمان يمان، الإيمان يمان، الإيمان يمان**»[(٤)].

ش/ قال مقيده: إياك - يا طالب الفقه وفهم سنة النبي ﷺ ومعرفة الحق بدليله - أن تظن قوله ﷺ: «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**». إنه من العام الباقي علىٰ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤/ ٦٦٨).

(٢) مسلم كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه (١/ ٧١) رقم (٥٢).

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: «خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال» (٤/ ١٢٨) رقم (٣٣٠٢).

(٤) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٤٢٥) رقم (٩٤٩٥).

عمومه؛ فهو من العام الذي يراد به الخصوص؛ فإن الواقع المعاصر لنا وقبلنا بعهد غير بعيد أن أهل ذلك القطر قد دخلهم ما دخل غيرهم من الحوادث، وما نجا منها إلا من نجاه الله.

واعلم - هديت إلىٰ الرشاد والسداد في الأقوال والأعمال - أنه في اليمن رجال جنَّدوا أنفسهم لحمل لواء السنة في قطرهم والذب عنها وعن أهلها في كل مكان، ولله الحمد والمنة.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين، أهل الوبر، قبل مطلع الشمس).

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثاني حديث في الباب: **«غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز»**.

وعند المصنف في رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والكفر قبل المشرق، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر»**[١].

وفي الصحيح عن عقبة بن عمرو أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين، عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»**[٢].

وفيه من رواية أبي الغيث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والفتنة هاهنا، هاهنا**

(١، ٢) سبق تخريجه.

يطلع قرن الشيطان»[١].

قوله: (عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

ش/ هو [جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام - بمهملة وراء - الأنصاري، ثم السلمي - بفتحتين -، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين ع][٢].

قوله: (الْفَدَّادِينَ).

ش/ [**الفَدَّادُون - بالتشديد -**: الذين تَعْلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، واحدهم: فَدَّاد. يُقال: فَدَّ الرجُلُ يَفِدُّ فَدِيدًا إذا اشْتَدَّ صَوْته. وقيل: هم المكثرون من الإبل. وقيل: هم الجَمَّالُون والبَقَّارُون والحَمَّارُون والرُّعْيان.

وقيل: إنما هو «**الفَدَادِين**» مُخَفَّفًا، واحدها: فَدَّان مشَدَّد. وهي البقر التي يُحَرث بها، وأهلها أهل جَفاء وغِلْظَة][٣] إلخ.

قال مقيده: وهذه السمة تغلب فيما عرفناه على أهل الإبل حينما يزجرونها ويذودونها.

واعلم أن ما ذكره النبي ﷺ من القسوة والغلظة في أهل الإبل والسكينة في

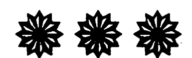
---

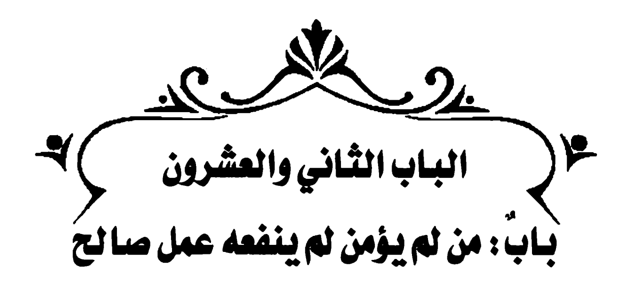
(١) البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥/ ١٧٤) رقم (٤٣٨٩).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ١٣٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة «فدد».

أهل الغنم؛ هذا في الغالب، وقد يوجد في أهل الغنم من هو قاسٍ فظ غليظ، كما يوجد في أهل الإبل من هو متواضع هين لين.





الباب الثاني والعشرون

بابٌ: من لم يؤمن لم ينفعه عمل صالح

الحديث الثاني والأربعون

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

التخريج:

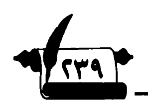
أخرجه المصنف في باب: «الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل».

وقال: حدثني أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فذكره.

- **وفيه خمس مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).**

ش/ هي [عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين «الحميراء»، أفقه النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي ﷺ، إلا خديجة؛ ففيهما خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين



علىٰ الصحيح ع][1].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (ابن جدعان كان في الجاهلية).**

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ابن جدعان هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة][2].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال العلماء: وكان ابن جدعان كثير الإطعام، وكان اتخذ للضيفان جفنة يرقىٰ إليها بسلم، وكان من بني تيم بن مرة أقرباء عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكان من رؤساء قريش، واسمه عبد الله. و«جدعان» بضم الجيم وإسكان الدال المهملة وبالعين المهملة][3].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟).**

ش/ ذكرت الصديقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا خصلتين من الخصال الحميدة التي كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام.

وقولها: (فهل ذلك نافعه).

ش/ والمعنىٰ: هل ذلك العمل ينفعه يوم القيامة؟

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (لا ينفعه).**

وعند أحمد: «**لا يا عائشة**»[4].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٧٥٠). (٢) في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٣/ ٨٧).

(٤) مسند أحمد، مسند عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا (٦/ ٩٣) رقم (٢٤٦٦٥).

ش/ والمعنىٰ: لا ينفعه ذلك العمل يا عائشة. وقد دل الكتاب الكريم والسنة الصحيحة علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل عملًا، وإن كان مثل الجبل؛ من كافر، قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1] وقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[2].

ومن السنة الصحيحة عن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا **قالت**: قلت للنبي ﷺ: إن هشام بن المغيرة كان يصل الرحم ويقري الضيف، ويفك العناة، ويطعم الطعام، ولو أدرك أسلم، هل ذلك نافعه؟ قال: «**لا، إنه كان يعطي للدنيا وذكرها وحمدها، ولم يقل يومًا قط: رب اغفر لي يوم الدين**»[3].

۞ المسألة الخامسة: قوله: (إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

ش/ قال مقيده: وهذا تأكيد علىٰ أن ابن جدعان مات علىٰ الكفر، كما أنه دليل علىٰ أن هذا القول من صفات المؤمنين.

❁ ❁ ❁

---

(١) [الفرقان: ٢٣].

(٢) [التوبة: ١٧].

(٣) مسند أبي يعلىٰ الموصلي (١٢/ ٤٠١) رقم (٦٩٦٥).



الباب الثالث والعشرون

باب: لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا

الحديث الثالث والأربعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولًا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

التخريج:

أخرجه المصنف باب: «بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببًا لحصولها».

فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية ووكيع؛ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال؛ فذكره.

- **وفيه أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا...).

وعند أبي داود، وكذا عند الترمذي، من حديث الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«والذي**

نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا»[١].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا).**

ش/ فيه دليل علىٰ أن المحبة فيما بين الناس من شعب الإيمان.

واعلم أن هذا مقيد بأحاديث، منها حديث أنس المتقدم: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وفيه: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه**»[٢].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟).**

وعند أحمد: «**إن شئتم دللتكم علىٰ أمر إن فعلتموه تحاببتم. قالوا: أجل**»[٣].

وعنده أيضًا: «**ألا أدلكم علىٰ رأس ذلك أو ملاك ذلك؟**»[٤].

وعند الترمذي: «**أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟**»[٥].

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في إفشاء السلام (٤/ ٣٥٠) رقم (٥١٩٣)، جامع الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، بابٌ منه (٤/ ٦٦٤) رقم (٢٥١٠).

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد (١/ ١٣٣) رقم (٦٦٠).

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤٩٥).

(٤) نفس المصدر السابق (٢/ ٣٩١) رقم (٩٠٧٣).

(٥) جامع الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه (٤/ ٦٦٤) رقم (٢٥١٠).

وعند الطيالسي: «**ألا أخبركم بما يثبت ذاك لكم؟**»[(١)].

وعند ابن أبي شيبة: «**ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟**»[(٢)].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (أفشوا السلام بينكم).**

ش/ أي: انشروه وأذيعوه، وهذا هو تحية أهل الإسلام وشعارهم، فكلما انتشر وشاع وذاع بينهم؛ سادت الألفة والمحبة والطمأنينة بينهم، والملحوظ في حديث الباب الحض علىٰ جملة من شعب الإيمان وخصاله:

الأولىٰ: الإيمان بالله وأنه سبب لدخول الجنة، ولا سبيل إليها دونه.

الثانية: التحاب بين أهل الإسلام

الثالثة: إفشاء السلام.



---

(١) مسند الطيالسي، أحاديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٥٩) رقم (١٩٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة كتاب الأدب، باب ما قالوا في الرجل يسلَّم عليه وهو يبول (٨/ ٤٣٦) رقم (٢٦٢٥٨).



الباب الرابع والعشرون

باب: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

الحديث الرابع والأربعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».

وكان أبو هريرة يلحق معهن: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

وفي حديث همام: «يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن».
وزاد: «ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن؛ فإياكم إياكم».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله».

وقال: حدثني حرملة بن يحيى بن عبد الله بن عمران التجيبي، أنبأنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن

وسعيد بن المسيب؛ يقولان: قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه خمس مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن).

وعند أبي داود من رواية سعيد بن أبي سعيد المقبري: «**إذا زنىٰ الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلة، فإذا انقطع رجع إليه الإيمان**»[1]، صححه الألباني.

وعند ابن أبي شيبة من رواية أبي زرعة: «**الإيمان نور، فمن زنا فارقه الإيمان، فمن لام نفسه وراجع راجعه الإيمان**»[2].

❁ المسألة الثانية: قوله: (ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن).

وفي رواية أبي صالح عند الترمذي: «**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة**»[3].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).

وعند الشيخين: «**ولا يشرب حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة**

---

(١) سنن أبي داود في السنة، باب الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه (٤/ ٢٢٢) رقم (٤٦٩٠)، صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني (٤٦٩٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا، بابٌ (١١/ ٢٧) رقم (٣١٠٠٥).

(٣) جامع الترمذي كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء: «**لا يزني الزاني وهو مؤمن**» (٥/ ١٥) رقم (٢٦٢٥).

بعد»[١].

وعند النسائي: **«ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ثم التوبة معروضة بعد»**[٢].

وعند ابن أبي شيبة من حديث عائشة: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن؛ فإياكم إياكم»**[٣].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (وكان أبو هريرة يلحق معهن: «ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»).**

وعند المصنف: «قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن: أن أبا بكر كان يحدثهم هؤلاء عن أبي هريرة، ثم يقول: وكان أبو هريرة يلحق معهن: **«ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**[٤].

---

(١) البخاري، في الحدود، باب إثم الزناة (٨/ ١٦٤) رقم (٦٨١٠)، ومسلم في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله (١/ ٧٧) رقم (٥٧).

(٢) السنن الصغرىٰ في قطع السارق، باب تعظيم السرقة (٨/ ٦٤) رقم (٤٨٧١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا، بابٌ (٨/ ٦) رقم (٢٤٥٤٧).

(٤) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله (١/ ٧٦) رقم (٥٧).

وفي الصحيح: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، وهو مؤمن**»؛ وعن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمثله، «**إلا النهبة**»[١].

وفي حديث همام: «**يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن**».

ش/ قال مقيده: فبان بهذا النقل أمران:

الأول: التصريح بأن لفظ: «**ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»؛ من كلام النبي ﷺ.

والثاني: أن المقبري وأبا سلمة بن عبد الرحمن ليس في روايتهما عن أبي هريرة «نُهبة» وهذا لا يضر؛ لأنه أثبتها غيرهما.

قلت: «**فالنُهبة**» من الانتهاب، وهو أخذ الشيء من صاحبه قهرًا.

و«**ذات شرف**»: أي ذات قيمة غالية.

وقوله: «**يرفع الناس إليه فيها أبصارهم**»؛ **يعني**: أنَّ أخذ هذه النهبة استرعا أنظار الناس إلىٰ المنتهب حين قهر صاحبها وانتهبها منه.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (وَزَادَ: «ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن، فإياكم إياكم»).**

---

(١) البخاري، كتاب الحدود، باب لا يُشْرَبُ الخمرُ (٨/ ١٥٧) رقم (٦٧٧٢).

ش/ قلت: أي: وزاد همام، وهو همام بن منبه [بن كامل الصنعاني أبو عتبة «عقبة» أخو وهب، ثقة، من الرابعة، مات سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح ع][1].

قال الإمام مسلم: «غير أن العلاء وصفوان بن سليم ليس في حديثهما: «**يرفع الناس إليه فيها أبصارهم**»، وفي حديث همام: «**يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن**»، وزاد: «**ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن، فإياكم إياكم**»[2].

ش/ قال مقيده: ولم أجد هذه الزيادة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيما وقفت عليه إلا من رواية همام بن منبه وهو ثقة، فإن لم تكن هذه الرواية شاذة، فهي صحيحة.

وقد جاء التشنيع في الغُلول وشدة الوعيد في الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾[3] الآية.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبًا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدىٰ رجل من بني الضبيب يقال له: رفاعة بن زيد. لرسول الله ﷺ غلامًا يقال له: مدعم. فوجه رسول الله ﷺ إلىٰ وادي القرىٰ حتىٰ إذا كان بوادي القرىٰ بينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله؛ فقال الناس: هنيئًا له الجنة. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٥٧٤).

(٢) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية علىٰ إرادة نفي كماله (١/ ٧٧) رقم (٥٧).

(٣) [آل عمران: ١٦١].

«كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم؛ لتشتعل عليه نارًا». فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلىٰ النبي ﷺ فقال: **«شراك من نار أو شراكان من نار»**(١).

قلت: فبان بهذه الأدلة أن الغلول - وهو الاختلاس من الفيء والغنيمة - من كبائر الذنوب.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ومن أصول أهل السنة:... لا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار - كما تقوله المعتزلة -، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾(٢)، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣)، وقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**، ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ فلا يعطىٰ الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم](٤).

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب: هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة (٨/ ١٤٣) رقم (٦٧٠٧).

(٢) [النساء: ٩٢]. (٣) [الأنفال: ٢].

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية، والعقيدة الواسطية (٣/ ١٥٢).

قال الشيخ ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرح:

- [**قوله:** «ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية».

«الفاسق»: هو الخارج عن الطاعة.

والفسق ينقسم إلى:

- فسق أكبر مخرج عن الإسلام، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾[1].

- وفسق أصغر ليس مخرجًا عن الإسلام، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾[2].

- والفاسق الذي لا يخرج من الإسلام هو الفاسق الملي، وهو من فعل كبيرة، أو أصرَّ علىٰ صغيرة.

ولهذا قال المؤلف: «الملي»، يعني: المنتسب إلىٰ الملة، الذي لم يخرج منها.

فأهل السنة والجماعة لا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، فلا يمكن أن يقولوا: إن هذا ليس بمسلم. لكن يمكن أن يقولوا: إن هذا ناقص الإسلام، أو ناقص الإيمان.

---

(١) [السجدة: ٢٠].

(٢) [الحجرات: ٦].

• **قوله: «لا يخلدونه في النار»**: معطوف علىٰ قوله: «**ولا يسلبون**»، وعلىٰ هذا يكون قوله: «كما تقول المعتزلة»، عائدًا للأمرين؛ لأن المعتزلة يسلبونه الإسلام ويخلدونه في النار، وإن كانوا لا يطلقون عليه الكفر.

• **وقول المؤلف: «بل الفاسق يدخل اسم الإيمان المطلق»**؛ مراد المؤلف بـ«المطلق» هنا، يعني: إذا أطلق الإيمان، فالوصف يعود إلىٰ الاسم لا إلىٰ الإيمان؛ كما سيتبين من كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيكون المراد به: مطلق الإيمان الشامل للفاسق والعدل.

• **قوله: «كما في قوله: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾»** فإن المؤمنة هنا يدخل فيه الفاسق.

فلو أن إنسانًا اشترىٰ رقيقًا فاسقًا وأعتقه في كفارة، أجزأه، مع أن الله قال: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾، فكلمة ﴿مُّؤۡمِنَةٖ﴾ تشمل الفاسق وغيره.

• **قوله: «وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق»**؛ أي: في مطلق اسم الإيمان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾.

فـ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، يعني: ما المؤمنون إلا هؤلاء، والمراد بالمؤمنين؛ يعني: ذوي الإيمان المطلق الكامل.

فلا يدخل في المؤمنين هنا الفساق؛ لأن الفاسق لو تلوت عليه آيات الله ما زادته إيمانًا، ولو ذكرت الله له؛ لم يوجل قلبه.

فبين المؤلف: أن الإيمان قد يراد به مطلق الإيمان، وقد يراد به الإيمان المطلق.

فإذا رأينا رجلًا إذا ذكر الله لم يوجل قلبه، وإذا تليت عليه آياته لم يزدد إيمانًا؛ فيصح أن نقول: إنه مؤمن، ويصح أن نقول: ليس بمؤمن؛ فنقول: مؤمن؛ أي: معه مطلق الإيمان، يعني: أصله، وليس بمؤمن؛ أي: ليس معه الإيمان الكامل.

• قوله: «**وقوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)**».

هذا مثال ثانٍ للإيمان الذي يراد به الإيمان المطلق؛ أي الكامل.

• **وقوله**: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**». هنا نفىٰ عنه الإيمان الكامل حين زناه، أما بعد أن يفرغ من الزنىٰ فقد يؤمن؛ فقد يلحقه الخوف من الله بعد أن يتم الزنىٰ؛ فيتوب، لكن حين إقدامه علىٰ الزنىٰ لو كان عنده إيمان كامل ما أقدم عليه، بل إيمانه ضعيف جدًّا حين أقدم عليه.

وتأمل قوله: «**حين يزني**»: احترازًا من أنه قبل الزنىٰ وبعده تختلف حاله؛ لأن الإنسان ما دام لم يفعل الفاحشة ولو هم بها؛ فهو علىٰ أمل ألا يقدم عليها.

• **وقوله**: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»؛ أي: كامل الإيمان؛ لأن الإيمان يردعه عن سرقته.

• **وقوله**: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»؛ أي: كامل الإيمان.

• **وقوله**: «**ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم**»:

«**ذات شرف**» أي: ذات قيمة عند الناس، ولهذا يرفعون إليه أبصارهم، فلا

ينتهبها حين ينتهبها وهو مؤمن، أي: كامل الإيمان.

هذه أربعة أشياء: الزنىٰ «وهو الجماع في فرج حرام»، والسرقة «وهي أخذ المال المحترم علىٰ وجه الخفية من حرز مثله»، وشرب الخمر «والمراد تناوله بأكل أو شرب، والخمر كل ما أسكر علىٰ وجه اللذة والطرب»، والنهبة التي لها شرف وقيمة عند الناس «قيل الانتهاب: أخذ المال علىٰ وجه الغنيمة»؛ لا يفعل هذه الأشياء الأربعة أحد وهو مؤمن بالله حين فعله لها. فالمراد بنفي الإيمان هنا: نفي تمام الإيمان.

- **قول المؤلف: «ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطىٰ الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم».**

هذا بيان للوصف الذي يستحقه الفاسق الملي عند أهل السنة والجماعة.

والفرق بين مطلق الشيء والشيء المطلق: أن الشيء المطلق هو الشيء الكامل، ومطلق الشيء يعني: أصل الشيء، وإن كان ناقصًا.

فالفاسق المِلِّي لا يعطىٰ الاسم المطلق في الإيمان وهو الاسم الكامل، ولا يسلب مطلق الاسم، فلا نقول: ليس بمؤمن. بل نقول: مؤمن ناقص الإيمان، أو: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو المذهب العدل الوسط.

- **وخالفهم في ذلك طوائف:**

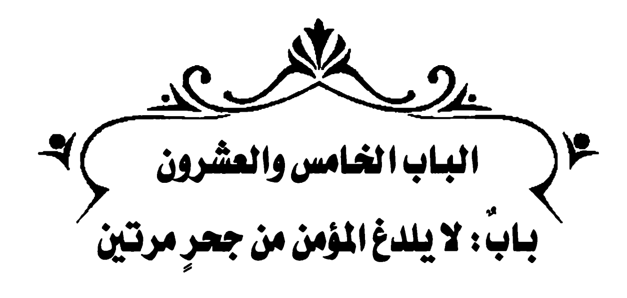
- **المرجئة:** يقولون: مؤمن كامل الإيمان.

- **والخوارج**: يقولون: كافر.

- **والمعتزلة**: يقولون: في منزلة بين منزلتين][1].



(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٤٠، ٢٤٥).



الباب الخامس والعشرون
بابٌ: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين

الحديث الخامس والأربعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»(١).

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ولأحمد من رواية شيخه الفضل بن دكين، وابن ماجه من رواية محمد بن الحارث المصري: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»**(٢).

ش/ ولا تعارض بين الروايتين؛ لأن «جحر» نكرة في سياق النفي وهي من

---

(١) كتاب الزهد والرقاق.

(٢) ابن ماجه في الفتن، باب العزلة (٢/ ١٣١٨) رقم (٣٩٨٢)، مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١١٥) رقم (٥٩٦٤).

صيغ العموم.

وسبب هذا الحديث، الذي صار مضرب مثل يُراد منه تحذير المؤمن من تكرار خيانة الأعداء، ما ذكره ابن كثير في أسرى بدر، قال:

[أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح، كان محتاجًا ذا بنات، قال: يا رسول الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال؛ فامنُن عليَّ. فمنَّ عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدًا...

إلىٰ أن قال: [قلت: ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله؛ فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أُسِرَ أيضًا، فسأل من النبي ﷺ أن يمُنَّ عليه أيضًا، فقال النبي ﷺ «**لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول: خدعتُ محمدًا مرتين!**»، ثم أمر به فضربت عنقه.

ويقال: إن فيه قال رسول الله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»، وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ][1].

وفي مجمع الأمثال: [(ليس لرجل لدغ من جحر مرتين عذر):

قالوا: إن أول من قال ذلك الحرث بن خزاز. وكان من قيس بن ثعلبة، وكان أخطب بكري بالبصرة، فخطب الناس لما قتل يزيد بن المهلب، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الفتنة تقبل بشبهة وتدبر ببيان، وليس لرجل لدغ من

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٨٥).

جحر مرتين عذر، فاتقوا عصائب تأتيكم من قبل الشام كالدلاء انقطعت أوذامها. ثم نزل، فروىٰ الناس خطبته، وصار قوله مثلًا][1].

ش/ قال عبيد: وحديث الباب سابقٌ علىٰ قول الحارث بن خزاز.



(١) مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٠٨).



الباب السادس والعشرون

بابٌ: بيان الوسوسة في الإيمان

الحديث السادس والأربعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وقد وجدتموه؟!». قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها».

وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ش/ سبق شرحه ضمن الباب السابع.





الباب السابع والعشرون

باب: أكبر الكبائر الشرك بالله

الحديث السابع والأربعون

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثًا -: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو: قول الزور -». وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت.

الحديث الثامن والأربعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في باب: «بيان الكبائر وأكبرها».

وقال: حدثني عمرو بن محمد بن بكير بن محمد الناقد، حدثنا إسماعيل ابن علية، عن سعيد الجُريري، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال؛ فذكره.

ثانيًا: أخرج المصنف الحديث الثاني أيضًا في نفس الباب، وقال: حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب قال: حدثني سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

- **وفي الباب ست عشرة مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن عبد الرحمن بن أبي بكرة).

ش/ هو [عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيعِ بن الحارث، الثقفي البصري، ثقة، من الثانية، مات سنة ست وتسعين ع][(١)].

❁ المسألة الثانية: قوله: (عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [نفيع بن الحارث بن كلدة - بفتحتين - بن عمرو الثقفي، أبو بكرة، صحابي مشهور بكنيته، وقيل: اسمه مسروح. بمهملات، أسلم بالطائف ثم نزل البصرة، ومات بها سنة إحدىٰ أو اثنتين وخمسين ع][(٢)].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثًا -).

وفي الصحيح من رواية بشر بن مفضل: «**ألا أخبركم بأكبر الكبائر**»[(٣)].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٣٣٧).

(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٥٦٥)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٦٧).

(٣) البخاري، كتاب الاستئذان، باب من اتكأ بين يدي أصحابه (٨/ ٦١) رقم (٦٢٧٣).

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند المصنف، وكذا في الصحيح: «أي الذنب أعظم عند الله؟»(١).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (الإشراك بالله).**

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»**(٢).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (وعقوق الوالدين).**

ش/ قلت: عقوق الوالدين: هو معاملتهما بالغلظة والقسوة، ومن ذلك شدة خطابهما، والتأفف منهما، إلىٰ غير ذلك من صور الجفاء، قال تعالىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(٣).

وأخرج المصنف عن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب: أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله ﷺ فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكني سمعته يقول: **«لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوىٰ محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر المنار»**(٤).

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله

---

(١) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦/ ١٨) رقم (٤٤٧٧)، ومسلم في الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١/ ٩٠) رقم (٨٦).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) [الإسراء: ٢٣].

(٤) مسلم كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالىٰ ولعن فاعله (٣/ ١٥٦٧) رقم (١٩٧٨).

ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف** يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه**»(١).

قال مقيده: وبهذا يتبين أن لعن الوالدين وسبهما علىٰ وجهين:

أحدهما: المباشر، كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثاني: غير المباشر، كما في حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (وشهادة الزور - أو: قول الزور -)** كذا بالشك.

وفي الصحيح: «**قال: «قول الزور، أو قال: شهادة الزور»**؛ قال شعبة: وأكثر ظني أنه قال: «**شهادة الزور**»(٢).

❁ **المسألة السابعة: قوله: (وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت).**

وفي رواية إسماعيل بن مرة عند أحمد: «**وقال: وشهادة الزور، وشهادة الزور وشهادة الزور. أو قول الزور وشهادة الزور.** فما زال رسول الله ﷺ يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت»(٣).

وفي الصحيح: «وكان متكئًا فجلس، وقال: **وشهادة الزور، وشهادة الزور،**

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه (٨/ ٣) رقم (٥٩٧٣).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (٨/ ٤) رقم (٥٩٧٧).

(٣) مسند أحمد، حديث نفيع بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٣٦) رقم (٢٠٤٠١).

وشهادة الزور، - أو: قول الزور وشهادة الزور -. فما زال رسول الله ﷺ يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت»(١).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**أما قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: قول الزور أو شهادة الزور»**، فليس علىٰ ظاهره المتبادر إلىٰ الأفهام منه؛ وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل؛ فلا بد من تأويله، وفي تأويله ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه محمول علىٰ الكفر؛ فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به.

والثاني: أنه محمول علىٰ المستحل؛ فيصير بذلك كافرًا.

والثالث: أن المراد من أكبر الكبائر - كما قدمناه في نظائره -، وهذا الثالث هو الظاهر أو الصواب.

فأما حمله علىٰ الكفر فضعيف؛ لأن هذا خرج مخرج الزجر عن شهادة الزور في الحقوق. وأما قبح الكفر، وكونه أكبر الكبائر؛ فكان معروفًا عندهم، ولا يتشكك أحد من أهل القبلة في ذلك، فحمله عليه يخرجه عن الفائدة.

ثم الظاهر - الذي يقتضيه عموم الحديث وإطلاقه والقواعد -: أنه لا فرق في كون شهادة الزور في الحقوق كبيرة بين أن تكون في حق عظيم أو حقير. وقد يحتمل علىٰ بُعدٍ أن يقال فيه الاحتمال الذي قدمته عن الشيخ أبي محمد بن عبد السلام في أكل

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (٨/ ٤) رقم (٥٩٧٧).

تمرة من مال اليتيم، والله أعلم.

أما قوله: «وكان متكئًا فجلس، فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت».

فجلوسه ﷺ لاهتمامه بهذا الأمر، وهو يفيد تأكيد تحريمه، وعظم قبحه][(١)].

۞ المسألة الثامنة: قوله: (اجتنبوا السبع الموبقات).

ش/ قال الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: «**اجتنبوا السبع**»؛ أي: ابعدوا؛ وهو أبلغ من (لا تفعلوا)؛ لأن نهي القربان أبلغ من المباشرة. ذكره الطيبي.

قوله: «**السبع الموبقات**» بموحدة وقاف، أي: المهلكات، وسميت الكبائرُ موبقاتٍ؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب][(٢)].

۞ المسألة التاسعة: قوله: (يا رسول الله، وما هن؟).

وفي رواية الربيع بن سليمان عند النسائي: «قيل: يا رسول الله، ما هي؟»[(٣)].

ش/ والمعنىٰ واحد، وإن تغيرت الألفاظ.

۞ المسألة العاشرة: قوله: (الشرك بالله).

وفي حديث أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**الإشراك بالله**»[(٤)].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٨٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٣٨٦).

(٣) السنن الصغرىٰ كتاب الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم (٦/ ٢٥٧) رقم (٣٦٧١).

(٤) في نفس الباب.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»(١).

ش/ قال مقيده:

الشرك في اللغة: التسوية؛ قال تعالىٰ إخبارًا عن تخاصم أهل النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

ومعناه شرعًا: مساواة غير الله بالله في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وأفعاله.

فبان بمجموع الروايات أن الشرك أعظم ذنب عُصي الله به، وإيضاحه:

أولًا: أنه لا يغفر لمن مات عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣).

ثانيًا: أنه محبط للعمل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤).

ثالثًا: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي**

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦/ ١٨) رقم (٤٤٧٧).
ومسلم كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١/ ٩٠) رقم (٨٦).

(٢) [الشعراء: ٩٧، ٩٨].

(٣) [النساء: ٤٨].

(٤) [الزمر: ٦٥].

غيري؛ تركته وشركه»[١].

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (والسحر).**

ش/ قال الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**السحر في اللغة:** عبارة عما خَفي ولطف سببه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن من البيان لسحرًا**»، وسمي السَحور سحورًا؛ لأنه يقع خَفيًّا آخر الليل.

والسحر شرعًا: عزائم ورقًىٰ وعقد تؤثر في القلوب والأبدان؛ فيُمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجته، ويأخُذ أحد الزوجين عن صاحبه][٢].

قال مقيده: ويكفي في قبح السحر أمورٌ:

أحدها: أنه جاء في الرتبة الثانية من السبع الموبقات المذكورة في هذا الحديث.

قال أهل العلم: «وثنَّىٰ بالسحر بعد الشرك؛ لأن السحر لا يتأتىٰ إلا مع الشرك».

الثاني: دلالة الكتاب والسنة علىٰ تحريمه فمن الكتاب الكريم قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

---

(١) مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩) رقم (٢٩٨٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (٣٨٢)، وانظر الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة، كتاب قتل أهل البغي (٤/ ٦٤).

وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ومن السنة: الأحاديث المتواترة بالإضافة إلىٰ حديث الباب، حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منا من تَطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحر أو سُحِر له، ومن عقد عقدة - أو قال: من عقد عقدة، ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول - فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»**(٢).

وهاهنا أمران لا بد من التفطن لهما:

الأمر الأول: أقسام السحر من حيث الكفر والفسق.

قال العلامة الفقيه المحقق المجتهد الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ:

[**السحر قسمان:**

الأول: شرك، وهو الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم؛ ليسلطهم علىٰ المسحور.

الثاني: عدوان وفسق، وهو الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها](٣).

---

(١) [البقرة: ١٠٢].

(٢) مسند البزار، مسند عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٩/ ٥٢) رقم (٣٥٧٨).

(٣) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٨٩).

قلت: هذا تقسيم جميل، ويروىٰ عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقال للساحر: «صف لنا سحرك».

واعلم - هديت إلىٰ الرشد - أن من استحل الثاني عالمًا عامدًا مختارًا؛ كفر.

الأمر الثاني: في توبة الساحر.

قال الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد خبر: أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة... [صريح في قتل الساحر والساحرة، وهو من حجج الجمهور القائلين بأنه يقتل، وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك علىٰ المشهور عن أحمد، وبه قال مالك: إن الصحابة لم يستتيبوهم؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة.

وعن أحمد يستتاب، فإن تاب؛ قُبلت توبته وخلي سبيله][1].

قال مقيده: وثاني المذهبين - وهو قبول توبته وتخلية سبيله -، أرجح عندي؛ لعموم الأدلة، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

ومن السنة الصحيحة: ما أخرجه مسلم عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتىٰ تطلع الشمس من مغربها**»[3].

(١) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (٣٩٢). (٢) [الشورىٰ: ٢٥].

(٣) مسلم كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ٢١١٣)، رقم (٢٧٥٩).

والأصل في العام بقاؤه على عمومه حتى يدل الدليل على تخصيصه.

والذي يظهر لي أن الساحر يندرج تحت عموم هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]. فإن كانت توبته قبل القدرة عليه؛ خُلِّي سبيله، وإن كانت بعد ذلك؛ أقيم عليه الحد وهو قتله، كما صح عن عمر وابنته حفصة وجندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق).

ش/ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٢] الآية.

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»**[٣].

فبان بحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا ما كان مجملًا في آية الفرقان وحديث الباب.

---

(١) [المائدة: ٣٣، ٣٤].

(٢) [الفرقان: ٦٨].

(٣) تقدم تخريجه في الباب الثاني: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله».

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (وأكل الربا).**

ش/ وهو [**في اللغة**: الزيادة؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾[1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾[2] أي: أكثر عددًا، ويقال: أربىٰ فلان علىٰ فلان إذا زاد عليه.

وهو في الشرع: الزيادة في أشياء مخصوصة، وهو محرم بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[3]][4].

فقوله: (الزيادة في أشياء مخصوصة). أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح؛ مثلًا بمثل، سواءً بسواء، يدًا بيد. فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد**»[5].

وهي الربويات الستة ويقاس عليها مثلها، كالرز والدخن... وما ماثلهما.

قال مقيده: واعلم أن الربا على ضربين:

أحدهما: ربا الفضل، وهو الزيادة في أحد هذه الستة الأشياء إذا بِيع من جنسه.

والثاني: ربا النسيئة، وهو إذا بيع أحد الربويات بغير بجنسه مؤجلًا، وهو

---

(١) [الحج: ٥]. (٢) [النحل: ٩٢]. (٣) [البقرة: ٢٧٥].

(٤) العدة شرح العمدة للمقدسي (١/ ٢٠٨).

(٥) خرَّجه مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا (٣/ ١٢١١) رقم (١٥٨٧).

محرم بنوعيه؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾(١) الآية.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾(٢) الآية.

ومن السنة المتواترة: حديث الباب، حديث جابر وعبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لعن رسول الله آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء»(٣).

❁ المسألة الرابعة عشرة: قوله: (وأكل مال اليتيم).

ش/ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾(٤).

وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أُحَرِّجُ حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»(٥).

(١) [البقرة: ٢٧٥].

(٢) [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

(٣) خرَّجه مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله (٣/ ١٢١٩) رقم (١٥٩٨).

(٤) [النساء: ١٠].

(٥) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤٣٩) رقم (٩٦٦٤)، وسنن ابن ماجه كتاب الأدب، باب حق اليتيم (٢/ ١٢١٣) رقم (٣٦٧٨).

والواجب علىٰ ولي اليتيم وكافله في نفسه وماله: ما تضمنته هذه الآية: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1] ومحصله:

أولًا: حفظ مال اليتيم حتىٰ يبلغ الرشد.

ثانيًا: اختباره وامتحانه هل يحسن التصرف في ماله أو لا؟ قال أهل العلم: يختبر الصبي بما يناسب حاله، وتختبر الجارية بما يناسب حالها، والمعنىٰ: أن ولي اليتيم يكل إلىٰ كل منهما نوعًا من التصرف.

ثالثًا: دفع ماله إليه عند وجود الرشد، وهو حسن التصرف وكمال العقل.

رابعًا: الإشهاد عند دفع أموال اليتامىٰ إليهم.

خامسًا: نهي ولي اليتيم عن أكل ماله استعجالًا وإسرافًا.

سادسًا: الإذن لولي الفقير أن يأكل من مال يتيمه بالمعروف، قال بعض أهل العلم: يكتفي بالأقل من أجرته وحاجته. فعلىٰ سبيل المثال: إذا كانت أجرته في اليوم مئة ريال وحاجته خمسون؛ اكتفىٰ بالثاني، والعكس بالعكس.

سابعًا: أمر الغني بالتعفف عن مال اليتيم.

ويدلك - أيها الحازم في أمره الناصح ليتيمه - أنه لما نزلت هذه الآية وما في

---

(١) [النساء: ٦].

معناها من التشديد والتغليظ في أكل مال اليتيم؛ عزل أولياء اليتامىٰ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ طعام اليتيم وشرابه؛ فأرشدهم - تعالىٰ - إلىٰ حسن ملاطفة اليتيم بمخالطته في طعامه وشرابه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

۞ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (والتولي يوم الزحف).

وأخرج النسائي عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويجتنب الكبائر؛ كان له الجنة.** فسألوه عن الكبائر، فقال: **الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف**»[2].

قلت: وفي الكتاب العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: [يقول تعالىٰ متوعدًا علىٰ الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾؛ أي: تقاربتم منهم

---

(١) [البقرة: ٢٢٠].

(٢) السنن الصغرىٰ كتاب تحريم الدم، باب ذكر الكبائر (٧/ ٨٨) رقم (٤٠٠٩).

(٣) [الأنفال: ١٥، ١٦].

ودنوتم إليهم ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾؛ أي: تفروا وتتركوا أصحابكم ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾؛ أي: يفر بين يدي قرنه مكيدة؛ ليريه أنه قد خاف منه، فيتبعه، ثم يكر عليه فيقتله، فلا بأس عليه في ذلك. نص عليه سعيد بن جبير والسدي.

وقال الضحاك: أن يتقدم عن أصحابه؛ ليرىٰ غرة من العدو فيصيبها.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾؛ أي: فر من هاهنا إلىٰ فئة أخرىٰ من المسلمين، يعاونهم ويعاونوه؛ فيجوز له ذلك، حتىٰ ولو كان في سرية ففر إلىٰ أميره أو إلىٰ الإمام الأعظم، دخل في هذه الرخصة.

إلىٰ أن قال... وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾.

قال أهل العلم: معنىٰ قوله: «العَكَّارون»؛ أي: العطافون. وكذلك قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أبي عبيد لما قتل علىٰ الجسر بأرض فارس؛ لكثرة الجيش من ناحية المجوس، فقال عمر: لو انحاز إليَّ كنت له فئة. هكذا رواه محمد بن سيرين، عن عمر.

وفي رواية أبي عثمان النهدي، عن عمر قال: لما قتل أبو عبيد، قال عمر: «يا أيها الناس، أنا فئتكم»][1].

۞ المسألة السادسة عشرة: قوله: (وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

ش/ القذف في اللغة: الرمي؛ يقول: قذفه بالحجارة يقذفه. إذا رماه بها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧).

وشرعًا: اتهام العفيف المحصن بفاحشة الزنا أو اللواط.

وتفصيل القول في القذف من حيث تقسيمه إلىٰ صريح وكناية مبسوط في كتب الفقه؛ فليراجعه من شاء.

وفيه من آيِ التنزيل الكريم ما يتضمن شدة الوعيد فيه والتغليظ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [لما عظم تعالىٰ أمر الزاني بوجوب جلده وكذا رجمه إن كان محصنًا، وأنه لا تجوز مقارنته ولا مخالطته علىٰ وجه لا يسلم فيه العبد من الشر؛ بيَّن - تعالىٰ - تعظيم الإقدام علىٰ الأعراض بالرمي بالزنا، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾؛ أي: النساء الأحرار العفائف وكذاك الرجال لا فرق بين الأمرين، والمراد بالرمي: الرمي بالزنا؛ بدليل السياق ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ﴾ علىٰ ما رموا به ﴿بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾؛ أي: رجال عدول يشهدون بذلك صريحًا ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ بسوط متوسط يؤلم فيه، ولا يبالغ بذلك حتىٰ يتلفه؛ لأن القصد التأديب لا الإتلاف، وفي هذا تقدير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف - كما قال تعالىٰ - محصنًا مؤمنًا، وأما قذف غير المحصن؛ فإنه يوجب التعزير.

---

(١) [النور: ٤، ٥].

﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَدَةً أَبَدًاۚ﴾؛ أي: لهم عقوبة أخرىٰ، وهو أن شهادة القاذف غير مقبولة، ولو حد علىٰ القذف، حتىٰ يتوب - كما يأتي -.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن طاعة الله الذين قد كثر شرهم؛ وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس علىٰ الكلام بما تكلم به، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل علىٰ أن القذف من كبائر الذنوب.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالتوبة في هذا الموضع أن يُكذِّب القاذف نفسه، ويُقر أنه كاذب فيما قال، وهو واجب عليه أن يُكذِّب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأتِ بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله وبدل إساءته إحسانًا؛ زال عنه الفسق، وكذلك تقبل شهادته علىٰ الصحيح، فإن الله غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب وأناب، وإنما يُجلد القاذف إذا لم يأتِ بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجًا][1].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هذا وعيد من الله تعالىٰ للذين يرمون المحصنات

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٥٦١).

(٢) [النور: ٢٣].

الغافلات - خُرِّج مخرج الغالب - المؤمنات.

فأمهات المؤمنين أولىٰ بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد أجمع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ قاطبة، علىٰ أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية؛ فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن.

وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، والله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1]][2].

تنبيه:

واعلم - هديت إلىٰ مراشد أمورك والسداد في الأقوال والأعمال - أن الكبائر غير محصورة بعدد معين، فبضميمة حديثي الباب وما ذكرناه خلال الشرح من أحاديث يتضمن بضع عشرة كبيرة، وأظن أن من تتبع الأحاديث يجد أكثر من ذلك بكثير، وقد اختصرنا ذلك؛ دفعًا للسأم وخشية الإطالة. ولمزيد من الوقوف علىٰ ما جاءت به السنة من ذكر الكبائر راجع «فتح الباري»[3] و«تيسير العزيز الحميد»[4].

(١) [الأحزاب: ٥٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١).

(٣) فتح الباري (١٢/ ١٨٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص (٣٨٦ - ٣٨٨).



الباب الثامن والعشرون

باب: «لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»

الحديث التاسع والأربعون

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «ويحكم! أو قال: ويلكم! لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «بيان معنىٰ قول النبي ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»**».

وقال: حدثني أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خلاد الباهلي؛ قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن واقد بن محمد بن زيد؛ أنه سمع أباه يحدث عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفي الباب مسألتان:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (ويحكم! أو قال: ويلكم!).

وعند البخاري: [**«ويلكم! أو ويحكم! -؛** قال شعبة: شكٌّ هو - **«لا ترجعوا**



بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض».

وقال النضر عن شعبة: «**ويحكم!**». وقال عمر بن محمد عن أبيه: «**ويلكم! أو ويحكم!**»][(١)].

وعند الشيخين من حديث جرير: «قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: «**استنصت الناس...**»[(٢)].

❁ المسألة الثانية: قوله: (لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض).

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[أن الإيمان أصل له شعب متعددة، كل شعبة منها تسمىٰ إيمانًا، فأعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق.

فمنها: ما يزول الإيمان بزواله إجماعًا، كشعبة الشهادتين، ومنها: ما لا يزول بزواله إجماعًا، كترك إماطة الأذىٰ عن الطريق. وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة، منها: ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها: ما يلحق بشعبة إماطة الأذىٰ عن الطريق، ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص، وما كان عليه سلف الأمة، وأئمتها.

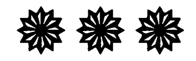
---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك (٨/ ٣٩) رقم (٦١٦٦).

(٢) البخاري، في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» (٩/ ٣) رقم (٦٨٦٩).

وكذلك الكفر أيضًا ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمانٌ، فشعب الكفر كفرٌ، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان، ولا يسوىٰ بينهما في الأسماء والأحكام؛ وفرق بين من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله أو استهان بالمصحف، وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو ينهب، أو صدر منه نوع موالاة كما جرىٰ لحاطب؛ فمن سوَّىٰ بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوَّىٰ بين شعب الكفر في ذلك؛ فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء][1].

قال مقيده: عرفت - أيها المسلم - فالزم، فما أحسن هذا الكلام؛ فإنه يسد الباب علىٰ الخوارج ومن يكفِّر الأمة جُزافًا.



(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعلماء نجد (١/ ٤٧٨).



الباب التاسع والعشرون

بابٌ: من رغب عن أبيه فهو كفر

الحديث الخمسون

عن أبي عثمان قال: لما ادُّعي زياد لقيتُ أبا بكرة، فقلت له: ما هذا الذي صنعتم؟ إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمع أذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول: «من ادعىٰ أبًا في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه؛ فالجنة عليه حرام». فقال أبو بكرة: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم».

وقال: حدثني عمرو الناقد، حدثنا هشيم بن بشير، أخبرنا خالد عن أبي عثمان، قال: لما ادعي زياد لقيت أبا بكرة؛ فذكره.

- **وفي الباب ست مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن أبي عثمان).

ش/ هو [عبد الرحمن بن ملّ - بلام ثقيلة والميم مثلثة -، أبو عثمان النهدي -

بفتح النون وسكون الهاء -، مشهور بكنيته، مخضرم، من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل: بعدها. وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل: أكثر ع][(١)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (لما ادعي زياد).**

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [المراد بزياد الذي ادعي: زياد ابن سمية، وهي أمه، كانت أمة للحارث بن كلدة، زوجها لمولىٰ عبيد، فأتت بزياد علىٰ فراشه وهم بالطائف قبل أن يسلم أهل الطائف، فلما كان في خلافة عمر سمع أبو سفيان بن حرب كلام زياد عند عمر - وكان بليغًا - فأعجبه، فقال: إني لأعرف من وضعه في أمه، ولو شئت لسميته، ولكن أخاف من عمر. فلما ولي معاوية الخلافة كان زياد علىٰ فارس من قبل علي، فأراد مداراته؛ فأطمعه في أنه يلحقه بأبي سفيان، فأصغىٰ زياد إلىٰ ذلك، فجرت في ذلك خطوب، إلىٰ أن ادعاه معاوية، وأمَّره علىٰ البصرة، ثم علىٰ الكوفة، وأكرمه، وسار زياد سيرته المشهورة وسياسته المذكورة، فكان كثير من الصحابة والتابعين ينكرون ذلك علىٰ معاوية؛ محتجين بحديث: «**الولد للفراش**»، وقد مضىٰ قريبًا شيء من ذلك، وإنما خص أبو عثمان أبا بكرة بالإنكار؛ لأن زيادًا كان أخاه من أمه، ولأبي بكرة مع زياد قصة تقدمت الإشارة إليها في كتاب الشهادات، وقد تقدم الحديث في غزوة حنين من رواية عاصم الأحول عن أبي عثمان، قال: «سمعت سعدًا وأبا بكرة»، وتقدم هناك ما يتعلق بأبي بكرة][(٢)].

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٣٥١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٥٤).

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فقلت له: ما هذا الذي صنعتم؟).

ش/ القائل هو: أبو عثمان النهدي يخاطب أبا بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مستنكرًا ادعاء زياد أن أباه هو أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول).

ش/ تقدمت ترجمته في الباب الثالث: **«من قتل رجلًا من الكفار بعد أن قال: لا إله إلا الله»**.

❁ المسألة الخامسة: قوله: (سمع أذناي من رسول الله ﷺ).

وعند أبي داود: **«قال: حدثني سعد بن مالك قال:** سمعته أذناي ووعاه قلبي من محمد ﷺ»[1].

❁ المسألة السادسة: قوله: (من ادعىٰ أبًا في الإسلام غير أبيه، يعلم أنه غير أبيه؛ فالجنة عليه حرام).

وعند أبي داود: **«من ادعىٰ إلىٰ غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه؛ فالجنة عليه حرام»**[2].

وفي الباب بعد هذا عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ليس من رجل ادعىٰ لغير أبيه؛ وهو يعلمه؛ إلا كفر»**[3].

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في الرجل ينتمي إلىٰ غير مواليه (٤/ ٣٣٠) رقم (٥١١٣).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) باب من قال لأخيه: يا كافر.

ش/ فأفادت هذه الأحاديث أن ادِّعاء رجل أبًا غير أبيه على ضربين:

أحدهما: من ادعىٰ هذه الدعوىٰ، وهو يعلم أنه ليس أباه؛ فهذا هو المتوعد بتحريم الجنة.

الثاني: من كان لا يعلم، أو كان يظن أن المدعىٰ هو أبوه؛ فلا شيء عليه.

واعلم أن هذا وأمثاله من أحاديث الوعيد يُمِرُّها أهل السنة دون تأويل؛ كي تكون أبلغ في الزجر وأوقع في النفس، والله أعلم.

ش/ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصول السنة:

[وقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه؛ فهو منافق**». هذا علىٰ التغليظ، نرويها كما جاءت، ولا نفسرها.

وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا ضُلالًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض**»، ومثل: «**إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار**»، ومثل: «**سِباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»، ومثل: «**من قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**»، ومثل: «**كُفْرٌ بالله تَبَرُّؤٌ من نسب، وإن دقَّ**».

ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحُفظ، فإنا نُسلم له، وإن لم نعلم تفسيرها ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نُفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت، لا نَردَّها إلا بأحق منها][1].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، اعتقاد أحمد بن حنبل (١/ ١٧٥).



الباب الثلاثون

باب: من قال لأخيه كافر

الحديث الحادي والخمسون

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعىٰ لغير أبيه وهو يعلمه؛ إلا كفر، ومن ادعىٰ ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله. وليس كذلك؛ إلا حار عليه».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم».

وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا أبي، حدثنا حسين المعلم، عن ابن بريدة، عن يحيىٰ بن يعمر؛ أن أبا الأسود حدثه، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (ومن ادعىٰ ما ليس له؛ فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار).

وعن عائشة أن امرأة قالت: يا رسول الله، أقول: إن زوجي أعطاني ما لم

يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعطَ، كلابس ثوبي زور**»[١].

ش/ والمعنىٰ: أن من ادعىٰ ما ليس له بحق من مال أو غيره؛ فهو متوعدٌ بهذا الوعيد.

۞ المسألة الثانية: قوله: (ومن دعا رجلًا بالكفر، أو قال: عدو الله. وليس كذلك؛ إلا حار عليه).

وعند الشيخين: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[٢].

وزاد مسلم: «**إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**».

ش/ قلت: وما أحسن ما قاله العلامة الفقيه المجتهد المحقق الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تجلية هذه المسألة:

[**فإن قال قائل**: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتكفير أو التفسيق ليس إلينا، بل إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ؛ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلىٰ الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة علىٰ علىٰ كفره أو فسقه.

والأصل في المسلم الظاهر العدالة: بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتىٰ يتحقق

---

(١) البخاري، في النكاح، بابٌ (٧/ ٣٥) رقم (٥٢١٩)، مسلم في اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما لم يعطَ (٣/ ١٦٨١) رقم (٢١٢٩).

(٢) البخاري، في الأدب، باب من كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٨/ ٢٦) رقم (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (٧٩) رقم (٦٠).

زوال ذلك بمقتضىٰ الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب علىٰ الله تعالىٰ في الحكم، وعلىٰ المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**إذا كفَّر الرجل أخاه، فقد باء بها أحدهما**»، وفي رواية: «**إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**».

وفيه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**ومن دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك؛ إلا حار عليه**»][1] اهـ باختصار.



(١) مسلم في الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم (١/ ٧٩) رقم (٦١).



الباب الحادي والثلاثون

باب: أي الذنب أكبر

الحديث الثاني والخمسون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾(١).

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده».

وقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم جميعًا؛ عن جرير، قال عثمان: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبد الله؛ فذكره.

---

(١) [الفرقان: ٦٨].



• **وفي الباب ست مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (قَالَ رَجُلٌ: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟).

وعند الشيخين من رواية منصور: «سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟»[(١)].

ش/ قلت: والجمع بينهما أن السائل هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمرة كنىٰ، ومرة صرح.

❁ المسألة الثانية: قوله: (أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك).

وعند الشيخين في رواية منصور: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[(٢)].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (قال: ثم أي؟).

وعند الشيخين في رواية منصور: «قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أي؟»[(٣)].

وعند أحمد والترمذي من رواية واصل: «قلت: ثم ماذا؟»[(٤)].

❁ المسألة الرابعة: قوله: (أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك).

وفي الصحيح من رواية منصور: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**»[(٥)].

---

(١) البخاري، في التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ (٦/ ١٨) رقم (٤٤٧٧)، ومسلم في الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١/ ٩٠) رقم (٨٦).

(٢، ٣) نفس المصدر السابق.

(٤) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٣٤) رقم (٤١٣١)، وجامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، ومن سورة الفرقان (٦/ ٣٣٦) رقم (٣١٨٢).

(٥) البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (٨/ ٨) رقم (٦٠٠١).

وعنده من رواية أبي ميسرة: «**أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك**»[(١)].

وعند أحمد من رواية واصل: «**وأن تقتل ولدك أجل أن يأكل معك أو يأكل طعامك**»[(٢)].

وعند النسائي من رواية عاصم: «**وأن تقتل ولدك مخافة الفقر أن يأكل معك**»[(٣)].

ش/ قلت: وفي سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[(٤)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ لما أوصىٰ تعالىٰ ببر الآباء والأجداد، عطف علىٰ ذلك الإحسان إلىٰ الأبناء والأحفاد، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خَشْيَة العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الافتقار...

إلىٰ أن قال: [وقوله: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قال ابن عباس، وقتادة، والسُّدِّي: هو الفقر؛ أي: ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل، وقال في سورة «سبحان»: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[(٥)] أي: خشية حصول فقر في الآجل؛ ولهذا قال هناك:

---

(١) البخاري، في الحدود، باب إثم الزناة (٨/ ١٦٤) رقم (٦٨١١).

(٢) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٦٤) رقم (٤٤٢٣).

(٣) سنن النسائي الصغرىٰ، في تحريم الدم، باب ذكر أعظم الذنب (٧/ ٩٠) رقم (٤٠١٥).

(٤) [الأنعام: ١٥١].

(٥) [الإسراء: ٣١].

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله.

وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم][1].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (أن تزاني حليلة جارك).

وفي الصحيح: «**ثم أن تزاني بحليلة جارك**»[2].

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**وقوله ﷺ: «أن تزاني حليلة جارك»**: هي بالحاء المهملة، وهي زوجته؛ سميت بذلك لكونها تحل له، وقيل: لكونها تحل معه.

ومعنى تزاني؛ أي: تزني بها برضاها، وذلك يتضمن الزنا، وإفسادها على زوجها، واستمالة قلبها إلى الزاني، وذلك أفحش، وهو مع امرأة الجار أشد قبحًا، وأعظم جرمًا؛ لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه، وعن حريمه، ويأمن بوائقه، ويطمئن إليه، وقد أُمِرَ بإكرامه والإحسان إليه، فإذا قابل هذا كله بالزنا بامرأته وإفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منه؛ كان في غاية من القبح][3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦١).

(٢) البخاري، كتاب الديات، بابٌ (٩/ ٢) رقم (٦٨٦١).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٨١).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تصديقها:** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

وفي الصحيح من رواية منصور: «وأنزل الله تصديق قول النبي ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية»[1].

وعند النسائي من رواية واصل: «ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾»[2].

ش/ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بل يعبدونه وحده، مخلصين له الدين حنفاء، مقبلين عليه، معرضين عما سواه.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهي نفس المسلم، والكافر المعاهد ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كقتل النفس بالنفس، وقتل الزاني المحصن، والكافر الذي يحل قتله.

﴿وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ بل يحفظون فروجهم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: الشرك بالله، أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق، أو الزنا؛ فسوف ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾، ثم فسره بقوله: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

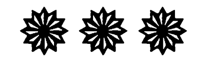
---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه (٨/ ٨) رقم (٦٠٠١).

(٢) السنن الصغرىٰ كتاب تحريم الدم، باب ذكر أعظم الذنب (٧/ ٩٠) رقم (٤٠١٥).

وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ أي: في العذاب ﴿مُهَانًا﴾. فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه، وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد علىٰ كل واحد من هذه الثلاثة؛ لكونها إما شرك، وإما من أكبر الكبائر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب، فإنه لا يتناوله الخلود؛ لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار، ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالىٰ علىٰ هذه الثلاثة؛ لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض](١).



---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٥٨٧).



الباب الثاني والثلاثون

باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة

الحديث الثالث والخمسون

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار».

الحديث الرابع والخمسون

عن أبي الأسود الديلي؛ أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات علىٰ ذلك؛ إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «وإن زنىٰ وإن سرق». قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «وإن زنىٰ وإن سرق». ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: «علىٰ رغم أنف أبي ذر».

قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: «وإن رغم أنف أبي ذر».

التخريج:

أولًا: حديث جابر أخرجه المصنف في باب: «من مات لا يشرك بالله شيئًا

دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب؛ قالا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

ثانيًا: وحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه في نفس الباب.

وقال: حدثني زهير بن حرب وأحمد بن خراش؛ قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا أبي، قال: حدثني حسين المعلم، عن ابن بريدة: أن يحيىٰ بن يعمر حدثه: أن أبا الأسود الديلي حدثه: أن أبا ذر حدثه أنه قال؛ فذكره.

- **وفي الباب سبع مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (أتىٰ النبي ﷺ رجل).**

ش/ لم أقف علىٰ تسمية هذا الرجل، وجهالته لا تضر؛ لأنه إن كان جابر فكناية منه، وإن كان غيره فهو صحابي.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (يا رسول الله، ما الموجبتان؟).**

ش/ يعني: ما الخصلتان اللتان توجب إحداهما دخول الجنة - يعني: فضلًا من الله - وتوجب الأخرىٰ دخول النار؟

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار).**

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات**

علىٰ ذلك؛ إلا دخل الجنة».

وعند البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرىٰ، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»، وقلت أنا: «من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة»[(١)].

وعند أحمد عن خريم بن فاتك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الأعمال ستة والناس أربعة، فموجبتان ومثل بمثل وحسنة بعشر أمثالها وحسنة بسبعمائة، فأما الموجبتان: فمن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[(٢)] الحديث.

ش/ قال مقيده: واعلم أن من مات علىٰ التوحيد مآله الجنة، وإن لقي الله علىٰ كبيرة كان تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه لم يخلده في النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[(٣)].

ومن السنة المتواترة ما نقلناه لك في هذا الباب. وأجمع أهل السنة علىٰ ذلك، وخالف الوعيدية من الخوارج والمعتزلة:

فقالت المعتزلة في مرتكب الكبيرة: «هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين؛ لا

---

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ (٦/ ٢٣) رقم (٤٤٩٧).

(٢) مسند أحمد، مسند خريم بن فاتك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٣٢١) رقم (١٨٩٢٠).

(٣) [النساء: ٤٨].



مسلم ولا كافر»، وقالت الخوارج: «هو في الدنيا كافر، وفي الآخرة خالد مخلد في النار»، ووافقتهم المعتزلة علىٰ حكمه الأخروي، فهدىٰ الله أهل السنة إلىٰ ما هو أعرف من الحق وأرحم بالخلق، وهو أن الفاسق الملي في الدنيا مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي الآخرة إن لم يتب؛ كان تحت المشيئة.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (عن أبي الأسود الديلي).

ش/ هو [أبو الأسود الديلي - بكسر المهملة وسكون التحتانية -، ويقال: الدؤلي - بالضم بعدها همزة مفتوحة -، البصري، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: عمرو بن ظالم، ويقال: بالتصغير فيهما، ويقال: عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمرو، ثقة فاضل، مخضرم من الثانية، مات سنة تسع وستين ع][1].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (قال: أتيت النبي ﷺ وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ).

ش/ قلت: هذا من أدب أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وذلك أنه لم يوقظ النبي ﷺ من نومه، وقد يكون في تكرار مجيئه للنبي ﷺ حاجة دعته إلىٰ ذلك، وهذا مما وقر في قلبه وقلوب الصحابة جميعًا من محبة النبي ﷺ.

❁ المسألة السادسة: قوله: (وإن زنىٰ وإن سرق).

وفي الصحيح من رواية معرور بن سويد: **«أتاني آتٍ من ربي، فأخبرني - أو**

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٦١٩).

قال: بشرني - أنه: «**من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**». قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «**وإن زنىٰ وإن سرق**»[١].

وفيه أيضًا من رواية زيد بن وهب عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، أو لم يدخل النار**». قال: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «**وإن**»[٢].

وفي الصحيح من رواية أبي معمر: «**قلت**: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «**وإن زنىٰ وإن سرق**»، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «**وإن زنىٰ وإن سرق**»، قلت: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «**وإن زنىٰ وإن سرق**»[٣].

ش/ قال مقيده: إن هذا التكرار كان من أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سبيل الاستيثاق والتأكد، والظاهر أنه لم يسمع مثله فيما مضىٰ، فلا يدورَنَّ بخلدك أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ذلك معارضًا لرسول الله ﷺ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أُخرجوا منها، وختم لهم بالخلود في الجنة. والله أعلم][٤].

---

(١) البخاري، في الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله (٢/ ٧١) رقم (١٢٣٧).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب ذكر الملائكة (٤/ ١١٣) رقم (٣٢٢٢).

(٣) البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض (٧/ ١٤٩) رقم (٥٨٢٧).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٩٧).

❁ المسألة السابعة: قوله: (علىٰ رغم أنف أبي ذر).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله ﷺ: «**علىٰ رغم أنف أبي ذر**». فهو بفتح الراء وضمها وكسرها.

قوله: «**وإن رغم أنف أبي ذر**». هو بفتح الغين وكسرها، ذكر هذا كله الجوهري وغيره.

وهو مأخوذ من «الرغام» بفتح الراء، وهو التراب. فمعنىٰ «أرغم الله أنفه»؛ أي: ألصقه بالرغام وأذله، فمعنىٰ قوله ﷺ: «**علىٰ رغم أنف أبي ذر**»؛ أي: علىٰ ذل منه؛ لوقوعه مخالفًا لما يريد.

وقيل: معناه علىٰ كراهة منه، وإنما قاله له ﷺ ذلك؛ لاستبعاده العفو عن الزاني السارق المنتهك للحرمة، واستعظامه ذلك، وتصور أبي ذر بصورة الكاره المانع وإن لم يكن ممانعًا، وكان ذلك من أبي ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالىٰ وأهلها، والله أعلم][(١)].



---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٩٦).



الباب الثالث والثلاثون

بابٌ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

الحديث الخامس والخمسون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «تحريم الكبر وبيانه».

وقال: حدثنا محمد بن المثنىٰ ومحمد بن بشار وإبراهيم بن دينار؛ جميعًا، عن يحيىٰ بن حماد - قال ابن المثنىٰ: حدثني يحيىٰ بن حماد -، أخبرنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب خمس مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).

وعند أبي داود من رواية الأعمش: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة

من خردل من كبر»[١].

وعند ابن ماجه من رواية سعيد بن مسلمة عن الأعمش: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من كبر**»[٢].

ش/ فائدة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة.

فالكبر يمنع الانقياد، والحسد يمنع قبول النصيحة وبذلها، والغضب يمنع العدل، والشهوة تمنع التفرغ للعبادة. فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله، وإذا انهدم ركن الغضب سهل عليه العدل والتواضع، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة وزوال الجبال عن أماكنها][٣] اهـ.

قال مقيده: وقد ذم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكبر وتوعد عليه بأشد الوعيد في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[٤].

---

(١) سنن أبي داود في اللباس، باب ما جاء في الكبر (٤/ ٥٩) رقم (٤٠٩١).

(٢) سنن ابن ماجه في المقدمة، باب ما جاء في الايمان (١/ ٢٢) رقم (٥٩).

(٣) الفوائد (١/ ١٥٧).

(٤) [الأعراف: ١٤٦].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ أي: يتكبرون علىٰ عباد الله وعلىٰ الحق، وعلىٰ من جاء به، فمن كان بهذه الصفة؛ حَرَمَه الله خيرًا كثيرًا، وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾ لإعراضهم واعتراضهم، ومحادتهم لله ورسوله ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ أي: الهدىٰ والاستقامة، وهو الصراط الموصل إلىٰ الله، وإلىٰ دار كرامته ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾؛ أي: لا يسلكوه ولا يرغبوا فيه، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ أي: الغواية، الموصل لصاحبه إلىٰ دار الشقاء ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾، والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها، واحتقارهم لها؛ هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشد ما أوجب][1].

قال مقيده: وفي آية الزمر: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٠٢).

(٢) [الزمر: ٧١، ٧٢].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (قال رجل).**

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [«هذا الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي، قاله القاضي عياض، وأشار إليه أبو عمر بن عبد البر رحمهما الله.

وقد جمع أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الحافظ في اسمه، أقوالًا من جهات، فقال: هو أبو ريحانة، واسمه شمعون. ذكره ابن الأعرابي.

وقال علي بن المديني في الطبقات: اسمه ربيعة بن عامر، وقيل: سواد بالتخفيف. ابن عمر، وذكره ابن السكن. وقيل: معاذ بن جبل. ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب «الخمول والتواضع»، وقيل: مالك بن مرارة الرهاوي. ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث»، وقيل: عبد الله بن عمرو بن العاصي. ذكره معمر في «جامعه»، وقيل: خريم بن فاتك. هذا ما ذكره ابن بشكوال.

وقولهم: ابن مرارة الرهاوي: هو «مرارة» بضم الميم وبراء مكررة وآخرها هاء، «والرهاوي» هنا نسبة إلىٰ قبيلة. ذكره الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري بفتح الراء ولم يذكره ابن ماكولا. وذكر الجوهري في «صحاحه»: أن الرهاوي نسبة إلىٰ «رها» بضم الراء حي من مذحج. وأما «شمعون» فبالعين المهملة وبالمعجمة والشين معجمة فيهما، والله أعلم][(١)].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة).**

وعند الترمذي من رواية فضيل بن عمر عن إبراهيم النخعي: «فقال له

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٩٢).

رجل: إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسنًا ونعلي حسنًا»[١].

ش/ قلت: وكلتا العبارتين متفقة في المعنىٰ وإن اختلفتا في اللفظ، فيجوز أن ذلك السائل عمم في الأولىٰ ونص علىٰ نفسه في الثانية.

وفي تحفة الأحوذي: [أي من غير أن أراعي نظر الخلق، وما يترتب عليه من الكبر والخيلاء والسمعة والرياء، ثم النعل ما وقيت به القدم، وهي مؤنثة سماعية. ذكرها ابن الحاجب في رسالته «فيما يجب تأنيثه».

فالتذكير هنا باعتبار معناها وهو ما وقيت به القدم، ولعل سبب ذلك السؤال ما ذكره الطيبي: أنه لما رأىٰ الرجل العادة في المتكبرين لبس الثياب الفاخرة ونحو ذلك؛ سأل ما سأل][٢].

❁ المسألة الرابعة: قوله: (إن الله جميل يحب الجمال).

وعند الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة؟ قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[٣].

وفي مسند أبي يعلىٰ عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرىٰ نعمته علىٰ عبده**»[٤].

---

(١) جامع الترمذي، البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الكبر (٤/ ٣٦١) رقم (١٩٩٩).

(٢) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي للمباركفوري (٦/ ١١٦).

(٣) مستدرك الحاكم (١/ ٧٨) رقم (٧٠).

(٤) مسند أبي يعلىٰ الموصلي، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٢٠) رقم (١٠٥٥).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [اختلفوا في معناه؛ فقيل: إن معناه أن كل أمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حسن جميل، وله الأسماء الحسنىٰ، وصفات الجمال والكمال. وقيل: جميل بمعنىٰ مجمِّل، ككريم وسميع بمعنىٰ مكرم ومسمع.

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه جليل. وحكىٰ الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنىٰ ذي النور والبهجة، أي: مالكهما، جميل الأفعال بكم، باللطف والنظر إليكم، يكلفكم اليسير من العمل، ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل، ويشكر عليه][1] اهـ.

قال مقيده: وجميع هذه المعاني صحيحة ولا ينافي بعضها بعضًا، والله أعلم.

۞ المسألة الخامسة: قوله: (الكبر بطر الحق وغمط الناس).

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ، وكان رجلًا جميلًا، فقال: يا رسول الله، إني رجل حبب إليَّ الجمال، وأعطيت منه ما ترىٰ، حتىٰ ما أحب أن يفوقني أحد، إمَّا قال: بشراك نعلي، وإما قال: بشسع نعلي، أفمن الكبر ذلك؟ قال: «**لا، ولكن الكبر من بطر الحق، وغمط الناس**»[2] [وصححه الألباني].

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٩٠).

(٢) سنن أبي داود كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر (٤/ ٥٩) رقم (٤٠٩٢)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني رقم (٤٠٩٢).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وأما «**بطر الحق**» فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا.

وقوله ﷺ: «**وغمط الناس**» هو بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم وبالطاء المهملة، هكذا هو في نسخ صحيح مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم نروِ هذا الحديث عن جميع شيوخنا هنا وفي البخاري إلا بالطاء. قال: وبالطاء أبو داود في مصنفه، وذكره أبو عيسىٰ الترمذي وغيره «**غمض**» بالصاد، وهما بمعنًىٰ واحد، ومعناه: احتقارهم. يقال في الفعل منه: «غمَطه» بفتح الميم، «يغمِطه» بكسرها، و«غمِطه» بكسر الميم، «يغمُطه» بفتحها][1].

من فقه الحديث:

أولًا: تحريم الكبر.

ثانيًا: جواز التجمل إذا لم يكن فيه فخر وخيلاء.

ثالثًا: إثبات صفة المحبة لله.



(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٩٠).



الباب الرابع والثلاثون

باب: الطعن في النسب والنياحة من الكفر

الحديث السادس والخمسون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية (ح) وحدثنا ابن نمير - واللفظ له -، حدثنا أبي ومحمد بن عبيد؛ كلهم عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (اثنتان في الناس).

ش/ يعني: خصلتين ملازمتين لهم.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (هما بهم كفر).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وفيه أقوال، أصحها: أن معناه: هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية](١).

قال مقيده: وهذا المعنىٰ متجه، فهما من شعب الكفر، وتقدم لك ما نقلناه عن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (الطعن في النسب).**

ش/ قلت: الطعن في النسب: هو عيب الرجل نسب غيره واحتقاره والسخرية منه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ينهىٰ تعالىٰ عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الكِبْر بطر الحق، وغَمْص الناس**»، ويروىٰ: «**وغمط الناس**»، والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٥٧).

(٢) في الباب الثامن والعشرون (بابٌ: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض).

(٣) [الحجرات: ١١].

من الساخر منه المحتقِر له؛ ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾، فنص علىٰ نهي الرجال، وعطف بنهي النساء.

وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تلمزوا الناس. والهمّاز: اللّماز من الرجال، مذموم ملعون، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾(١) فالهمز بالفعل، واللمز بالقول، كما قال: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾(٢) أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾، كما قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾(٣) أي: لا يقتل بعضكم بعضًا.

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل بن حَيَّان: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا يطعن بعضكم علىٰ بعض.

وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها](٤).

❁ المسألة الرابعة: قوله: (والنياحة علىٰ الميت).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هي قول: واويلاه واحسرتاه. والندبة: عد شمائل الميت، مثل: واشجاعاه، وأسداه، واجبلاه. قاله القاري](٥).

---

(١) [الهمزة: ١].
(٢) [القلم: ١١].
(٣) [النساء: ٢٩].
(٤) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧٦).
(٥) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٤/ ٧٠).

تنبيه:

في هذا الباب ما أخرجه المصنف عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[(١)].

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يتركهن أهل الإسلام: النياحة، والاستسقاء بالأنواء**، وكذا قلت لسعيد: وما هو؟ قال: **دعوىٰ الجاهلية: يا آل فلان، يا آل فلان، يا آل فلان**»[(٢)].

وعند ابن حبان: «**ثلاث من الكفر بالله: شق الجيب، والنياحة، والطعن في النسب**»[(٣)] [قال محققه: حديث صحيح].

قال مقيده: لا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن هذه الخمس الخصال من أعمال الجاهلية وأنها محرمة، وما جاء في وصف بعضها بأنه كفر؛ فهو علىٰ التغليظ، وقد تقدم لك كلام الشيخ عبد اللطيف.

---

(١) مسلم كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (٢/ ٢٤٤) رقم (٩٣٤).

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٦٢) رقم (٧٥٥٠).

(٣) الإحسان في ترتيب ابن حبان كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، الوعيد علىٰ تارك الصلاة، ذكر خبر عاشر يدل علىٰ صحة ما تأولنا لهذه الأخبار بأن القصد فيها إطلاق الاسم علىٰ بداية ما يتوقع نهايته قبل بلوغ النهاية فيه (٤/ ٣٢٧) رقم (١٤٦٥).

ومن صور النياحة: ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا نعد الاجتماع إلىٰ أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة»(١).

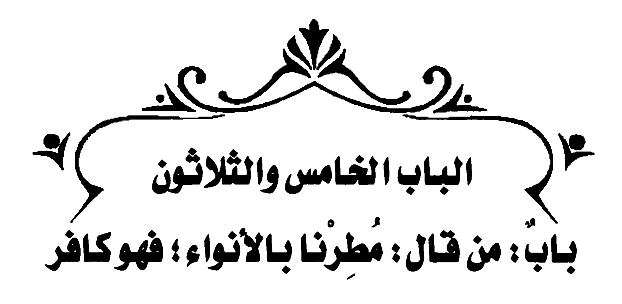
قلت: وهذا الذي ذكره في الحديث ينطبق تمامًا علىٰ ما بليت به كثير من أقطار الإسلام، من إقامة الولائم التي ينفق عليها الأموال الطائلة، ونصب المخيمات والسرادقات بعد دفن الميت أيامًا، وما نجا منها إلا من رحم الله.

فاحذر - أيها المسلم - هذا الصنيع ولا تغرنك الكثرة، وعليك بهدي نبيك ﷺ، وهدي السلف الصالح من بعده.



---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٠٤) رقم (٦٩٠٥).



الباب الخامس والثلاثون

بابٌ: من قال: مُطِرْنا بالأنواء؛ فهو كافر

الحديث السابع والخمسون

عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم: قال: قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء».

وقال: حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ، قال: قرأت علىٰ مالك، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب ثمان مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي مشهور، مات بالمدينة سنة ثمان

وستين أو وسبعين، وله خمس وثمانون سنة بالكوفة ع][1].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (صلىٰ بنا رسول الله ﷺ).**

وعند البخاري من رواية سليمان بن بلال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلىٰ لنا رسول الله ﷺ الصبح»[2].

وعند أحمد من رواية سفيان: «مُطِر الناس علىٰ عهد رسول الله ﷺ ذات ليلة»[3].

وعند المصنف من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مُطِر الناس علىٰ عهد النبي ﷺ»[4].

ش/ قلت: والجمع بين هذه الروايات بالحمل علىٰ التعدد، والله أعلم.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل).**

وفي الصحيح: «صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليلة»[5].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فلما انصرف أقبل علىٰ الناس).**

وفي الصحيح: «ثم أقبل علينا»[6].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٢٣)، انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٦٠٣).

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (٥/ ١٢١) رقم (٤١٤٧).

(٣) مسند أحمد، بقية حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ١١٦) رقم (١٧٠٩٠).

(٤) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (١/ ٨٤) رقم (٧٣).

(٥) البخاري، كتاب الأذان، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١/ ١٦٩) رقم (٨٤٦).

(٦) سبق تخريجه.

وعند أحمد: «فلما أصبحوا...»[١].

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (هل تدرون ماذا قال ربكم: قالوا: الله ورسوله أعلم).**

وفي الصحيح: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟** قلنا: الله ورسوله أعلم»[٢].

وعند أحمد: «**ألم تسمعوا ما قال ربكم** عَزَّوَجَلَّ **الليلة؟**»[٣].

❁ **المسألة السادسة: قوله: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر).**

وفي الصحيح: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي**»[٤].

وفي حديث ابن عباس عند المصنف: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**»[٥].

وله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ألم تروا إلىٰ ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت علىٰ عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين؛ يقولون: الكواكب، وبالكواكب**»[٦].

وعند أحمد: «**ما أنعمت علىٰ عبادي نعمة إلا أصبح بها قوم كافرين بالذي آمن بي**»[٧].

وعند النسائي: «**ما أنعمتُ علىٰ عبادي من نعمة إلا أصبح طائفة منهم بها كافرين؛ يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا**»[٨].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته. فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب).**

وفي الصحيح: «**مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله. فهو مؤمن بي،**

(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧) سبق تخريجه.

(٨) سنن النسائي الصغرىٰ في الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالكواكب (٣/ ١٦٤) رقم (١٥٢٥).

كافر بالكوكب»[١].

وعند المصنف من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «قالوا: هذه رحمة الله»[٢].

وعند النسائي من رواية سفيان: «فأما من آمن بي وحمدني على سقياي؛ فذاك الذي آمن بي وكفر بالكوكب»[٣].

۞ المسألة الثامنة: قوله: (وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب).

وعند المصنف من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتىٰ بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[٤].

وفي الصحيح: «وأما من قال: مطرنا بنجم كذا؛ فهو مؤمن بالكوكب، كافر بي»[٥].

ش/ قلت: وسياق الأيات تامًّا هكذا، قال تعالىٰ: ﴿۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾[٦].

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: [قال بعضهم: يعني: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) سبق تخريجه.

(٦) [الواقعة: ٧٥ - ٨٢].

بمعنىٰ شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، أي: تكذبون بدل الشكر.

وقد روي عن علي، وابن عباس أنهما قرآها: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»](١).

قال مقيده: وختمًا لشرح هذا الحديث لا بد أن نبين أمرين:

الأمر الأول: في معنىٰ الأنواء جمع نوء، ومعناه: [هي ثمان وعشرون مَنْزلةً، ينزل القَمُر كلَّ ليلة في منزلة منها، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَهُ مَنَازِلَ﴾، ويَسْقط في الغَرْب كلَّ ثلاثَ عشرة ليلة مَنزلةً مع طلوع الفجر، وتطلُع أخرىٰ مُقابلَها ذلك الوقت في الشرق، فتَنْقضي جميعُها مع انقضاء السَّنة. وكانت العرب تزعُم أن مع سُقوط المنزِلة وطلُوع رَقيبها يكون مَطر، ويَنسُبونه إليها، فيقولون: مُطِرنا بنَوْء كذا](٢) قاله ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأمر الثاني: في حكم نسبة المطر إلىٰ النوء، وهو ما يعبر عنه بالاستسقاء بالأنواء، أي: طلب السقيا منها.

واعلم أن نسبة المطر إلى النوء ثلاثة أقسام:

أحدها: نسبة إيجاد، وهذا شرك في الربوبية من وجه، وفي الألوهية من وجه آخر، فأما كونه شركًا في الربوبية؛ فلأن معناه: اعتقاد متصرف مع الله في ملكه. وأما كونه شركًا في الألوهية؛ فلتعلق أهل هذا الاعتقاد بالنوء والتذلل له.

---

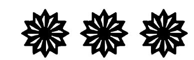
(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٤٥).

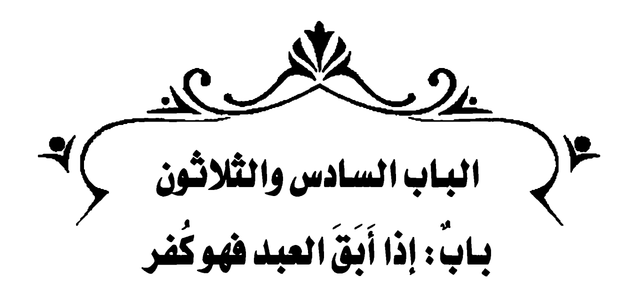
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة «نوأ».

وقد عرفنا في زماننا أن بعض عوام البوادي إذا تشاءموا من النوء ويئسوا من المطر، قتلوا صغار البَهم.

الثاني: نسبة سبب، وهو اعتقاد أن طلوع النوء سببٌ في نزول المطر فقط، فهذا محرم.

الثالث: نسبة وقت، ومنه قوله: «نزل المطر في وقت الثريا»، فهذا لا بأس به؛ لأنه لا يترتب عليه اعتقاد فاسد، وإنما هو مجرد إخبار بوقت نزول المطر.





الباب السادس والثلاثون

بابٌ: إذا أَبَقَ العبد فهو كُفر

الحديث الثامن والخمسون

عن الشعبي، عن جرير؛ أنه سمعه يقول: «أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر، حتىٰ يرجع إليهم» قال منصور: قد - والله - روي عن النبي ﷺ، ولكني أكره أن يُروىٰ عني هاهنا بالبصرة.

الحديث التاسع والخمسون

عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة».

التخريج:

أولًا: حديثه الأول أخرجه المصنف في باب: «تسمية العبد الآبق كافرًا».

وقال: حدثنا علي بن حجر السعدي، حدثنا إسماعيل - يعني: ابن علية - عن منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديثه الثاني في نفس الباب. وقال: حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ، أخبرنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: كان جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فذكره.

● وفي الباب أربع مسائل:

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن جرير).**

ش/ هو [جرير بن عبدالله بن جابر البجلي، صحابي مشهور، يقال له: يوسف هذه الأمة. مات سنة إحدىٰ وخمسين، وقيل: بعدها ع][١].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر).**

وعند أحمد والمصنف من رواية داود - وهو ابن أبي هند -: «**أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة**»[٢].

وفي الحديث الثاني: «**لم تقبل له صلاة**»[٣].

قوله: «أَبَقَ».

ش/ قال مقيده: [أَبَقَ العبد يَأْبَقُ ويأبِقُ إبَاقًا؛ إذا هرب، وتأَبَّقَ؛ إذا استتر، وقيل: احتبس. ومنه حديث شُرَيح: «كان يَرُدُّ العبدَ من الإبَاق البَاتِّ» أي: القاطع الذي لا شبهة فيه][٤] قاله ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (قال منصور).**

ش/ هو [منصور بن عبد الرحمن الغداني - بضم المعجمة - البصري الأشل،

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ١٣٩)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٥٦).

(٢) مسند أحمد، مسند جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٣٥٧) رقم (١٩١٧٨)، ومسلم في الإيمان، باب تسمية العبد الآبق كافرًا (١/ ٨٣) رقم (٦٩).

(٣) في نفس الباب من المختصر.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «أبق».

صدوق يهم، من السادسة م د][1].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (قد - والله - روي عن النبي ﷺ ولكني أكره أن يُروىٰ عني هاهنا بالبصرة).**

ش/ [فمعناه أن منصورًا روىٰ هذا الحديث عن الشعبي عن جرير موقوفًا عليه، ثم قال منصور بعد روايته إياه موقوفًا: والله إنه مرفوع إلىٰ النبي ﷺ، فاعلموه - أيها الخواص الحاضرون -؛ فإني أكره أن أصرح برفعه في لفظ روايتي، فيشيع عني في البصرة التي هي مملوءة من المعتزلة والخوارج الذين يقولون بتخليد أهل المعاصي في النار، والخوارج يزيدون علىٰ التخليد؛ فيحكمون بكفره، ولهم شبهة في التعلق بظاهر هذا الحديث][2] اهـ محل الغرض. حكاه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من فقه الأحاديث:

أولًا: يحرم علىٰ المملوك الهرب من مواليه.

ثانيًا: شدة الوعيد في ذلك.

ثالثًا: في قول منصور بن عبد الرحمن: «قد - والله - روي عن النبي ﷺ، ولكني أكره أن يروىٰ عني ههنا بالبصرة»؛ دليل علىٰ وجوب درء المفاسد إذا خشي رجحانها علىٰ المصالح.

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٥٩).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٥٩).

الباب السابع والثلاثون

بابٌ: إنما وليِّيَ الله وصالح المؤمنين

الحديث الستون

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سر، يقول: «ألا إن آل أبي - يعني: فلانًا - ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «موالاة المؤمنين، ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم».

وقال: حدثني أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي باب خمس مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، مات بمصر سنة نيف وأربعين، وقيل: بعد الخمسين ع][1].

(١) تقريب التهذيب (ص: ٤٢٣)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٥٠)

❁ **المسألة الثانية: قوله: (جهارًا غير سر).**

ش/ والمعنىٰ: أنه أعلنه وأظهره، ولم يخفِه.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي. - يَعْنِي: فُلَانًا -).**

وعند أحمد: «**إن آل أبي فلان**»(١).

وفي مستخرج أبي عوانة: «**إن بني فلان**»(٢).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هذه الكناية بقوله: يعني فلانًا، هي من بعض الرواة؛ خشي أن يسميه؛ فيترتب عليه مفسدة وفتنة؛ إما في حق نفسه، وإما في حقه وحق غيره](٣).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (ليسوا لي بأولياء).**

وعند البخاري من رواية عمرو بن عباس: «**ليسوا بأوليائي**»(٤).

ش/ قلت: والمعنىٰ: تبرؤه ﷺ منهم، وموالته لأهل الإيمان سواء كانوا من قومه أو غيرهم.

وهذه هي قاعدة الولاء والبراء، وقد جاء هذا في غير ما آية من الكتاب

---

(١) مسند أحمد، بقية مسند عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٢٠٣) رقم (١٧٨٣٧).

(٢) مسند أبي عوانة في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (١/ ٩٠) رقم (٢٧٦).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٣/ ٨٧).

(٤) البخاري، في الأدب، باب تبل الرحم ببلالها (٨/ ٦) رقم (٥٩٩٠).

العزيز: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾(١) الآية.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٢).

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**يقول تعالىٰ:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملًا علىٰ مقتضىٰ الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان علىٰ الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه](٣) اهـ.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (إنما وليي الله وصالح المؤمنين).**

وفي حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند ابن حبان: «**إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولىٰ الناس بي، وإن أولىٰ الناس بي المتقون من كانوا حيث كانوا**»(٤) [قال محققه:

---

(١) [الممتحنة: ٤]. (٢) [المجادلة: ٢٢].

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٨٤٨).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان في الرقاق، باب الخوف والتقوىٰ، ذكر الخبر الدال علىٰ أن أولياء المصطفىٰ ﷺ هم المتقون دون أقربائه إذا كانوا فجرة (٢/ ٤١٥) رقم (٦٤٧).

إسناده قوي].

ش/ قلت: وفي الكتاب العزيز قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١).

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: فإن الله يتولىٰ نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين، فلن يعدم ناصرًا ينصره](٢).

وفي الصحيح: زاد عنبسة بن عبد الواحد، عن بيان عن قيس، عن عمرو بن العاص، قال: سمعت النبي ﷺ: «**ولكن لهم رحم أبلها ببلاها**»، يعني: أصلها بصلتها. قال أبو عبد الله: «ببلاها كذا وقع، وببلالها أجود وأصح، وببلاها لا أعرف له وجهًا»(٣).



---

(١) [التحريم: ٤].

(٢) فتح القدير (٧/ ٢٥٢).

(٣) البخاري، في الأدب، باب تبل الرحم ببلالها (٨/ ٦) رقم (٥٩٩٠).



الباب الثامن والثلاثون

باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا

الحديث الحادي والستون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة؛ يعطىٰ بها في الدنيا ويجزىٰ بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة يجزىٰ بها».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا»(١).

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب - واللفظ لزهير -؛ قالا: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام بن يحيىٰ، عن قتادة، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

---

(١) في كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

• **وفيه خمس مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة).**

ش/ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(١).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يخبر تعالىٰ عن كمال عدله وفضله، وتنزهه عما يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ أي: إلىٰ عشرة أمثالها إلىٰ أكثر من ذلك بحسب حالها ونفعها، وحال صاحبها إخلاصًا ومحبة وكمالًا.

﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ أي: زيادة علىٰ ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير](٢).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (يعطىٰ بها في الدنيا).**

وفي مسند أحمد: «**إن الله لا يظلم المؤمن حسنة؛ يعطىٰ عليها في الدنيا**»(٣).

---

(١) [النساء: ٤٠].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ١٧٩).

(٣) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٢٣) رقم (١٢٢٥٩).

وعنده «**إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم المؤمن حسنة؛ يثاب عليها الرزق في الدنيا**»(١).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (ويجزىٰ بها في الآخرة).**

وعند أحمد: «**ويثاب عليها في الآخرة**»(٢).

ش/ قلت: وبيان ذلك ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك؛ فمن همَّ بحسنة فلم يعملها؛ كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها؛ كتبها الله عَزَّوَجَلَّ عنده عشر حسنات إلىٰ سبع مائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة**»(٣) الحديث.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: [أجمع العلماء علىٰ أن الكافر الذي مات علىٰ كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازىٰ فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، وصرح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلىٰ الله تعالىٰ مما لا يفتقر صحته إلىٰ النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها](٤).

---

(١) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ١٢٥) رقم (١٢٢٨٦).

(٢) نفس المصدر السابق (٣/ ١٢٣) رقم (١٢٢٥٩).

(٣) البخاري، في الرقاق، باب إذا همَّ بحسنة أو سيئة (٨/ ١٠٣) رقم (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/ ١٣١) رقم (١٣١).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١٧/ ١٥٠).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة يجزىٰ بها).**

وعند ابن حبان: «**فإذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم تكن له حسنة يعطىٰ بها خيرًا**»(١).

ش/ قال مقيده: وفي الكتاب الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢).

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، وهذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد علىٰ ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلىٰ الشريعة المرضية؛ فهو باطل.

فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾](٣) اهـ.

وفي سورة براءة قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ

---

(١) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر البيان بأن الله جَلَّ وَعَلَا قد يجازي المؤمن علىٰ حسناته في الدنيا كما يجازي علىٰ سيئاته فيها (٢/ ١٠٢) رقم (٣٧٧)

(٢) [الفرقان: ٢٣].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٠٣).

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾[1].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يقول تعالىٰ ذكره: ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون علىٰ أنفسهم بالكفر. يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها، لا للكفر به، فمن كان بالله كافرًا، فليس من شأنه أن يعمُرَ مساجد الله.

ش/ وأخرج في المعنىٰ عن السدي.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ يقول: بطلت وذهبت أجورها؛ لأنها لم تكن لله، بل كانت للشيطان ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ يقول: ماكثون فيها أبدًا، لا أحياءً ولا أمواتًا][2].



(١) [التوبة: ١٧].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٤/ ١٦٥، ١٦٦).



الباب التاسع والثلاثون

بابٌ: الإسلام ما هو؟ وبيان خصاله

الحديث الثاني والستون

عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتىٰ دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال: رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل علي غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطوع. وصيام شهر رمضان. فقال: هل علي غيره؟ فقال: لا، إلا أن تطوع. وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد علىٰ هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق».

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أفلح - وأبيه - إن صدق، أو دخل الجنة - وأبيه - إن صدق».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام».

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي، عن

مالك بن أنس فيما قرئ عليه، عن أبي سهيل، عن أبيه؛ أنه سمع طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه عشر مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

ش/ هو [طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي أبو محمد المدني، «وهو المسمىٰ طلحة الفياض»، أحد العشرة، مشهور، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين ع](١).

۞ المسألة الثانية: قوله: (جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتىٰ دنا من رسول الله ﷺ).

وفي الصحيح: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، يُسمع دوي صوته، ولا يُفقه ما يقول، حتىٰ دنا»(٢).

وفيه أيضًا: «أن أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ ثائر الرأس»(٣).

ش/ قلت:

وقوله: «ثائر الرأس»: [أي مُنْتَشِر شَعر الرأس قائمه] قاله ابن الأثير(٤).

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٢)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٢٩).

(٢) البخاري، في الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (١/ ١٨) رقم (٤٦).

(٣) البخاري، في الصوم، باب وجوب صوم رمضان (٣/ ٢٤) رقم (١٨٩١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «ثور».

وقوله: «**دوي صوته**»: [الدَّوِيُّ: صَوت ليس بالعالي كصوتِ النَّحلِ ونحوه] قاله ابن الأثير[١].

وقوله: «**ولا نفقه ما يقول**»: يعني لم نفهم عباراته، وذلك لبعده أول ما جاء عن النبي ﷺ.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فإذا هو يسأل عن الإسلام).

وفي الصحيح: «يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟»[٢].

ش/ «**إذا**» هذه هي الفجائية، وغالب ما تضاف إليه الجمل الاسمية.

والمراد: خصال الإسلام، والظاهر أن ذلك الرجل كان مسلمًا، وإنما أراد من النبي ﷺ أن يعلمه خصال الإسلام حتىٰ يكون علىٰ بصيرة وفقه من دين الله، ويدل علىٰ أنه مسلم قوله: «يا رسول الله».

❁ المسألة الرابعة: قوله: (خمس صلوات في اليوم والليلة).

وعند البخاري: «**الصلوات الخمس**»[٣].

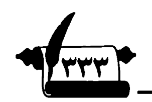
وعنده في قصة ضمام بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: اللهم

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «دوا».

(٢) البخاري، في الصوم، باب وجوب صوم رمضان (٣/ ٢٤) رقم (١٨٩١).

(٣) المصدر السابق.



نعم»(١).

وعند أحمد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «افترض الله علىٰ عباده صلوات خمسًا»(٢).

وأخرج الحميدي - واللفظ له - وأحمد وأبو داود عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد في اليوم والليلة»(٣).

وفي الصحيح من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»(٤).

۞ المسألة الخامسة: قوله: (فقال: هل علي غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطوع).

وفي الصحيح: «إلا أن تطوع شيئًا»(٥).

وفيه أيضًا من رواية إسماعيل بن عبد الله: «هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع»(٦).

---

(١) البخاري، في العلم، باب ما جاء في العلم (١/ ٢٣) رقم (٦٣).

(٢) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٢٦٧) رقم (١٣٨٤٢).

(٣) مسند الحميدي، مسند عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٣٠٦) رقم (٣٩٢)، ومسند أحمد، مسند عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٣١٥)، وسنن أبي داود في الصلاة، باب فيمن لم يوتر (٢/ ٦٢) رقم (١٤٢٠).

(٤) البخاري، في الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨) رقم (١٤٩٦).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) البخاري، في الشهادات، باب كيف يستحلف (١/ ١٨) رقم (٤٦).

وعند أحمد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هل قبلهن أو بعدهن؟ قال: افترض الله علىٰ عباده صلوات خمسًا. قالها ثلاثًا»[1].

ش/ وقوله: «**إلا أن تطوع**».

معناه: ليس عليك صلاة مكتوبة غير هذه الخمس، وما فعلت بعد ذلك من صلاةٍ؛ فهي نافلة.

❁ المسألة السادسة: قوله: (وصيام شهر رمضان، فقال: هل علي غيره؟ فقال: لا، إلا أن تطوع).

وفي الصحيح: «فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: **شهر رمضان، إلا أن تطوع شيئًا**»[2].

وفي الصحيح من قصة ضمام من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **اللهم نعم**»[3].

وعند أحمد: «وسأله عن الصوم، فقال: **صيام رمضان**. قال: هل علي غيره؟ قال: **لا**»[4].

ش/ والمعنىٰ: علىٰ هذه الروايات: أنه لم يفرض علىٰ العباد صوم غير صوم

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، في العلم، باب ما جاء في العلم (١/ ٢٣) رقم (٦٣).

(٤) مسند أحمد، مسند طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٦٢) رقم (١٣٩٠).

رمضان، وما عداه ففرضه لسببٍ؛ كالكفارة وصوم النذر، أو كان نافلة؛ كصيام ست من شوال وصوم الاثنين والخميس وتسعة أيام من ذي الحجة.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع).**

وفي الصحيح: «فقال: أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة؟»(١).

وفيه من قصة ضمام في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها علىٰ فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: **اللهم نعم**»(٢).

وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فإن هم أطاعوا لك بذلك؛ فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم**»(٣).

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد علىٰ هذا ولا أنقص منه).**

وفي الصحيح: «والذي أكرمك لا أتطوع شيئًا، ولا أنقص مما فرض الله علي شيئًا»(٤).

---

(١) البخاري، في الصوم باب وجوب صوم رمضان (١/ ٤٠) رقم (١١).

(٢) البخاري، في العلم، باب ما جاء في العلم (١/ ٢٣) رقم (٦٣).

(٣) البخاري، في الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨) رقم (١٤٩٦).

(٤) البخاري، في الصوم، باب وجوب صوم رمضان (٣/ ٢٤) رقم (١٨٩١).

وعند أحمد من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والذي بعثك بالحق لا أزيد فيهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئًا»[١].

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (أفلح إن صدق).**

وفي الصحيح من رواية إسماعيل بن جعفر: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**»[٢] كذا بالشك.

وعند النسائي في حديث أنس في قصة رجل: «**إن صدق ليدخلن الجنة**»[٣].

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (وفي رواية قال النبي ﷺ: «أفلح - وأبيه - إن صدق، أو دخل الجنة - وأبيه - إن صدق»).**

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقع عند مسلم من رواية إسماعيل بن جعفر المذكورة: «**أفلح - وأبيه - إن صدق**» أو «**دخل الجنة وأبيه إن صدق**»، ولأبي داود مثله لكن بحذف «أو».

فإن قيل: ما الجامع بين هذا وبين النهي عن الحلف بالآباء؟

أجيب بأن ذلك كان قبل النهي، أو بأنها كلمة جارية على اللسان لا يقصد بها الحلف، كما جرى على لسانهم: عقرى حلقى، وما أشبه ذلك، أو فيه إضمار اسم

(١) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٢٦٧) رقم (١٣٨٤٢).

(٢) البخاري، في الصوم، باب وجوب صوم رمضان (٣/ ٢٤) رقم (١٨٩١).

(٣) سنن النسائي الصغرى في الصلاة، باب كم فرضت في اليوم والليلة (١/ ٢٢٨) رقم (٤٥٩).

الرب كأنه قال: ورب أبيه. وقيل: هو خاص. ويحتاج إلىٰ دليل، وحكىٰ السهيلي عن بعض مشايخه أنه قال: هو تصحيف، وإنما كان (والله) فقصرت اللَّامان][1] اهـ «الفتح».



---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٠٧).



الباب الأربعون

بابٌ: بني الإسلام على خمس

الحديث الثالث والستون

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام علىٰ خمسة: علىٰ أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»، فقال رجل: الحج وصيام رمضان. قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام».

وقال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني، حدثنا أبو خالد - يعني: سليمان بن حيان الأحمر -، عن أبي مالك الأشجعي، عن سعد بن عبيدة، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفيه سبع مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (بني الإسلام علىٰ خمس).

ش/ والمعنىٰ: أن دين الاسلام له خمس دعائم يقوم عليها، وسيأتي بيانها - إن

شاء الله -.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (علىٰ أن يوحد الله).**

وعنده من رواية سهل بن عثمان العسكري: «علىٰ أن يعبد الله، ويكفر بما دونه»(١).

وعنده أيضًا من رواية عبيد الله بن معاذ: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله**»(٢).

وفي الصحيح: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»(٣).

وفيه أيضًا: «**يا ابن أخي، بني الإسلام علىٰ خمس، إيمان بالله ورسوله...**»(٤).

وعنده من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ**»(٥).

وعند الدارقطني: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: توحيد الله**»(٦).

ش/ وفي هذا رد علىٰ من ينفي وجود التوحيد في السنة، ويقول رافعًا عقيرته:

---

(١) مسلم في الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (١/ ٤٥) رقم (١٦).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) البخاري، في الإيمان، باب «**بني الإسلام علىٰ خمس**» (١/ ١١) رقم (٨).

(٤) البخاري، في تفسير القرآن، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية (٦/ ٢٦) رقم (٤٥١٣).

(٥) البخاري، في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (٩/ ١١٤) رقم (٧٣٧١).

(٦) سنن الدارقطني في الزكاة، باب الحث علىٰ إخراج الصدقة وبيان قسمتها (٣/ ٥٦) رقم (٢٠٥٩).

إن الموجود هو الإيمان!!

❁ المسألة الثالثة: قوله: (وإقام الصلاة).

ش/ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله تعالىٰ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوف جملة علىٰ جملة. وإقامة الصلاة: أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها... يقال: قام الشيء؛ أي: دام وثبت. وليس من القيام علىٰ الرجل، وإنما هو من قولك: قام الحق؛ أي: ظهر وثبت.

وقيل: ﴿يُقِيمُونَ﴾: يديمون. وأقامه؛ أي: أدامه. وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار عمر بقوله: من حفظها وحافظ عليها؛ حفظ دينه، ومن ضيعها؛ فهو لما سواها أضيع][2].

قال مقيده: والأدلة من السنة علىٰ أنها في الرتبة الثانية بعد الشهادتين غير ما تقدم كثيرة جدًّا، منها:

عند الترمذي من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**»[3].

---

(١) [البقرة: ٣].

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٦٤).

(٣) جامع الترمذي، في الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٦/ ١١٦) رقم (٢٦١٦).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (وإيتاء الزكاة).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم: «**وآتوا الزكاة**»(١).

وفي الصحيح من رواية نافع: «**وأداء الزكاة**»(٢).

وفي الترمذي من حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**وتؤتي الزكاة**»(٣).

ش/ ثَلَّثَ بإيتاء الزكاة، وهذا دليل علىٰ أنها في الرتبة الثالثة بعد الصلاة والشهادتين، وهذا من عظيم مكانتها، وتوكيد وجوبها، وفي الكتاب العزيز قرن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بين الصلاة والزكاة في ما لا يحصىٰ من الآيات، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(٤).

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ:

[وإذا لم يؤمن أهل الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له؛ فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابًا ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ التي توجب لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالتهم؛ لم يزدهم الهدىٰ إلا ضلالًا، ولا البصيرة إلا عمًىٰ، مع أن الكتب كلها

---

(١) الباب الخامس، باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله.

(٢، ٣) سبق تخريجه.

(٤) [البينة: ٥].

جاءت بأصل واحد، ودين واحد، فما أُمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا ﴿ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفىٰ لديه ﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله: ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾؛ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين][1].

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (وصيام رمضان).**

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ المتقدم: «**وصوموا رمضان**»[2].

وفي حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عند الترمذي: «**وتصوم رمضان**»[3].

ش/ قال مقيده: وفي الكتاب العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[4] الآية.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (والحج).**

وعند المصنف من رواية سهل بن عثمان العسكري، وللبخاري من رواية

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان (١/ ٩٣١).

(٢) الباب الخامس: باب الإيمان ما هو؟ وبيان خصاله.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥].

نافع: «وحج البيت»[1].

ش/ قلت: واعلم أن فرض الحج مقيد بقيدين:

أحدهما: استطاعة السبيل؛ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾[2] الآية.

فالآية نص صريح في أن الحج لا يجب علىٰ غير المستطيع.

واعلم أن الحج له شروط نذكرها ومسائل أخرىٰ في «كتاب الحج» -إن شاء الله-.

والقيد الثاني: وجوبه في العمر مرة واحدة، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج؛ فحجوا**. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتىٰ قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: **لو قلت: نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم**»[3] الحديث.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فقال رجل: الحج وصيام رمضان. قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ).**

ش/ قلت: وفي قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا تنبيه إلىٰ أنه يجب علىٰ الراوي أن

---

(١) البخاري، في تفسير القرآن، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الآية (٦/ ٢٦) رقم (٤٥١٣)، ومسلم في الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس» (١/ ٤٥) رقم (١٦).

(٢) [آل عمران: ٩٧].

(٣) مسلم في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر (٢/ ٩٧٥) رقم (١٣٣٧).

يؤدي الحديث كما سمعه حال تلقيه.

وهل تجوز رواية الحديث بالمعنىٰ؟

لتجلية هذه المسألة وبيان الصواب فيها - إن شاء الله -؛ ننقل لك ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباعث الحثيث:

[**وأما روايته الحديث بالمعنىٰ**: فإن كان الراوي غير عالم ولا عارف بما يحيل المعنىٰ: فلا خلاف أنه لا تجوز له روايته الحديث بهذه الصفة.

وأما إذا كان عالمًا بذلك، بصيرًا بالألفاظ ومدلولاتها، وبالمترادف من الألفاظ ونحو ذلك: فقد جوَّز ذلك جمهور الناس سلفًا وخلفًا، وعليه العمل، كما هو المشاهد في الأحاديث الصحاح وغيرها، فإن الواقعة تكون واحدة، وتجيء بألفاظ متعددة، من وجوه مختلفة متباينة.

ولما كان هذا قد يوقع في تغيير بعض الأحاديث؛ منع من الرواية بالمعنىٰ طائفة آخرون من المحدثين والفقهاء الأصوليين، وشددوا في ذلك آكد التشديد. وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع، ولكن لم يتفق ذلك. والله أعلم.

وقد كان ابن مسعود وأبو الدرداء وأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يقولون - إذا رووا الحديث -: «أو نحو هذا»، أو «شبهه»، «أو قريبًا منه»][1].

---

(١) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث (١٤١).



الباب الحادي والأربعون
باب: أَيُّ الإسلام خير؟

الحديث الرابع والستون

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل؟».

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث (ح) وحدثنا محمد بن رمح بن المهاجر، أخبرنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفيه خمس مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ).

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: [لم أعرف اسمه، وقيل: إنه أبو ذر. وفي ابن حبان: أنه هانئ بن يزيد والد شريح][(١)].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٤٩).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (أي الإسلام خير؟).**

وعند أحمد من رواية حجاج وأبي النضر: «أي الأعمال خير؟»(١).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: «أي الإسلام خير؟»، معناه: أي خصاله وأموره وأحواله؟](٢).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (تطعم الطعام).**

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: «**تطعم**» هو في تقدير المصدر، أي: أن تطعم، ومثله: تسمع بالمعيدي. وذكر الإطعام ليدخل فيه الضيافة وغيرها](٣).

قلت: وفي الحث علىٰ الإنفاق والإطعام من آي التنزيل الكريم ما لا يحصىٰ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾(٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٥).

---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٦٩) رقم (٦٥٨١).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٦).

(٤) [النساء: ٣٩].

(٥) [البقرة: ٢٥٤].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١).

ومن السنة الصحيحة: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا»**(٢).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (وتقرأ السلام).**

وعند أحمد من حديث عبد الله بن سَلَام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«أفشوا السلام»**(٣) وللحديث قصة. [قال محققه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم: **«ألا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم»**(٤).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (علىٰ من عرفت ومن لم تعرف).**

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الفتح**: [قوله: **«ومن لم تعرف»**؛ أي: لا تخص به

---

(١) [المنافقون: ٩، ١٠].

(٢) متفق عليه؛ البخاري في الزكاة، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الآية (٣/ ١١٥) رقم (١٤٤٢)، ومسلم في الزكاة، باب في المنفق والممسك (٢/ ٧٠٠) رقم (١٠١٠).

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٤٥١) رقم (٢٣٨٣٥).

(٤) الباب الثالث والعشرون: باب **«لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا»**.

أحدًا تكبرًا أو تصنعًا؛ بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومراعاة لأخوة المسلم.

فإن قيل: اللفظ عام فيدخل الكافر والمنافق والفاسق. أجيب بأنه خُصَّ بأدلة أخرىٰ؛ أو أن النهي متأخر وكان هذا عامًّا لمصلحة التأليف، وأما من شك فيه؛ فالأصل البقاء علىٰ العموم حتىٰ يثبت الخصوص](1) اهـ.

قال مقيده: وما أكثر الأحاديث الدالة علىٰ أن إلقاء السلام هو شعار أهل الإسلام وخصوصيتهم، ومن تلك الأحاديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم علىٰ المسلم ست: قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلِّم عليه**»(2) الحديث.



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٥٦).

(٢) مسلم في السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٤/ ١٧٠٥) رقم (٢١٦٢).



الباب الثاني والأربعون

بابٌ: الإسلام يهدم ما قبله والحج والهجرة

الحديث الخامس والستون

عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكىٰ طويلًا، وحول وجهه إلىٰ الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إني كنت علىٰ أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت علىٰ تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: ما لك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يُغفَر لي. قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله. وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه؛ إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو متُّ علىٰ تلك

الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنُّوا عليَّ التراب سنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها؛ حتىٰ أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي.

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج».

وقال: حدثنا محمد بن المثنىٰ العنزي وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور؛ كلهم، عن أبي عاصم - واللفظ لابن المثنىٰ - حدثنا الضحاك - يعني: أبا عاصم - قال: أخبرنا حيوة بن شريح قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة المهري؛ فذكره.

- **وفي الباب اثنتان وعشرون مسألة:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن ابن شماسة المهري).

ش/ هو [عبد الرحمن بن شماسة - بكسر المعجمة وتخفيف الميم بعدها مهملة - المهري - بفتح الميم وسكون الهاء - المصري، ثقة، من الثالثة، مات سنة إحدىٰ ومائة أو بعدها م ٤][1].

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٣٤٢).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت).**

وعند أحمد: «لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكىٰ»(١).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هو بكسر السين، أي: حال حضور الموت](٢).

قلت: وفي الكتاب الكريم قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(٣).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فبكىٰ طويلًا، وحول وجهه إلىٰ الجدار).**

وعند أحمد: «فقال له ابنه عبد الله: لمَ تبكي! أجزعًا علىٰ الموت؟ فقال: لا والله، ولكن مما بعد»(٤).

وفي مستخرج أبي عوانة: «وولىٰ وجهه إلىٰ الحائط، فجعل يبكي طويلًا»(٥).

ش/ والباعث له علىٰ هذا الصنيع شدة خوفه من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لما سيذكره بعد.

---

(١) مسند أحمد، مسند عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ (٤/ ١٩٩) رقم (١٧٨١٥).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٣٧).

(٣) [الأنعام: ٦١].

(٤) مسند أحمد، مسند عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ (٤/ ١٩٩) رقم (١٧٨١٥).

(٥) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان رفع الإثم عن الذي يأتي الشيء المنهي عنه قبل علمه بالنهي عنه (١/ ٧٠) رقم (٢٠٠).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فجعل ابنه يقول: يا أبتاه، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟).**

وفي مستخرج أبي عوانة: فقال له ابنه: «ما يبكيك؟ أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشَّرك رسول الله ﷺ؟»[1].

وعند أحمد: «فجعل يذكِّره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام؛ فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله الا الله»[2].

ش/ وما أعظم هذه من بشارة، لا سيما لمن دخل في الإسلام لتوه، أو أراد الدخول فيه.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).**

وفي مستخرج أبي عوانة: «ثم أقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما تعد علي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»[3].

ش/ والمعنىٰ: أن أفضل ما يتحدث به ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نعم الله عليه في الإسلام؛ الشهادتان، وهذا لما تقرر عنده أنهما أعظم أركان الإسلام، بل وأصل الدين وأساسه، وبها بعث الله النبيين والمرسلين من لدن نوح أولهم إلىٰ محمد

(١) نفس المصدر السابق.

(٢، ٣) سبق تخريجه.

خاتمهم - صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين -.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢)، وفيما قصه تعالىٰ علينا من خبر نوح وهود وصالح وغيرهم من المصطفين الأخيار: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٣).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (إني كنت علىٰ أطباق ثلاث).**

وفي مستخرج أبي عوانة: «إني قد رأيتني علىٰ أطباق ثلاث»(٤).

وعند أحمد: «إني كنت علىٰ ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا قد عرفت نفسي فيه»(٥).

ش/ ومراده: أنه مرت به أحوال ثلاث، وتسمية الحال بالطبق جاء في الكتاب العزيز، قال تعالىٰ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾(٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**قوله:** ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ قال البخاري: أخبرنا سعيد بن النضر، أخبرنا هُشَيم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالًا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ.

---

(١) [الأنبياء: ٢٥].
(٢) [النحل: ٣٦].
(٣) [الأعراف: ٥٩].
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) [الانشقاق: ١٩].

هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ، كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم ﷺ، فيكون قوله: «نبيكم» مرفوعًا علىٰ الفاعلية من «قال» وهو الأظهر، والله أعلم، كما قال أنس: «**لا يأتي عام إلا والذي بعده شَرٌّ منه**» سمعته من نبيكم ﷺ.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هُشَيْم، أخبرنا أبو بشر، عن مجاهد؛ أن ابن عباس كان يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ قال: يعني نبيكم ﷺ، يقول: «**حالًا بعد حال**». وهذا لفظه][1].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته).**

وعند أبي عوانة: «لقد رأيتني وما أحد من الناس أبغض إلي من رسول الله ﷺ، ولا أحب إليَّ من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته»[2].

وعند أحمد: «كنت أول شيء كافرًا، فكنت أشد الناس علىٰ رسول الله ﷺ»[3].

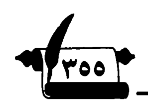
ش/ قلت: ومراده رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يعدد نعم الله عليه: أنْ نجَّاه من الكفر

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٥٩).

(٢) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان رفع الإثم عن الذي يأتي الشيء المنهي عنه قبل علمه بالنهي عنه (١/ ٧٠) رقم (٢٠٠).

(٣) سبق تخريجه.



الذي يوم كان عليه كان من أشد أعداء النبي ﷺ، وأنه قد بلغ به ذلك إلىٰ أنه يود لو وجد فرصة يخلص منها إلىٰ قتل رسول الله ﷺ. وهذه هي الحال الأولىٰ، فهنيئًا لابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن منَّ الله عليه بالإسلام، ونجاه من الكفر.

❁ المسألة الثامنة: قوله: (فلو مت علىٰ تلك الحال لكنت من أهل النار).

وعند أحمد: «فلو مت حينئذ وجبت لي النار»(١).

ش/ وهذا المصير مقطوع به لمن مات علىٰ الكفر، وأنه من أهل النار، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾(٣).

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) [آل عمران: ٩١].

(٣) [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

(٤) الباب التاسع عشر: باب في آيات النبي ﷺ والإيمان به.

وعند ابن ماجه عن سالم عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، وكان وكان، فأين هو؟ قال: «**في النار**». قال: فكأنه وجد من ذلك، فقال: يا رسول الله، فأين أبوك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار**». قال: فأسلم الأعرابي بعد، وقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبًا؛ ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار»[(١)].

وأخرج مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن رجلًا قال**: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «**في النار**»، فلما قفىٰ دعاه، فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [فيه: أن من مات علىٰ الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين.

وفيه: أن من مات في الفترة علىٰ ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان؛ فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء - صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم -.

وقوله ﷺ: «**إن أبي وأباك في النار**» هو من حسن العشرة؛ للتسلية بالاشتراك في المصيبة، ومعنىٰ قفىٰ: ولىٰ قفاه منصرفًا][(٣)].

---

(١) سنن ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين (١/ ٥٠١) رقم (١٥٧٣).

(٢) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات علىٰ الكفر فهو في النار... إلخ (١/ ١٩١) رقم (٢٠٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٧٩).

ش/ وقال عبيد: وفي هذا الحديث أبلغ الحجة في الرد علىٰ من قال: إن أبوي رسول الله مسلمان، وذلك أن الله أحياهما فاستجابا له. لكن إذا استحكم الهوىٰ عميت البصائر وغلب التقليد الأعمىٰ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

❁ المسألة التاسعة: قوله: (فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلْأبايعك. فبسط يمينه).

وعند أبي عوانة: «لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك لأبايعك. فبسط يمينه»(١).

وعند ابن خزيمة: «فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ابسط يمينك لأبايعك. فبسط يده»(٢).

ش/ قلت: هذا شروعٌ في بيان ما أنعم الله به علىٰ ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مجيئه راغبًا في الإسلام لِما جعله الله منه في قلبه.

❁ المسألة العاشرة: قوله: (فقبضت يدي).

ش/ قلت: وفي الكلام محذوف تقديره: «فلما بسط النبي ﷺ يده من أجل أن أبايعه قبضت يدي»؛ أي: كففتها ولم أصافحه. كما هو الحال في البيعة؛ فإن من أتىٰ الإمام مبايعًا جعل يده في يمين إمامه، وهو لتوثقة عهد البيعة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح ابن خزيمة (٤/ ١٣١) رقم (٢٥١٥).

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (ما لك يا عمرو؟).**

ش/ والسائل هو النبي ﷺ، وسر هذا السؤال طلب الوقوف الباعث علىٰ كف عمرو يده عن البيعة، وقد طلبها عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه ﷺ بقوله: «ابسط يمينك فلأبايعك».

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (قلت: أردت أن أشترط).**

ش/ وهذا هو سبب قبض عمرو يده عن البيعة.

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (قال: تشترط بماذا؟).**

وعند ابن خزيمة وأبي عوانة: «**تشترط ماذا؟**»(١).

ش/ والمعنىٰ: علىٰ الروايتين: «أيُّ شرط تريد حتىٰ قبضت يدك عن البيعة، فلم تبايع؟».

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (قلت: أن يغفر لي).**

ش/ **قلت**: وهذا جوابٌ من عمرو علىٰ سؤال النبي ﷺ قبل، والمعنىٰ: أنه أراد أن يشترط في البيعة مغفرة الله له ما سلف من ذنوبه في الجاهلية، ولا أعظم من الكفر الذي نجاه الله منه؛ فنعم شرطًا اشترطه؛ وأقره عليه النبي ﷺ.

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٤/ ١٣١) رقم (٢٥١٥)، مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان رفع الإثم عن الذي يأتي الشيء المنهي عنه قبل علمه بالنهي عنه (١/ ٧٠) رقم (٢٠٠).

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله).**

ش/ والمعنىٰ: أن الإسلام يجُبُّ ما قبله من أعمال الجاهلية؛ الشرك بالله فما دونه، وفيه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطي الربا علىٰ يد من قيضه الله لموعظته؛ رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن فعله وانزجر عن تعاطيه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾، أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة؛ جزاءً لقبوله للنصيحة. دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلىٰ تعاطي الربا ولم تنفعه الموعظة، بل أصر علىٰ ذلك ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾](٢).

قال مقيده: والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما اتعظ به الإنسان وانزجر عما كان عليه من ذنب؛ فهو داخل في عموم الآية، ومن كان كافرًا ثم أسلم وأقلع عن الكفر؛ فهذا لا شك في دخول قبوله فيها؛ لأن أعظم

---

(١) [البقرة: ٢٧٥].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ١١٦).

المواعظ ما يقلع من قلب المرء الكفر وينتقل به إلىٰ الإسلام.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقوله ﷺ: «**الإسلام يهدم ما كان قبله**»؛ أي: يسقطه ويمحو أثره][(١)].

قلت: وفيه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(٢)] وأجمع أهل العلم والإيمان علىٰ ذلك.

۞ المسألة السادسة عشرة: قوله: (وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها).

ش/ قلت: ولعله ﷺ يشير بهذا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿۞وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٣)].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**ثم قال:** ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: قاصدًا ربه ورضاه، ومحبة لرسوله، ونصرًا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ بقتل أو غيره ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: فقد حصل له أجر المهاجر

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٣٨).

(٢) [المائدة: ٦٩].

(٣) [النساء: ١٠٠].

الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالىٰ؛ وذلك لأنه نوىٰ وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملًا، ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصًا التائبين المنيبين إلىٰ ربهم.

﴿رَّحِيمًا﴾ بجميع الخلق، رحمة أوجدتهم وعافتهم ورزقتهم من المال والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح وما به يدركون غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، فنسأل الله أن لا يحرمنا خيره بشرِّ ما عندنا][1].

قلت: وفي الحديث الصحيح ما أخرجه البخاري مختصرًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتىٰ راهبًا فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا. فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائتِ قرية كذا وكذا. فأدركه الموت، فَنَاءَ بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحىٰ الله إلىٰ هذه أن تقربي، وأوحىٰ الله إلىٰ هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما. فوجد إلىٰ هذه أقرب**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ١٩٦).

بشبر؛ فغفر له»[(١)].

فتحصل بضميمة هذا الحديث إلىٰ الآية قبله: أن الهجرة من دار السوء، وأعظمه الكفر، إلىٰ دار أهل الإيمان؛ تهدم ما قبلها مما كان من الذنوب والتقصير.

❁ **المسألة السابعة عشرة: قوله: (وأن الحج يهدم ما كان قبله).**

ش/ وهذا بيانه في أحاديثَ كثيرة، ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق؛ غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٣)] أخرجه الشيخان، والترمذي واللفظ له.

❁ **المسألة الثامنة عشرة: قوله: (وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه، إجلالًا له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه).**

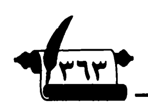
وعند أبي عوانة: «فبايعته وما كان أحد أجل في عيني منه، إني لم أكن أستطيع أن

---

(١) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٤/ ١٧٤) رقم (٣٤٧٠).

(٢) البخاري، في الحج، باب وجوب العمرة وفضلها (٣/ ٢) رقم (١٧٧٣)، ومسلم في الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (٢/ ٩٨٣) رقم (١٧٧٣).

(٣) البخاري، في الحج، باب في فضل الحج المبرور، ومسلم في الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، والترمذي في الحج عن النبي ﷺ، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة (٣/ ١٧٦) رقم (٨١١).



أملأ عيني منه إجلالًا، فلو سُئلتُ أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه»(١).

وعند أحمد: «فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياءً منه، فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ ولا راجعته فيما أريد، حتىٰ لحق بالله عَزَّوَجَلَّ؛ حياءً منه»(٢).

ش/ قلت: الله أكبر، لقد نقله الله بالإسلام من شدة عداوته إلىٰ رسول الله ﷺ والتربص به كي يقتله إلىٰ عظيم محبته إياه والحياء منه، وما أجلها من نعمة!

❁ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (ولو مت علىٰ تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة).

وعند أحمد: «فلو مت يومئذ، قال الناس: هنيئًا لعمرو أسلم وكان علىٰ خير، فمات فرجي له الجنة»(٣).

❁ المسألة الموفية عشرين: قوله: (ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها).

وعند أحمد: «ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدري علي أم لي»(٤).

ش/ يشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ إمارته علىٰ البصرة وما شارك فيه من الوقائع التي كانت بين علي ومعاوية، ومن كان من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

❁ المسألة الحادية والعشرون: قوله: (إذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنُّوا علي التراب سنًّا).

وعند أحمد: «فإذا مت فلا تبكينَّ علي، ولا تتبعني مادحًا ولا نارًا، وشدوا علي

(١، ٢، ٣، ٤) سبق تخريجه.

إزاري؛ فإني مخاصم، وسنوا علي التراب سنًّا؛ فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرًا»(١).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وفي قوله: «فلا تصحبني نائحة ولا نار» امتثال لنهي النبي ﷺ عن ذلك، وقد كره العلماء ذلك.

فأما النياحة فحرام، وأما اتباع الميت بالنار فمكروه للحديث. ثم قيل: سبب الكراهة كونه من شعار الجاهلية. وقال ابن حبيب المالكي: كره تفاؤلًا بالنار](٢) اهـ.

قوله: «أما النياحة فحرام»:

قلت: وفيها قوله ﷺ: **«والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»**، وقد تقدم.

وقوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«فسنُّوا علي التراب سنًّا»**.

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [بالسين المهملة، أي: صبوا، ووقع في «مسلم» بالشين المعجمة، وقد ضبط بالوجهين، والمعنىٰ من وجه آخر: فرقوا علي التراب، وبذلك يزول التعارض](٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٣٩).

(٣) مختصر صحيح مسلم، تحقيق العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٢).

❁ **المسألة الثانية والعشرون: قوله: (ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها؛ حتىٰ أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي).**

وعند أحمد: «فإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها؛ أستأنس بكم»(١).

وعند أبي عوانة: «فإذا فرغتم من دفني فأقيموا عند قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتىٰ أعلم ما أراجع به رسل ربي؛ فإني أستأنس بكم»(٢).

ش/ قلت: هذا القدر الأخير من وصية ذلك الصحابي لابنه الصحابي عبد الله؛ اجتهاد منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد دل الدليل الصحيح من السنة علىٰ أن الميت لا يسمع إلا قرع نعال دافنيه حين يُنْصرف عنه، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتولىٰ وذهب أصحابه حتىٰ إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان**»(٣) الحديث.

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ... وذكر الحديث، وفيه: «**وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره إنه**

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، في الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (٢/ ٩٠) رقم (١٣٣٨).

(٤) سنن أبي داود في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤/ ٢٣٩) رقم (٤٧٥٣).

يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس؛ عند رجليه.

فيؤتىٰ من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ عن يمينه؛ فيقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ من قبل رجليه؛ فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس: ما قبلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس، وقد مُثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتىٰ أصلي. فيقولون: إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ما تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ قال: «فيقول: محمد، أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله. فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعلىٰ ذلك مت، وعلىٰ ذلك تبعث - إن شاء الله -.

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أَعد الله لك فيها. فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أَعد الله لك فيها لو عصيته. فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسم الطيب، وهي طير يعلق في شجر الجنة، قال: فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[1] إلىٰ آخر الآية، قال: «وإن الكافر إذا أُتي من قبل رأسه لم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اجلس. فيجلس خائفًا مرعوبًا، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقال: الذي كان فيكم. فلا يهتدي لاسمه، حتىٰ يقال له: محمد. فيقول: ما أدري، سمعت الناس قالوا قولًا؛ فقلت كما قال الناس. فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعلىٰ ذلك مت، وعلىٰ ذلك تبعث - إن شاء الله -. ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار، وما أعد الله لك فيها. فيزداد حسرةً وثبورًا، ثم يُفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيها لو أطعته. فيزداد حسرةً وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾»[2].

أخرجه عبد الرزاق[3] وابن أبي شيبة[4] في مصنفيهما، وابن حبان في صحيحه[5]،

---

(١) [إبراهيم: ٢٧]. (٢) [طه: ١٢٤].

(٣) كتاب الجنائز، باب الصبر والبكاء والنياحة (٣/ ٥٦٧) رقم (٦٧٠٣).

(٤) كتاب الجنائز في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر (٣/ ٣٨٣، ٣٨٤) رقم (١٢١٨٨).

(٥) كتاب الجنائز، فصل في أحوال الميت في قبره، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الميت إذا وضع في قبره لا يحرك منه شيء إلىٰ أن يبلىٰ (٧/ ٣٨٠ - ٣٨٢) رقم (٣١١٣).

والحاكم في مستدركه(١) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وجميعهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من فوائد الحديث:

في هذا الحديث فوائد كثيرة جمة، ومنها:

الأولىٰ: عيادة المريض، لا سيما في شدة مرضه.

الثانية: شدة خشية عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ربه؛ ولذلك بكىٰ.

الثالثة: استحباب بشارة المريض بما يطمئنه، لا سيما إذا وجد منه التخوف.

الرابعة: جواز تحدث المرء بما أنعم الله عليه في دينه.

الخامسة: ثبوت عذاب القبر وسؤال الملكين، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، والأحاديث فيه متواترة، وقد ذكرنا لك بعضها في الشرح.



---

(١) كتاب الجنائز (١/ ٥٣٥) رقم (١٤٠٣).



الباب الثالث والأربعون

بابٌ: من أحسن في الإسلام فلا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية

الحديث السادس والستون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أُخذ بعمله في الجاهلية والإسلام».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية».

وقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه ثلاث مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (قال أناس لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟).**

وفي الصحيح من رواية الأعمش: «قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا

في الجاهلية؟»[١].

وعند المصنف من وجه آخر: «قلنا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟»[٢].

وعند ابن ماجه: «قلنا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما كنا نعمل في الجاهلية؟»[٣].

ش/ قلت: ويجمع بين هذه الروايات، أنه يحتمل أن السائل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخرين.

❁ المسألة الثانية: قوله: (أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها).

وعند المصنف من رواية محمد بن عبد الله بن نمير وأبي بكر بن أبي شيبة: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية**»[٤]، وكذا في الصحيح.

وعند أحمد: «**إن أحسنت لم تؤاخذ**»[٥].

وعند أبي يعلىٰ: «**إن أحسنت في الإسلام لم تؤاخذ به**»[٦].

---

(١) البخاري، في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة (٩/ ١٤) رقم (٦٩٢١).

(٢) مسلم في الإيمان، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية (١/ ١١١) رقم (١٢٠).

(٣) سنن ابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب (٢/ ١٤١٧) رقم (٤٢٤٢).

(٤) البخاري، في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة (٩/ ١٤) رقم (٦٩٢١)، ومسلم في الإيمان، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية (١/ ١١١) رقم (١٢٠).

(٥) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٢٩) رقم (٤٠٨٦).

(٦) مسند أبي يعلىٰ الموصلي، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٩/ ٥٠) رقم (٥١١٣).

ش/ قلت: فالمعنىٰ علىٰ هذه الروايات أن المرء لا يؤاخذ بما اقترفه في جاهليته، سواء ما كان قبل مبعث النبي ﷺ أو بعده، وفي ذلك ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة. فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾(١)، ونزلت: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾(٢)](٣).

فالحديث وما تضمنته الآيات نص صريح يتضمن بشارة المسرف علىٰ نفسه بسعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ به، وأن الله يقبل منه توبته من أي ذنب اقترف، سواء في ذلك الشرك وما دونه من الآثام.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام).

وعند المصنف من رواية محمد بن عبد الله بن نمير وأبي بكر بن أبي شيبة: «**ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**»(٤)، وكذا في الصحيح.

---

(١) [الفرقان: ٦٨]. (٢) [الزمر: ٥٣].

(٣) البخاري، في تفسير القرآن باب قوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية (٦/ ١٢٥) رقم (٤٨١٠)، ومسلم في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ١٢٤) رقم (١٢٢).

(٤) البخاري، في استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة (٩/ ١٤) رقم (٦٩٢١)، مسلم في الإيمان، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية (١/ ١١١) رقم (١٢٠).

وعند أحمد وأبي يعلىٰ من رواية سفيان: «**وإن أسأت في الإسلام أخذت بالأول والآخر**»[١].

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه، بل يكون منقادًا في الظاهر للشهادتين، غير معتقد للإسلام بقلبه، فهذا منافق باقٍ علىٰ كفره بإجماع المسلمين، فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام، وبما عمل بعد إظهارها؛ لأنه مستمر علىٰ كفره، وهذا معروف في استعمال الشرع، يقولون: حسن إسلام فلان. إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص، وساء إسلامه. أو: لم يحسن إسلامه. إذا لم يكن كذلك، والله أعلم][٢].

قلت: وهذا توجيه حسن، وذلك أن الفاسق من أهل الإيمان عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، وقد يقولون: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. وهو عندهم في الآخرة تحت مشيئة الله.



---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٢٩) رقم (٤٠٨٦)، ومسند أبي يعلىٰ الموصلي، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٩/ ٥٠) رقم (٥١١٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٣٦).



الباب الرابع والأربعون

باب: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»

الحديث السابع والستون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: (بيان قول النبي ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**).

أخرجه من طرق عن شعبة، عن زبيد، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

وفيه:

قوله: (قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

وفي الصحيح: «عن زبيد، قال: سألت أبا وائل عن المرجئة؛ قال: حدثني

عبد الله»؛ فذكره[١].

ش/ قلت: واعلم أن المرجئة قسمان:

أحدهما: مرجئة الجهمية، وهؤلاء يحدون الإيمان بأنه التصديق، وهذه هي المرجئة الغالية.

القسم الثاني: مرجئة الفقهاء، ورأسها حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة.

فكلتا الطائفتان مبتدعة؛ إذ هما متفقتان علىٰ أن العمل ليس من مسمىٰ الإيمان، غير أن الأولىٰ من مقولاتهم الفاسدة: لا يضر مع الإيمان ذنب.

فهذا الحديث رد علىٰ كلتا الطائفتين؛ لأن محصله التعدي علىٰ المسلم في نفسه أو ماله أو عرضه من شعب الكفر.

وقد قدمنا لك فيما مضىٰ قول [الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن][٢]؛ فلا تذهبن عنه.

❋❋❋

---

(١) البخاري، في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (١/ ١٩) رقم (٤٨).

(٢) في الباب الثامن والعشرون (بابٌ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض».

الباب الخامس والأربعون

بابٌ: إذا أحسن أحدُكم إسلامَه فكلُّ حسنةٍ يعملها تكتب بعشر أمثالها

الحديث الثامن والستون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة؛ فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها، فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة؛ فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها، فأنا أكتبها له بمثلها»، وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة؛ إنما تركها من جرَّائي»، وقال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها، حتىٰ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ».

الحديث التاسع والستون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به».

التخريج:

أولًا: الحديث الأول أخرجه المصنف في باب: «إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب».

وقال: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: أخرج الحديث الثاني في باب: «تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر».

وقال: حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد ومحمد بن عبيد الغبري - واللفظ لسعيد -؛ قالوا: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه سبع مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (قال الله عَزَّوَجَلَّ).

وعند الشيخين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ: «فيما يروي عن ربه عَزَّوَجَلَّ»[1].

ش/ قلت: كلا الحديثين، قدسي وكلٌّ منهما تضمن صيغة من صيغ رواياته.

---

(١) البخاري، في الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة (٨/ ١٣٠) رقم (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/ ١١٨) رقم (١٣١).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها).**

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها؛ كتبها الله عنده حسنة كاملة»**(١).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها).**

وفي الرواية الثانية: «إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلىٰ سبع مائة ضعف»(٢).

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«فإن هو همَّ بها فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلىٰ سبع مائة ضعف، إلىٰ أضعاف كثيرة»**(٣).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها).**

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«ومن هم بسيئة فلم يعملها؛ كتبها الله له عنده حسنة كاملة»**(٤).

وفي الصحيح من رواية الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة؛ فلا تكتبوها عليه حتىٰ يعملها»**(٥).

---

(١) سبق تخريجه. (٢) أحاديث الباب.

(٣) سبق تخريجه. (٤) سبق تخريجه.

(٥) البخاري، في التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ (٩/ ١٤٤) رقم (٧٥٠١).

وفي الحديث الثاني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا به»**.

وعند النسائي: **«إن الله تعالىٰ تجاوز عن أمتي كل شيء حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل»**[١].

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (فإذا عملها؛ فأنا أكتبها له بمثلها).**

وعند أحمد: **«وإذا تحدث بأن يعمل سيئة؛ فأنا أغفرها ما لم يفعلها، فإذا فعلها فأنا أكتبها مثلها»**[٢].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الشيخين: **«فإن هو همَّ بها فعملها؛ كتبها الله له سيئة واحدة»**[٣].

وفي الحديث الثاني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ارقبوه؛ فإن عملها؛ فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها؛ فاكتبوها له حسنة»**.

وفي الصحيح من رواية الأعرج: **«فإن عملها؛ فاكتبوها بمثلها»**[٤].

---

(١) السنن الصغرىٰ للنسائي، في الطلاق، باب من طلق في نفسه (٦/ ١٥٦) رقم (٣٤٣٣).

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣١٥) رقم (٨١٥١).

(٣) البخاري، في الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو سيئة (٨/ ١٣٠) رقم (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب (١/ ١١٨) رقم (١٣١).

(٤) تقدم تخريجه.

وفيه: «**وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتىٰ يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ**»(١).

❁ المسألة السادسة: قوله: (قالت الملائكة: ربِّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به -).

ش/ قلت: سبحان ربي! أعلَم ملائكته من حال ذلك العبد وإرادته السيئة، فقالت الملائكة: «رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة». ومصداق هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

وسبحان ربي! كان أبصر بذلك العبد؛ لأنه كتب مقادير كل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فهو يسمع من عباده الأقوال، ويرىٰ منهم الأعمال.

❁ المسألة السابعة: وقوله: «إنما تركها من جرائي».

وفي الصحيح من رواية الأعرج: «**وإن تركها من أجلي؛ فاكتبوها له حسنة**»(٣).

[**قال القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين علىٰ ما ذهب إليه القاضي أبو بكر؛ للأحاديث الدالة علىٰ المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي همَّ

(١) في الباب.

(٢) [الانفطار: ١٠ - ١٢].

(٣) تقدم تخريجه.

بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالىٰ والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية؛ فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشية لله تعالىٰ؛ كتبت حسنة كما في الحديث: «إنما تركها من جراي» فصار تركه لها، لخوف الله تعالىٰ، ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك، وعصيانه هواه؛ حسنة. فأما الهمَّ الذي لا يُكتب؛ فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها، ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم][1] حكاه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

من فقه الأحاديث:

في أحاديث الباب فوائد عظيمة منها:

أولًا: سعة فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ عباده، وسعة رحمته بهم؛ إذ ضاعف لهم الحسنات دون السيئات، واستثنىٰ بعض أهل العلم البلد الحرام؛ قالوا: تضاعف فيه السيئات، وأخذوا هذا من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [... والأجود: أنه ضمن الفعل هاهنا معنىٰ «يَهُمّ»؛ ولهذا عداه بالباء، فقال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾؛ أي: يَهُمّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٥١).

(٢) [الحج: ٢٥].

وقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: عامدًا قاصدًا أنه ظلم ليس بمتأول، كما قال ابن جريج، عن ابن عباس: هو التعمد.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك.

وقال مجاهد: أن يعبد فيه غير الله. وكذا قال قتادة، وغير واحد.

وقال العَوْفي، عن ابن عباس: ﴿بِظُلْمٍ﴾ هو أن تَستحلَّ من الحرم ما حَرَّم الله عليك من لسان أو قتل؛ فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فَعَلَ ذلك فقد وجب له العذاب الأليم.

وقال مجاهد: ﴿بِظُلْمٍ﴾: يعمل فيه عملًا سيئًا.

وهذا من خصوصية الحرم؛ أنه يعاقَب البادي فيه الشر، إذا كان عازمًا عليه، وإن لم يوقعه، كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره:

حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن السُّدِّي: أنه سمع مُرَّة يحدث عن عبد الله - يعني: ابن مسعود - في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ قال: لو أن رَجُلًا أراد فيه بإلحاد بظلم، وهو بعَدَن أبينَ، أذاقه الله من العذاب الأليم.

قال شعبة: هو رفعه لنا، وأنا لا أرفعه لكم. قال يزيد: هو قد رفعه، ورواه أحمد، عن يزيد بن هارون به.

قلت: هذا الإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه؛ ولهذا

صَمم شعبة علىٰ وَقْفه من كلام ابن مسعود. وكذلك رواه أسباط، وسفيان الثوري، عن السدي، عن مُرة، عن ابن مسعود موقوفًا، والله أعلم.

وقال الثوري، عن السدي، عن مُرَّة، عن عبد الله، قال: ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه، ولو أن رجلًا بعَدَن أبينَ هَمَّ أن يقتل رجلًا بهذا البيت؛ لأذاقه الله من العذاب الأليم. وكذا قال الضحاك بن مُزاحم][1].

ثانيًا: أن المرء يبلغ بنيته مبلغ العامل مثوبةً وعقوبةً؛ فإن كانت النية حسنة نال المثوبة وإن كانت النية سيئة نال العقوبة، وفيه ما رواه أحمد والترمذي وصححه عن أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. أو كلمة نحوها.**

وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا؛ فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا؛ فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان. فهو بنيته؛ فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا؛ فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا؛ فهذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٤١١).

بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا؛ فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته؛ فوزرهما سواء»[(١)].



(١) مسند أحمد، مسند أبي كبشة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٢٣١) رقم (١٨٠٦٠)، وجامع الترمذي في الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء: «**مثل الدنيا مثل أربعة نفر**» (٤/ ٥٦٢) رقم (٢٣٢٥).



الباب السادس والأربعون

بابٌ: المسلم منْ سلم المسلمون مِنه

الحديث السبعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي المسلمين خير؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده».

تخريجه:

أخرجه المصنف في بَاب: «بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل».

وقال: حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح المصري، أخبرنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير؛ أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفيه أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ).

ش/ لم أقف علىٰ تسمية ذلك الرجل.

❁ المسألة الثانية: قوله: (أي المسلمين خير).

وعند الشيخين من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسول الله، أي الإسلام

أفضل؟»[(١)].

وعند أحمد من رواية أبي كثير الزبيدي: «يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟»[(٢)].

ش/ فيتحصل من مجموع هذه الروايات أن السؤال كان عن أفضل خصال الإسلام التي يجب أن يتحلىٰ بها أهله.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (من سلم المسلمون من لسانه ويده).

وعند أحمد من رواية رشيد الهجري عن أبيه أن رجلًا قال لعبد الله بن عمرو: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ، ودعني وما وجدت في وسقك يوم اليرموك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[(٣)]. ومثله عند المصنف من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)].

[**قال محققه**: إسناده غاية في الضعف، وسلف متن الحديث بأسانيد صحيحة].

وزاد أحمد والبخاري من رواية الشعبي: **«والمهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه»**[(٥)].

(١) البخاري، في الإيمان، باب أي الإسلام أفضل (١/ ١١) رقم (١١)، مسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١/ ٦٦) رقم (٤٢).

(٢) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٩١) رقم (٦٧٩٢).

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٩٤) رقم (٦٨٣٥).

(٤) مسلم في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل (١/ ٦٥) رقم (٤١).

(٥) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ١٩٢) رقم (٦٨٠٦)، والبخاري في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (١/ ١١) رقم (١٠).

ش/ تنبيه:

واعلم أيها المسلم أنه جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة، ومنها:

أولًا: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدرون من المسلم؟ قالوا**: الله ورسوله أعلم. قال: **من سلم المسلمون من لسانه ويده. قال: تدرون من المؤمن**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه**»(١) [قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم].

ثانيًا: وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»(٢) أخرجه الترمذي وصححه، ووافقه الألباني.

ثالثًا: وأخرج أحمد وابن حبان من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»(٣) [قال محققه: إسناده صحيح].

---

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ٢٠٦) رقم (٦٩٢٥).

(٢) جامع الترمذي في الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥/ ١٧) رقم (٢٦٢٧)، وصحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٦٢٧).

(٣) مسند أحمد، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦/ ٢١) رقم (٢٤٠٠٤)، وصحيح ابن =

قال مقيده: فاتفقت هذه الأحاديث علىٰ أنه من محاسن الإسلام، وجميل خصال أهله، كف الأذىٰ، وعدم الظلم في النفس والمال، وهجر السوء.



=

حبان في السير، باب الهجرة، ذكر البيان بأن كل هجرة ليس فيها التحول من دار الكفر إلىٰ دار المسلمين (١١/ ٢٠٤).



الباب السابع والأربعون

بابٌ: من عمل برًّا في الجاهلية ثم أسلم

الحديث الحادي والسبعون

عن عروة بن الزبير، أن حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: أي رسول الله، أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم، أفيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده».

وقال: حدثنا حسن الحلواني وعبد بن حميد - قال الحلواني: حدثنا. وقال عبد: حدثني - يعقوب - وهو ابن إبراهيم بن سعد - حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن حكيم بن حزام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه أربع مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن عروة بن الزبير).

ش/ هو [عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني،

ثقة فقيه مشهور، من الثالثة: مات قبل المائة، سنة أربع وتسعين علىٰ الصحيح، ومولده في أوائل خلافة عثمان ع][١].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).**

ش/ هو [حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ الأسدي أبو خالد المكي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين، أسلم يوم الفتح وصحب وله أربع وسبعون سنة، ثم عاش إلىٰ سنة أربع وخمسين أو بعدها، وكان عالمًا بالنسب ع][٢].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم، أفيها أجر؟).**

وفي الصحيح: «يا رسول الله، أرأيت أشياء...»[٣] إلخ.

وفيه: «يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أصنعها في الجاهلية كنت أتحنث بها؟ يعني: أتبرر بها»[٤].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير).**

وعند البخاري: «**أسلمت علىٰ ما سلف من خير**»[٥].

(١) تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٨٩).

(٢) تقريب التهذيب (١/ ١٧٦)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١١٢).

(٣) البخاري، في الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم (٢/ ١١٤) رقم (١٤٣٦).

(٤) البخاري، في العتق، باب عتق المشرك (٣/ ١٤٧) رقم (٢٥٣٨).

(٥) البخاري، في الزكاة، باب من تصدق في الشرك ثم أسلم (٢/ ١١٤) رقم (١٤٣٦).

وعنده من رواية هشام عن أبيه: «**أسلمت علىٰ ما سلف لك من خير**»(١).

وعند ابن حبان: «**أسلمت علىٰ ما سلف لك من أجر**»(٢).



---

(١) البخاري، في العتق، باب عتق المشرك (٣/ ١٠٨) رقم (٢٢٢٠).

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان في تتمة كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر إطلاق اسم الخير علىٰ الأفعال الصالحة إذا كانت من غير المسلمين (٢/ ٣٨) رقم (٣٢٩).

الباب الثامن والأربعون

بابٌ: التحذير من الابتلاء

الحديث الثاني والسبعون

عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام»، قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الست مائة إلىٰ السبع مائة؟ قال: «إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا. قال: فابتلينا حتىٰ جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرًّا».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «الاستسرار بالإيمان للخائف».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير وأبو كريب - واللفظ لأبي كريب -؛ قالوا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب أربع مسائل:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ).

ش/ هو [حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغرًا، ويقال:

حسل - بكسر ثم سكون - العبسي - بالموحدة - حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، صح في مسلم عنه أن رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلىٰ أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي أيضًا، استشهد بأحد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين ع][1].

❁ **المسألة الثانية: قوله: «أَحصوا لي كم يلفظ الإسلام»**.

وعند ابن ماجه: «**أحصوا لي كل من تلفظ بالإسلام**»[2] صححه الألباني.

وعند ابن حبان: «**أحصوا كل من كان تلفظ بالإسلام**»[3] [قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين].

ش/ قلت: والمعنىٰ علىٰ جميع الروايات: هو طلب النبي ﷺ من أصحابه إحصاء عدد من نطق بالشهادتين ودخل في الإسلام.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الست مائة إلىٰ السبع مائة؟)**.

وفي الصحيح من رواية محمد بن يوسف: «فكتبنا له ألفًا وخمس مائة رجل

(١) تقريب التهذيب (١/ ١٥٤)، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٤)

(٢) سنن ابن ماجه في الفتن، باب الصبر علىٰ البلاء (٢/ ١٣٣٦) رقم (٤٠١٩)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه رقم (٤٠١٩).

(٣) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، في التاريخ بدء الخلق، ذكر إحصاء المصطفىٰ ﷺ من كان تلفظ بالإسلام في أول الإسلام (١٤/ ١٧١) رقم (٦٢٧٣).

فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمس مائة»[(١)].

وفيه من رواية عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش: «فوجدناهم خمس مائة، قال أبو معاوية: ما بين ست مائة إلىٰ سبع مائة»[(٢)].

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قد يقال: وجه الجمع بين هذه الألفاظ أن يكون قولهم: ألف وخمسمائة. المراد به النساء والصبيان والرجال، ويكون قولهم: ستمائة إلىٰ سبعمائة الرجال خاصة، ويكون: خمسمائة. المراد به المقاتلون. ولكن هذا الجواب باطل برواية البخاري في أواخر كتاب السير في باب كتابة الإمام الناس، قال فيها: «فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل». والجواب الصحيح - إن شاء الله تعالىٰ - أن يقال: لعلهم أرادوا بقولهم: ما بين الستمائة إلىٰ السبعمائة. رجال المدينة خاصة، وبقولهم: فكتبنا له ألفًا وخمسمائة. هم مع المسلمين حولهم][(٣)] اهـ.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا. قال: فابتلينا حتىٰ جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرًّا).

وفي الصحيح من رواية محمد بن يوسف: «فلقد رأيتنا ابتلينا حتىٰ إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف»[(٤)].

---

(١) البخاري، في الجهاد والسير، باب كتاب الإمام الناس (٤/ ٧٢) رقم (٣٠٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٧٩).

(٤) سبق تخريجه.

وعند البزار: «**إنكم لا تدرون**. فابتلينا حتىٰ يصلي الرجل ما يصلي إلا مستترا»(١).

ش/ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقول حذيفة: فابتُلِيْنَا حتَّىٰ جعل الرجل منَّا لا يصلِّي إلا سرًّا؛ يعني بذلك - والله أعلم - ما جرىٰ لهم في أوَّل الإسلام بمكة حين كان المشركون يُؤْذُونهم، ويمنعونهم من إظهار صلاتهم، حتىٰ كانوا يُصلُّون سرًّا](٢).

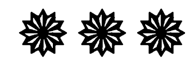
وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ، فكان بعضهم يخفي نفسه ويصلي سرًّا؛ مخافة من الظهور والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب، والله أعلم](٣).

قلت: وهذا الأخير عندي أرجح، والله أعلم.

من فقه الحديث:

أولًا: فيه علم من أعلام النبوة، وذلك أنه وقع عليهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ما أخبرهم به النبي ﷺ من الابتلاء، وبه ظهر دقة اختيار المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجمة.

ثانيًا: للإمام كتابة ما يراه من عدد الجند وغيرهم من أهل البلد.



---

(١) مسند البزار، مسند حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٧/ ٢٨٢) رقم (٢٨٦٩)

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٩).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٨٠).



الباب التاسع والأربعون

بابٌ: بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين

الحديث الثالث والسبعون

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين».

وقال: حدثني محمد بن رافع والفضل بن سهل الأعرج؛ قالا: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا عاصم وهو ابن محمد العُمري عن أبيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذكره.

- **وفيه مسائل ثلاث:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (إن الإسلام بدأ غريبًا).**

وعند أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ الدين بدأ غريبًا**»(١) [قال محققه:

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٨٩) رقم (٩٠٤٢).

صحيح، وهذا إسناد حسن].

وعنده من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الإيمان بدأ غريبًا**»(١)

[قال محققه: إسناده جيد، وجهالة ابن سعد لا تضر؛ فإن أبناءه الذين رووا عنه ثقات معروفون بنقل العلم، علىٰ أنه قد جاء مبينًا عند ابن منده، وأنه عامر بن سعد، وهو ثقة من رجال الشيخين].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (وسيعود غريبًا كما بدأ).**

وكذا عند أحمد من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢).

وعند المصنف من وجه آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فطوبىٰ للغرباء**»(٣).

وعند أحمد من حديث سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فطوبىٰ يومئذ للغرباء إذا فسد الناس**»(٤).

وعنده من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فطوبىٰ للغرباء. قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل**»(٥).

[**قال المحقق**: إسناد أحمد صحيح علىٰ شرط مسلم رجاله ثقات رجال

---

(١) مسند أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٨٤) رقم (١٦٠٤).

(٢) سبق تخريجها.

(٣) مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين (١/ ١٣٠) رقم (١٤٥).

(٤) مسند أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٨٤) رقم (١٦٠٤).

(٥) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٣٩٨) رقم (٣٧٨٤).

الشيخين، غير أبي الأحوص فمن رجال مسلم، وإسناد ولده صحيح].

فائدة في الغربة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾(1).

هذه الآية فيها صفة الغرباء، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**». قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذي يصلحون إذا فسد الناس**».

وفي رواية: قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**النزاع من القبائل**».

وفي رواية: قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**ناس صالحون قليل في ناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**».

وفي رواية: فقيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يحيون سنتي، ويعلمونها عباد الله**».

وفي رواية: قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الفرارون بدينهم يجتمعون إلىٰ عيسىٰ ابن مريم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **يوم القيامة**».

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدًّا سُموا

---

(1) [هود: ١١٦].

غرباء، فإن أكثر الناس علىٰ غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع؛ فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالفين، هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[1]، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم.

ومن صفاتهم:

أولًا: التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس.

ثانيًا: ترك ما أحدثه الناس، وإن كان هو المعروف عندهم.

ثالثًا: تجريد التوحيد، وإن أنكر ذلك أكثر الناس.

رابعًا: ترك الانتساب إلىٰ أحد غير الله ورسوله، فلا ينتسبون لشيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلىٰ الله بالعبودية له وحده، وإلىٰ رسوله بالاتباع لما جاء به.

خامسًا: أنهم قابضون علىٰ جمر، وأكثر الناس لائم لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق؛ يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم.

---

(١) [الأنعام: ١١٦].

والغربة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق.

وهي المرادة بالنصوص السابقة، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان، ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم. وهذه الغربة لا وحشة علىٰ صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه.

ومن صفات الغرباء: ما جاء في حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ: «**رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم علىٰ الله لأبره**».

النوع الثاني: غربة مذمومة.

وهي غربة أهل الباطل: فهي غربة بين حزب الله المفلحين وإن كثر أهلها، فهم غرباء علىٰ كثرة أصحابهم وأشياعهم، أهل وحشة علىٰ كثرة مؤنسهم، يُعرفون في أهل الأرض ويَخْفون علىٰ أهل السماء.

النوع الثالث: غربة مشتركة.

وهي غربة لا تحمد ولا تذم، وهي الغربة عن الوطن، فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء؛ فإنها ليست لهم بدار مقام ولا هي الدار التي خلقوا لها، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

ومن المعلوم أن الغربة هي: الانفراد، والانفراد إما بالجسم وهي غربة الأبدان،

وإما غربة بالأفعال والأحوال، وهي ثلاثة أنواع:

«صاحب صلاح ودين بين قوم فاسدين».

«وصاحب علم ومعرفة بين قوم جهال».

«وصاحب صدق وإخلاص بين أهل كذب ونفاق»][(١)].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها).

وعند أحمد من حديث سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها**»[(٢)].

ش/ قلت: ومعناه الإخبار بأن الإسلام سيعود مستغربًا في الناس؛ لقلة من يعمل به علىٰ الوجه الصحيح، كما أن في الحديث فضل مكة والمدينة؛ وذلك بإخباره ﷺ عن انحسار أهل الاسلام إليهما وانضمامهم فيهما، ولعل هذا يشبه قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله، وهم ظاهرون علىٰ الناس**»[(٣)].

وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلد، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، **فقال عبد الله:** لا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الخلق،

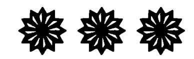
---

(١) مدارج السالكين، ط: الثانية، دار الكتاب العربي (٣/ ١٩٤، ١٩٥).

(٢) مسند أحمد، مسند سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (١/ ١٨٤) رقم (١٦٠٤).

(٣) مسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق**» (٣/ ١٥٢٤) رقم (١٦٤١).

هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم. فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر، فقال له مسلمة: يا عقبة، اسمع ما يقول عبد الله! فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**. فقال عبد الله: أجل، **ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة**»[1].



---

(١) سبق تخريجه.



الباب الخمسون

بابٌ: ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي

الحديث الرابع والسبعون

عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي أولات العدد؛ قبل أن يرجع إلىٰ أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». قال: فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: «ما أنا بقارئ». قال: فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: أقرأ. فقلت: «ما أنا بقارئ». فأخذني فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتىٰ دخل علىٰ خديجة فقال:

---

(١) [العلق: ١ - ٥].

«زملوني زملوني». فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت علىٰ نفسي»، قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله تعالىٰ أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترىٰ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ ﷺ، يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأتِ رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

الحديث الخامس والسبعون

عن يحيىٰ قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾(١) فقلت: أَوَ اقرأ؟! فقال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. فقلت: أو اقرأ؟! قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ،

---

(١) [المدثر: ١].

قال: «جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدًا، ثم نوديت، فنظرت، فلم أر أحدًا، ثم نوديت، فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني. فدثروني، فصبوا علي ماءً، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1].

- **وفيهما خمس وثلاثون مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم).**

وعند البخاري من رواية عقيل: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم»[2].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: [هذا الحديث من مراسيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تدرك هذه القضية؛ فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ أو من صحابي][3].

ش/ قلت: وسيأتي الكلام عليها فيما بعد، في الباب الخامس، باب: ﴿وَأَنذِرْ

---

(١) [المدثر: ١ - ٥].

(٢) البخاري، في بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٧) رقم (٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٤١).

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

❁ المسألة الثانية: قوله: (فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح).

ش/ [قال أهل اللغة: فلق الصبح وفَرَق الصبح - بفتح الفاء واللام والراء - هو ضياؤه، وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البين.

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من العلماء: إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة، فلا يحتملها قوىٰ البشرية، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا. وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة][1] حكاه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء).

وعند البخاري من رواية شيخه يحيىٰ بن بكير: «ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء»[2].

قال الحافظ في «الفتح»: [وهي أوجه][3].

وعند ابن إسحاق: [فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره][4].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٤١ - ١٤٢).

(٢) البخاري، في التفسير، باب: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٣] (٦/ ١٧٣) رقم (٤٩٥٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٧١٧).

(٤) السيرة النبوية لابن إسحاق، حديث بنيان الكعبة (١/ ٣٩).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي أولات العدد، قبل أن يرجع إلىٰ أهله).**

وعند البخاري من رواية يحيىٰ بن بكير: «فيتحنث فيه - قال: والتحنث: التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلىٰ أهله»(١).

وعنده من رواية عقيل: «فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلىٰ أهله»(٢).

وعند ابن إسحاق: «من كل سنة شهرًا»(٣).

ش/ قلت: ولفظةُ «وهو التعبد» من كلام عروة أو مَن دونه؛ تفسيرًا للتحنث.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها حتىٰ فجأه الحق وهو في غار حراء).**

وعند البخاري من رواية عقيل: «ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها، حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء»(٤).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (فجاءه الملك فقال: اقرأ).**

وعند ابن إسحاق: «حتىٰ إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، ورحم العباد بها؛ جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأمر الله»(٥).

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) سبق تخريجه.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (ما أنا بقارئ).**

ش/ أي: لم أكن قارئًا من قبل حتىٰ أقرأ لك.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني).**

وعند ابن إسحاق: «**فغتني به حتىٰ ظننت أنه الموت**».

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أما غطني فبالغين المعجمة والطاء المهملة، ومعناه: عصرني وضمني، يقال: غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه. كله بمعنًىٰ واحد، وأما الجهد فيجوز فتح الجيم وضمها؛ لغتان، وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها؛ فعلىٰ النصب بلغ جبريل مني الجهد، وعلىٰ الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته.

قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الالتفات، والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له][1] اهـ.

ش/ قلت: «وغتني» في رواية ابن إسحاق معناها: [الغت والغط سواء، كأنه أراد: عصرني عصرًا شديدًا، حتىٰ وجدت منه المشقة كما يجد من يُغمس في الماء قهرًا][2].

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (فأخذني فغطني الثالثة حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني).**

ش/ [والحكمة في تكرير الغط ثلاثًا: المبالغة، ففيه التنبيه إلىٰ أنه ينبغي للمعلم

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «غتت».

أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه.

وأما الحكمة في تكرير الإقراء: الإشارة إلىٰ انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية.

وأن الوحي يشتمل علىٰ ثلاث: التوحيد، والأحكام، والقصص][1].

❁ **المسألة العاشرة: قوله**: (ثم أرسلني، **فقال**: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾).

ش/ وهذه الآيات الخمس هي أول ما نزل من هذه السورة، والقصة صريحة الدلالة علىٰ أنها أول ما نزل من القرآن، وأما بقية السورة فقد نزل بعد ذلك بزمن.

والحكمة في هذه الأولية:

- أن هذه الآيات الخمس اشتملت علىٰ مقاصد القرآن: وهي التوحيد والأحكام والأخبار.

- ففيها براعة الاستهلال فقد اشتملت علىٰ الأمر بالقراءة والبداءة فيها بـ(باسم الله).

- وفي هذا الإشارة إلىٰ الأحكام.

---

(١) إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري للمؤلف - حفظه الله - (٤/ ٤١٥).

- وفيها ما يتعلق بالتوحيد بأنواعه الثلاثة: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

- وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾][(١)].

❁ المسألة الحادية عشرة: قوله: (فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره).

وعند البخاري من رواية عقيل: «يرجف فؤاده»[(٢)].

ش/ ومعنىٰ ترجف: [ترعد وتضطرب، وأصله شدة الحركة، قال أبو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب: وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان][(٣)]، والحاصل: أن رسول الله ﷺ حصل له مما رآه فزع ارتجف له فؤاده وبوادره.

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (حتىٰ دخل علىٰ خديجة، فقال: زملوني زملوني).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هكذا هو في الروايات مكرر مرتين، ومعنىٰ زملوني: غطوني بالثياب ولفوني بها][(٤)].

❁ المسألة الثالثة عشرة: قوله: (فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع).

ش/ هو بفتح الراء وهو الفزع، والمعنىٰ: أنهم غطوه ولفوه بالثياب حتىٰ ذهب عنه الفزع.

---

(١) الفتح (٨/ ٧١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٠).

(٤) المصدر السابق.

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (أي خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر).**

ش/ [**قال القاضي عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس هو بمعنىٰ الشك فيما أتاه من الله تعالىٰ، لكنه ربما خشي أن لا يقوىٰ علىٰ مقاومة هذا الأمر، ولا يقدر علىٰ حمل أعباء الوحي؛ فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأول ما رأىٰ التباشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء المَلَك وتحققه رسالة ربه، فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم، فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يجوز عليه الشك فيه، ولا يخاف من تسلط الشيطان عليه، وعلىٰ هذا الطريق يحمل جميع ما ورد من مثل هذا في حديث البعث. هذا كلام القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح «صحيح مسلم».

وذكر أيضًا في كتابه «الشفاء» هذين الاحتمالين في كلام مبسوط، وهذا الاحتمال الثاني ضعيف؛ لأنه خلاف تصريح الحديث؛ لأن هذا كان بعد غط الملك وإتيانه بـ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ والله أعلم][1] اهـ حكاه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا).**

ش/ [أما قوله: «كلا». فهي هنا كلمة نفي وإبعاد، وهذا أحد معانيها، وقد تأتي «كلا» بمعنىٰ «حقًّا»، وبمعنىٰ «ألا» التي للتنبيه يستفتح بها الكلام، وقد جاءت في القرآن العزيز علىٰ أقسام، وقد جمع الإمام أبو بكر بن الأنباري أقسامها ومواضعها في باب من كتابه «الوقف والابتداء».

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٠).

وأما قولها: «لا يخزيك» فهو بضم الياء وبالخاء المعجمة؛ كذا هو في رواية يونس وعقيل. وقال معمر في روايته: «يحزنك» بالحاء المهملة والنون، ويجوز فتح الياء في أوله وضمها وكلاهما صحيح، والخزي: الفضيحة والهوان. والله أعلم][1].

وعند ابن إسحاق: «فقالت: أبشر يا ابن عم واثبت؛ فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة».

❁ المسألة السادسة عشرة: قوله: (والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق).

ش/ هذه ست خصال لا يحملها إلا كمَّل الرجال؛ وقد ذكرتها أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تخفيفًا علىٰ زوجها ﷺ ومطمئنة له ومبشرة بحميد العاقبة.

ومعنى هذه الخصال تفصيلاً:

أولاً: صلة الرحم:

[فهي الإحسان إلىٰ الأقارب علىٰ حسب حال الواصل والموصول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك][2].

ثانيًا: صدق الحديث وضده الكذب:

ولم يجرب علىٰ النبي ﷺ قبل نبوته كما صرح أبو لهب حين قال: «ما جربنا

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠١).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠١).

عليك كذبًا»[١]. وكان ﷺ معروفًا بين قومه بالصادق الأمين.

ثالثًا: حمل الكَل:

[وأصله الثقل، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾[٢]، ويدخل في حمل الكل: الإنفاق علىٰ الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك][٣].

رابعًا: تكسب المعدوم:

[بفتح التاء، هذا هو الصحيح المشهور، يقال: «كسبت الرجل مالًا وأكسبته مالًا» لغتان أفصحهما باتفاقهم «كسبته» بحذف الألف، فمن رواه بالضم فمعناه: تكسب غيرك المال المعدوم؛ أي: تعطيه إياه تبرعًا. فحُذف أحد المفعولين، وقيل معناه: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق. كانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم لا سيما قريش، وكان النبي ﷺ محظوظًا في تجارته][٤].

خامسًا: إقراء الضيف:

[قال أهل اللغة: يقال: قريت الضيف أقريه، قِرًىٰ بكسر القاف مقصور، وقراء

---

(١) البخاري، في التفسير، باب سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ (٦/ ١٧٩) رقم (٤٩٧١)، ومسلم في الإيمان، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (١/ ١٩٣) رقم (٢٠٨).

(٢) [النحل: ٧٦].

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠١).

(٤) المصدر السابق.

بفتح القاف والمد، ويقال للطعام الذي يضيفه به، قِرَىٰ بكسر القاف مقصور، ويقال للفاعل: قارٍ. مثل قضىٰ فهو قاضٍ][١].

سادسًا: الإعانة على نوائب الحق:

[فالنوائب جمع نائبة وهي الحادثة، إنما قالت: نوائب الحق. لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر.

قال العلماء رَحِمَهُمُٱللَّهُ: معنىٰ كلام خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل][٢].

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (فانطلقت به خديجة حتىٰ أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها).

ش/ لأنها خديجة بنت خويلد بن أسد، وهو ورقة بن نوفل بن أسد.

وعند ابن إسحاق: «ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلىٰ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي، وهو ابن عمها».

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي).

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق.

وفي بدء الوحي: «وكان يكتب الكتاب العبراني»[(١)].

وفي التفسير: «يقرأ الإنجيل بالعربية»[(٢)].

ش/ والمعنىٰ: أنه تمكن من معرفة دين النصارىٰ بحيث أنه صار يتصرف في الإنجيل.

❁ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك).

وفي بدء الوحي: «أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك»[(٣)].

ش/ وكلاهما صحيح.

أما الأول: فسمته عمًّا احترامًا، وهذه عادة العرب في مخاطبة كبير السن.

وأما الثاني: فلأنه ابن عمها علىٰ الحقيقة، كما تقدم في نسبها.

❁ المسألة العشرون: قوله: (هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ ﷺ).

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [الناموس: بالنون والسين المهملة، وهو جبريل ﷺ.

قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة «صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر»، ويقال: نمست السر - بفتح النون والميم -، أنمسه - بكسر الميم - نمسًا: أي كتمته، ونمست الرجل ونامسته: ساررته.

---

(١) البخاري، في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ؟ (١/ ٧) رقم (٣).

(٢) البخاري، في التفسير، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ (٤/ ١٠١) رقم (٣٣٩٢).

(٣) سبق تخريجه.

واتفقوا علىٰ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسمىٰ الناموس، واتفقوا علىٰ أنه المراد هنا.

قال الهروي: سمي بذلك؛ لأن الله تعالىٰ خصه بالغيب والوحي.

وأما قوله: «الذي أنزل علىٰ موسىٰ ﷺ». فكذا هو في الصحيحين وغيرهما، وهو المشهور، ورويناه في غير الصحيح: «نزل علىٰ عيسىٰ ﷺ»، وكلاهما صحيح][1].

❁ المسألة الحادية والعشرون: قوله: (يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك).

وعند البخاري في التفسير: «ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا، ذكر حرفًا»[2].

ش/ الضمير «فيها» راجع إلىٰ أيام النبوة، والمعنىٰ: ليتني شابٌّ قوي حتىٰ أبالغ في نصرتك.

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (أوَ مخرجي هم؟).

ش/ هذا استفهام استنكار واستغراب، والمعنىٰ: هل يخرجني قومي من بينهم وأنا فيهم ذو مكانة؟!.

❁ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (نعم، لم يأتِ رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا).

وعند البخاري في التفسير: «نعم، لم يأتِ رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٣).

(٢) البخاري، في التفسير، باب: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٣] (٦/ ١٧٣) رقم (٤٩٥٣).

يدركني يومك حيًّا أنصرك نصرًا مؤزرًا»[١].

وعند ابن إسحاق: «ولتكذَّبنه، ولتؤذَينه، ولتخرجَنه، ولتقاتَلنه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه».

❁ **المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (عن يحيىٰ).**

ش/ هو [يحيىٰ بن أبي كثير الطائي مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل، من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين «يعني بعد المئة»، وقيل: قبل ذلك ع][٢].

❁ **المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (سألت أبا سلمة).**

ش/ هو: [أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل. ثقة مكثر، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومائة، وكان مولده سنة بضع وعشرين ع][٣].

❁ **المسألة السادسة والعشرون: قوله: (أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾).**

[وعند البخاري في بدء الوحي[٤]، وفي تفسير سورة (اقرأ) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا؛

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تقريب التهذيب (٢/ ٥٩٦).

(٣) تقريب التهذيب (٢/ ٦٤٥).

(٤) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ٧) رقم (٤).

ما يدل علىٰ أن أول ما نزل سورة (اقرأ)، وفي المسألة خلاف مشهور وقوي، وأحسن الأقاويل في ذلك: بأن أول ما نزل من الآيات ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة، وهذا كما ورد في الحديث: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته**»[١]، وحديث: «**أول ما يقضىٰ بين الناس بالدماء**»[٢].

والجمع بينهما: بأن أول ما يحكم فيه من المظالم التي بين العباد الدماء، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة][٣] حكاه الزركشي عن القاضي أبي بكر الباقلاني - رحمهما الله -.

❁ **المسألة السابعة والعشرون: قوله: (فقلت: أو اقرأ؟).**

ش/ هذا سؤال استغراب، والسائل هو يحيىٰ بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة الثامنة والعشرون: قوله: (سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾).**

وعند البخاري في التفسير: «سألت جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن ذلك،

---

(١) جامع الترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (٢/ ٢٦٩) رقم (٤١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) البخاري، في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (٨/ ١١١) رقم (٦٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٨).

وقلت له مثل الذي قلت»[١].

وعنده: «سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. فقلت: أنبئت أنه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾»[٢].

ش/ قلت: وفيه دليل علىٰ أن هذه العبارات الثلاث، وهي حدثنا وأنبأنا وأخبرنا؛ بمعنًىٰ واحد.

❁ المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (جاورت بحراء شهرًا).

ش/ والمجاورة: المفاعلة من الجوار، وقد تكرر ذكرها في الحديث مرادًا بها الاعتكاف في المكان والمكث فيه.

وحراء بالكسر والتخفيف والمد: جبل من جبال مكة علىٰ ثلاثة أميال، وهو معروف ويقع إلىٰ شرق مكة - شرفها الله -.

❁ المسألة الثلاثون: قوله: (فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي).

وفي تفسير سورة المدثر: «**فلما قضيت جواري هبطت**»[٣].

وفي رواية الزهري: «**فبينا أنا أمشي**»[٤].

---

(١) البخاري، في التفسير سورة المدثر (٦/ ١٦١) رقم (٤٩٢٢).

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٥).

۞ المسألة الحادية والثلاثون: قوله: (فنُوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحدًا).

وفي تفسير سورة المدثر: «**فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئًا، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئًا، ونظرت خلفي فلم أرَ شيئًا**»(١).

ش/ قلت: والظاهر أن هذا التصرف من بعض الرواة؛ لأن القصة واحدة، وفيه دليل علىٰ رواية الحديث بالمعنىٰ.

۞ المسألة الثانية والثلاثون: قوله: (ثم نوديت، فرفعت رأسي، فإذا هو علىٰ العرش في الهواء - يعني: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ **- فأخذتني رجفة شديدة).**

وعند المصنف من وجه آخر: «**فإذا هو جالس علىٰ عرش بين السماء والأرض**»(٢).

وعنده من رواية يونس: «**فجئثت منه فرقًا حتىٰ هويت إلىٰ الأرض**»(٣).

وعند البخاري في بدء الوحي: «**فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس علىٰ كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه**»(٤).

وعند الترمذي من رواية الزهري: «**فجئثت منه رعبًا**»(٥).

---

(١) البخاري، في التفسير، سورة المدثر (٦/ ١٦١) رقم (٤٩٢٢).

(٢) مسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (١/ ١٤٥) رقم (١٦١).

(٣) مسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (١/ ١٤٣) رقم (١٦١).

(٤) البخاري، في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ٧) رقم (٤).

(٥) جامع الترمذي في تفسير القرآن، باب تفسير سورة المدثر (٥/ ٤٢٨) رقم (٣٣٢٥).

❁ **المسألة الثالثة والثلاثون: قوله: (فأتيت خديجة).**

وعند البخاري من رواية عقيل عن الزهري: «**فجئت أهلي**»(١).

❁ **المسألة الرابعة والثلاثون: قوله: (دثروني. فدثروني، فصبوا علي ماءً).**

وعند البخاري من رواية شيخه يحيىٰ: «**دثروني، وصبوا علي ماءً باردًا**»(٢).

وعنده من رواية الزهري: «**زملوني زملوني. فدثروني**»(٣).

ش/ قال العلماء: [المدثر والمزمل والمتلفف والمشتمل؛ بمعنًىٰ واحد، ثم الجمهور علىٰ أن معناه: المدثر بثيابه](٤).

وفيه دليل علىٰ أنه يحسن أن يصب علىٰ الفزع الماء البارد ويلف بثيابه أو بغيرها؛ ليسكن فزعه ويذهب عنه الروع.

❁ **المسألة الخامسة والثلاثون: قوله: (فأنزل الله:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾).

وعند البخاري من رواية شيخه الزهري: «قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون»(٥).

---

(١) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٦).

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٤).

(٣) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٥).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٨).

(٥) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٦/ ١٧٤) رقم (٤٩٥٤).

زاد البخاري قال: «ثم تتابع الوحي»[١].

وله من رواية محمد بن رافع: «فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ - قبل أن تفرض الصلاة - وهي الأوثان»[٢].

من فقه الحديثين:

أولًا: فيه أعظم دليل وأبلغ حجة علىٰ كمال خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، وجزالة رأيها وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها.

ثانيًا: جواز مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة راجحة.

ثالثًا: تأنيس من حصلت له مخافة من أمر؛ بتبشيره وذكر أسباب السلامة له.

رابعًا: أن النبي ﷺ يجري عليه ما يجري علىٰ سائر البشر من الخوف ويستغرب من الأمور.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٦/ ١٧٤) رقم (٤٩٥٤).

(٢) مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ (١/ ١٤٣) رقم (١٦١).

الباب الحادي والخمسون

بابٌ: في كثرة الوحي وتتابعه

الحديث السادس والسبعون

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن الله عَزَّ وَجَلَّ تابع الوحي علىٰ رسول الله ﷺ قبل وفاته حتىٰ توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ».

التخريج:

أخرجه المصنف في التفسير، قال: «بابٌ».

وقال: حدثني عمرو بن محمد بن بكير الناقد والحسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد؛ - قال عبد: حدثني، وقال الآخران: حدثنا - يعقوب - يعنون: ابن إبراهيم بن سعد -، حدثنا أبي، عن صالح - وهو ابن كيسان -، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

۞ المسألة الأولى: قوله: (أن الله عَزَّ وَجَلَّ تابع الوحي علىٰ رسول الله ﷺ قبل وفاته حتىٰ توفي).

وفي حديث جابر عند البخاري: قال أبو سلمة: «ثم حمي الوحي وتتابع»[(١)].

---

(١) البخاري، في تفسير القرآن، باب: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (٦/ ١٦٢) رقم (٤٩٢٦).

وفي الصحيح من هذا الوجه: «أن الله تعالىٰ تابع علىٰ رسوله ﷺ الوحي قبل وفاته حتىٰ توفاه»[(١)].

وعند ابن حبان من رواية عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري قال: أتاه رجل وأنا أسمع فقال: «يا أبا بكر كم انقطع الوحي عن نبي الله ﷺ قبل موته؟»[(٢)]. قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أيْ: أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ، والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا، وكثر سؤالهم عن الأحكام؛ فكثر النزول بسبب ذلك. ووقع لي سبب تحديث أنس بذلك من رواية الدراوردي عن الإمامي عن الزهري: «سألت أنس بن مالك: هل فتر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت؟ قال: أكثر ما كان وأجمه][(٣)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ)**.

وفي الصحيح: «أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد»[(٤)].

وفي صحيح ابن حبان: قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لقد قبض من الدنيا

---

(١) البخاري، في فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل (٦/ ١٨٢) رقم (٤٩٨٢).

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان في الوحي، باب ذكر البيان بأن الوحي لم ينقطع عن صفي الله ﷺ إلىٰ أن أخرجه الله من الدنيا إلىٰ جنته (١/ ٢٣٢) رقم (٤٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/ ٨).

(٤) سبق تخريجه.

وهو أكثر مما كان»[١].

ش/ قلت: فتحصل من حديث الباب وما في معناه: أن الوحي لم يزل متتابعًا منذ نزول سورة المدثر علىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ توفاه الله.



---

(١) سبق تخريجه.



الباب الثاني والخمسون

بابٌ: الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات

❁ شرح الترجمة:

الإسراء في اللغة: من السري، وهو المسير في الليل.

وشرعًا: مسير النبي ﷺ برفقة الروح الأمين جبريل ﷺ إلىٰ بيت المقدس، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يمجد تعالىٰ نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته علىٰ ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يعني: محمدًا - صلوات الله وسلامه عليه -.

﴿لَيْلًا﴾ أي: في جنح الليل ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو مسجد مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم، فأمّهم في مَحِلّتهم ودارهم. فدل علىٰ أنه هو

---

(١) [الإسراء: ١].

الإمام الأعظم، والرئيس المقدم - صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين -.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ أي: في الزروع والثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي: محمدًا ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ أي: العظام، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾[1].

إلىٰ أن قال: وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم؛ فيعطي كلًّا ما يستحقه في الدنيا والآخرة][2] اهـ.

الحديث السابع والسبعون

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: أُتيتُ بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهىٰ طرفه، قال: فركبته حتىٰ أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: اخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير.

---

(١) [النجم: ١٨].

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥).

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الثانية، فاستفتح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسىٰ ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا، فرحبا ودعوا لي بخير.

ثم عرج بي إلىٰ السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(١).

ثم عرج بنا إلىٰ السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بهارون، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلىٰ السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسىٰ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج إلىٰ السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل.

(١) [مريم: ٥٧].

قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلىٰ السدرة المنتهىٰ وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي؛ تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحىٰ الله إلي ما أوحىٰ، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلىٰ موسىٰ ﷺ، فقال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلىٰ ربي، فقلت: يا رب خفف علىٰ أمتي. فحطَّ عني خمسًا، فرجعت إلىٰ موسىٰ فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبين موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتىٰ قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر؛ فذلك خمسون صلاة، ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

قال: فنزلت حتىٰ انتهيت إلىٰ موسىٰ ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت منه».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات، وفرض

الصلوات».

وقال: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه اثنتا عشرة مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهىٰ طرْفه).

وعند المصنف من وجه آخر: «**ثم أتيت بدابة أبيض، يقال له: البراق. فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه عند أقصىٰ طرفه، فحملت عليه**»[1].

وفي حديث أنس عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري، قال النبي ﷺ: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر، يعني: رجلًا بين الرجلين - فأُتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانًا، فشق من النحر إلىٰ مَراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانًا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار؛ البراق**»[2].

وعنده من رواية همام، عن قتادة، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثم أتيت بدابة دون**

---

(١) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات، وفرض الصلوات (١/ ١٤٩) رقم (١٦٤).

(٢) البخاري، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١٠٩) رقم (٣٢٠٧).

البغل وفوق الحمار أبيض. فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم»[١].

وعند ابن خزيمة: «**أوتيت بدابة أبيض يقال له: البراق. فوق الحمار ودون البغل، يقع خطاه أقصىٰ طرفه**»[٢].

وعند ابن أبي شيبة: «لما أسري بالنبي ﷺ أتي بدابة دون البغل وفوق الحمار، يضع حافره عند منتهىٰ طرفه، يقال له: البراق»[٣].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (فركبته حتىٰ أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء).**

وعند ابن حبان: أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أسري به مسْرَجًا ملجمًا ليركبه فاستصعب عليه، فقال له جبريل: «**ما يحملك علىٰ هذا فوالله ما ركبك أحد أكرم علىٰ الله منه. قال: فارفض عرقًا**»[٤]. [قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين].

وفي حديث عبد الله بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عند ابن أبي شيبة**: «ومر رسول الله ﷺ بعير للمشركين فنفرت، فقالوا: يا هؤلاء، ما هذا؟ قالوا: ما نرىٰ شيئًا، ما هذه إلا ريح، حتىٰ أتىٰ بيت المقدس، فأتي بإناءين في واحد خمر وفي الآخر لبن، فأخذ

---

(١) البخاري، في المناقب، باب المعرج (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة (١/ ١٥٣) رقم (٣٠١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، باب ما أعطىٰ الله محمدًا ﷺ (١١/ ٤٦١) رقم (٣٢٣٥٧).

(٤) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، في الإسراء باب ذكر استصعاب البراق عند إرادة ركوب النبي ﷺ إياه (١/ ٢٣٥) رقم (٤٦).

اللبن، فقال له جبريل: هديت وهديت أمتك»(١).

وعند البزار من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه: «لما كان ليلة أسري به، فأتىٰ جبريل الصخرة التي ببيت المقدس، فوضع أصبعه فيها فخرقها، فشد بها البراق»(٢).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، فجاءني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة).**

وعند البزار من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم دخلنا المسجد فنثرت لي الأنبياء من سمىٰ الله منهم ومن لم يسمِّ»(٣).

قال عقبه: [وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ إلا حماد بن سلمة، عن أبي حمزة بهذا الإسناد، عن عبد الله].

ش/ وفي التنزيل: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٤)، وسمىٰ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الأنعام ثمانية عشرة نبيًّا ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند البزار، مسند بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠/ ٢٨٧) رقم (٤٣٩٨).

(٣) مسند البزار، مسند بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ١٥) رقم (١٥٦٨).

(٤) [النساء: ١٦٤].

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وعند المصنف من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليلة أسري بي أُتيت بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن، فقيل: اختر أيهما شئت. فاخترت اللبن، فقيل لي: هديت للفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك**»[2].

وعنده من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**هذا البيت المعمور... ثم أتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن، فعُرضا علي؛ فاخترت اللبن، فقيل: أصبت - أصاب الله بك - أمتك علىٰ الفطرة**»[3].

وعند البخاري: «**ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن، فقال: هذه الفطرة، أنت عليها وأمتك**»[4].

---

(١) [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

(٢) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ٣٩٦) رقم (٢٤٥).

(٣) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٩) رقم (١٦٤).

(٤) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم بعدما أخرج من جوفه (١/ ١١١) رقم (٣٣٩).

وعند ابن خزيمة: «**هذا البيت المعمور... قال: ثم أوتيت بإناءين أحدهما خمر، والآخر لبن يعرضان علي؛ فاخترت اللبن**»(١).

ش/ قلت: ويشكل عليه ما تقدم: «**ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين فجاءني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن**»، والجمع بينهما: **أنَّ عَرْض** اللبن والخمر عليه كان مرتين.

وإيضاحه أنه احتاج إلىٰ الشرب في الأرض واحتاج إليه في السماء، والله أعلم.

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (ثم عرج بنا إلىٰ السماء فاستفتح جبريل) إلىٰ قوله: (ثم عَرج إلىٰ السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلىٰ البيت المعمور).**

ش/ قلت: وفيه فوائد:

الأولىٰ: وجوب الإيمان بأن علىٰ السماء خزنة وحراسًا لا يدخلها إلا من أُذن له.

الثانية: أن خزنة السماء من الملائكة - عليهم الصلاة والسلام - لا يعلمون من أمر الغيب إلا ما علمهم الله، وإيضاحه أنه كلما استفتح جبريل سماءً، قال له خازنها: « **من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: قد بعث إليه. ففتح لنا**»؛ ولهذا جاء في حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ١٥٥) رقم (١٠٣).

عند البخاري: فقال كل خازن: «فنعم المجيء جاء»[١].

فتحصل أن خزنة السماء لم يعلموا أن محمدًا ﷺ سيعرج به إليها بصحبة جبريل ﷺ.

الثالثة: أن الله رفع هؤلاء الأنبياء إلىٰ السماء، فلقيهم رسول الله ﷺ أحياءً.

الرابعة: فضيلة هؤلاء الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وأنهم متفاوتون في الفضل علىٰ وفق ما ذكر من منازلهم في الحديث.

۞ المسألة الخامسة: قوله: (وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه).

وفي الصحيح من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال ﷺ: **«فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»**[٢].

وعنه عند أبي عوانة: **«ثم رفع لنا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»**[٣].

وفي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ: **«أنه رأىٰ البيت**

(١) البخاري، في المناقب، باب المعراج (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٧).

(٢) البخاري، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١٠٩) رقم (٣٢٠٧).

(٣) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم بعدما أخرج من جوفه (١/ ١٠٧) رقم (٣٣٧).



المعمور ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون فيه»[١] [قال محققه: صحيح علىٰ شرط الشيخين].

ش/ قلت: فالجمع بين هذه الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ رأىٰ البيت المعمور، فسأل جبريل عنه، فأخبره.

۞ المسألة السادسة: قوله: (ثم ذهب بي إلىٰ السدرة المنتهىٰ، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال).

وفي حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**ورفعت لي سدرة المنتهىٰ، فإذا نبِقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار؛ نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات**»[٢].

وعند أحمد عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**رفعت لي سدرة المنتهىٰ في السماء السابعة، نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذان؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات**»[٣] [إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين].

---

(١) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب الإسراء، ذكر وصف الإسراء برسول الله ﷺ من بيت المقدس (١/ ٢٣٩) رقم (٤٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٤٦) رقم (١٢٦٩٥).

وعند المصنف وأحمد من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها»(١).

ش/ قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقا على هذه الرواية:

[وله طرق:

الأولىٰ: عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة عن عبد الله؛ قال: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ وهي في السماء السادسة».

قلت: ظاهره يخالف حديث أنس المتقدم: «**ثم عرج بنا إلىٰ السماء السابعة...** ثم ذهب بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ»؛ فإنه يدل علىٰ أن السدرة في السماء السابعة وهو الذي رجحه القرطبي، وجمع الحافظ بين الحديثين بتأويل أن أصلها في السماء السادسة منها إلا أصل ساقها.

قلت: ويؤيد هذا الجمع رواية ابن جرير عن قتادة مرسلًا: «**رفعت لي سدرة منتهاها في السماء السابعة**» وسنده صحيح](٢) اهـ.

---

(١) مسلم في الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهىٰ (١/ ١٥٧) رقم (١٧٣)، ومسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٣٨٧) رقم (٣٦٦٥).

(٢) الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها ص (٨٩).

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فلما غشيها من أمر الله ما غشي؛ تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها).**

وعند البخاري: «**ثم انطلق بي حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي**»(١).

وعند المصنف من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾(٢)؛ قال: «**فراش من ذهب**»(٣).

وعند أحمد من رواية حميد: «**فلما غشيها من أمر الله ما غشيها؛ تحولت ياقوتًا أو زمردًا أو نحو ذلك**»(٤) [قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين].

ش/ قلت: فتحصل من هذا كله: بيان معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، وهو من بيان القرآن بالسنة.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (فأوحىٰ الله إلي ما أوحىٰ).**

ش/ قلت: فبينه بقوله: «**ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة**»، وفي سورة النجم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾(٥).

---

(١) البخاري، في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١/ ٧٨) رقم (٣٤٩).

(٢) [النجم: ١٦].

(٣) مسلم في الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهىٰ (١/ ١٥٧) رقم (١٧٣).

(٤) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٢٨) رقم (١٢٣٢٣).

(٥) [النجم: ١٠].

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (فنزلت إلىٰ موسىٰ ﷺ، فقال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم).**

وفي الصحيحين: «**ثم عرج بي حتىٰ ظهرت لمستوًىٰ أسمع فيه صريف الأقلام**» قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**ففرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة، قال: فرجعت بذلك حتىٰ أمر بموسىٰ، فقال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ماذا فرض ربك علىٰ أمتك؟ قال: قلت: فرض عليهم خمسين صلاة. قال لي موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فراجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك**»[1].

للبخاري: «**فأوحىٰ الله فيما أوحىٰ إليه: خمسين صلاة علىٰ أمتك كل يوم وليلة. ثم هبط حتىٰ بلغ موسىٰ، فاحتبسه موسىٰ، فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة. قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك؛ فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم. فالتفت النبي ﷺ إلىٰ جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلىٰ الجبار، فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا؛ فإن أمتي لا تستطيع هذا**»[2].

وعند ابن خزيمة: «**ففُرضت علي كل يوم خمسون صلاة، فأقبلت بهن حتىٰ**

---

(١) البخاري، في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١/ ٧٨) رقم (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٨) رقم (١٦٣).

(٢) البخاري، في التوحيد، باب: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ (٩/ ١٤٩) رقم (٧٥١٧).

أتيت علىٰ موسىٰ؛ فقال: بما أمرت؟ قلت: بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك؛ إني قد بلوت بني إسرائيل قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلىٰ ربك فسله التخفيف لأمتك. فرجعت»[(١)].

❁ المسألة العاشرة: قوله: (فرجعت إلىٰ موسىٰ فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف).

وعند البخاري: «فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلىٰ موسىٰ، فقال مثله، فرجعت؛ فوضع عني عشرًا، فرجعت إلىٰ موسىٰ، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلىٰ موسىٰ، فقال مثله، فرجعت؛ فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلىٰ موسىٰ، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك»[(٢)].

وفي رواية يزيد بن زريع عن سعيد وهشام: «فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين ثم مثله، فجعل عشرًا فأتيت موسىٰ فقال مثله، فجعلها خمسًا، فأتيت موسىٰ فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ١٥٥) رقم (٣٠١).

(٢) البخاري، في المناقب، باب المعراج (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٧).

خمسًا، فقال مثله»[١].

وفي رواية عبد العزيز بن عبد الله: «فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلىٰ موسىٰ، فاحتبسه فلم يزل يردده موسىٰ إلىٰ ربه حتىٰ صارت إلىٰ خمس صلوات، ثم احتبسه موسىٰ عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي علىٰ أدنىٰ من هذا؛ فضعفوا؛ فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك. كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلىٰ جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل»[٢].

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فقال: ما فرض الله لك علىٰ أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلىٰ ربك! فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلىٰ موسىٰ، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلىٰ ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته»[٣].

ش/ قلت: فبان بهذا التقرير اختلاف الروايات، وهذا مشكل؛ إذ الحادثة واحدة، وما أحسن ما قاله الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الروايات وما في معناها في الباب:

[في رواية مالك بن صعصعة: «فوضع عني عشرًا» ومثله لشريك، وفي رواية

---

(١) البخاري، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١٠٩) رقم (٣٢٠٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١/ ٧٨) رقم (٣٤٩).

ثابت: «**فحط عني خمسًا**».

قال ابن المنير: ذكر الشطر أعم من كونه وقع في دفعة واحدة.

قلت: وكذا العشر، فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات، أو المراد بالشطر في حديث الباب البعض، وقد حققت رواية ثابت: أن التخفيف كان خمسًا خمسًا، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها، وأما قول الكرماني: الشطر هو النصف. ففي المراجعة الأولىٰ وضع خمسًا وعشرين، وفي الثانية ثلاثة عشر، يعني: نصف الخمسة والعشرين بجبر الكسر وفي الثالثة سبعًا، كذا قال. وليس في حديث الباب في المراجعة الثالثة ذكر وضع شيء، إلا أن يقال: حذف ذلك اختصارًا. فيتجه، لكن الجمع بين الروايات يأبىٰ هذا الحمل، فالمعتمد ما تقدم][1].

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (قال: فلم أزل أرجع بين ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبين موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتىٰ قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر؛ فذلك خمسون صلاة)**.

وعند البخاري: «**قال: سألت ربي حتىٰ استحييت، ولكني أرضىٰ وأسلم. قال: فلما جاوزت نادىٰ منادٍ: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي**»[2].

وفي رواية يزيد بن زريع عن سعيد وهشام: «قلت: سلمت بخير. فنودي: إني

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٤٦٢).

(٢) البخاري، في المناقب، باب المعراج (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٧).

قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرًا»[1].

وفي رواية عبد العزيز بن عبد الله: «فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب، إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضته عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك»[2].

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (فنزلت حتىٰ انتهيت إلىٰ موسىٰ ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت منه).

وفي الصحيح من رواية عبد العزيز بن عبد الله: «فرجع إلىٰ موسىٰ، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا؛ أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسىٰ: قد والله راودت بني إسرائيل علىٰ أدنىٰ من ذلك؛ فتركوه، ارجع إلىٰ ربك فليخفف عنك أيضًا. قال رسول الله ﷺ: يا موسىٰ، قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه. قال: فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام»[3].

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فقال: ارجع إلىٰ ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك.

---

(١) البخاري، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١٠٩) رقم (٣٢٠٧).

(٢، ٣) سبق تخريجه.

فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدل القول لدي. فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي»[١].

تنبيهات:

- **التنبيه الأول:**

قوله: (فاهبط باسم الله).

ش/ ظاهره أن القائل هو موسىٰ ﷺ.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «فاهبط باسم الله» ظاهر السياق أن موسىٰ هو الذي قال له ذلك؛ لأنه ذكره عقب قوله ﷺ: «**قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه**»، قال: «فاهبط»؛ وليس كذلك، بل الذي قال له: «فاهبط باسم الله» هو جبريل، وبذلك جزم الداودي][٢].

ش/ قال مقيده: وما أحسن هذا؛ فالزمه أيها الحاذق البصير.

- **التنبيه الثاني:**

قوله: (فاستيقظ وهو في المسجد الحرام).

ش/ وهذا مشكل؛ لأن ظاهره أن الإسراء والمعراج وقعا له ﷺ منامًا، والذي

---

(١) البخاري، في الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء (١/ ٧٨) رقم (٣٤٩).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٨٦، ٤٨٧).

أجمع عليه أئمة العلم والإيمان والدين أنهما وقعا له ﷺ يقظة لا منامًا.

قال القرطبي: [يحتمل أن يكون استيقاظًا من نومة نامها بعد الإسراء؛ لأن إسراءه لم يكن طول ليلته، وإنما كان في بعضها.

ويحتمل أن يكون المعنىٰ: أفقت مما كنت فيه مما خامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(١)؛ فلم يرجع إلىٰ حال بشريته ﷺ إلا وهو بالمسجد الحرام](٢).

ش/ قال عبيد: وكلا التأولين متكلف ولا مستند له يوجب علينا التسليم له حتىٰ لو سلم الحديث من النقد، وستعلم لاحقًا - إن شاء الله - بيان ذلك.

- **التنبيه الثالث:**

[أبدىٰ ابن المنير هنا نكتة لطيفة في قوله ﷺ لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أمره أن يرجع بعد أن صارت خمسًا، فقال: «**استحييت من ربي**».

قال ابن المنير: «يحتمل أنه ﷺ تفرس من كون التخفيف وقع خمسًا خمسًا، أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسًا، لكان سائلًا في رفعها؛ فلذلك استحيىٰ» اهـ.

ودلت مراجعته ﷺ لربه في طلب التخفيف تلك المرات كلها أنه علم أن الأمر في كل مرة لم يكن علىٰ سبيل الإلزام، بخلاف المرة الأخيرة ففيها ما يشعر

---

(١) [سورة النجم: ١٨].

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٨٦ - ٤٨٧).

بذلك؛ لقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: «**لا يبدل القول لدي**».

ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء: أن العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة؛ فخشي أن يدخل في الإلحاح في السؤال، لكن الإلحاح في الطلب من الله مطلوب، فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر، والله أعلم][1] حكاه الحافظ رَحِمَهُٱللَّهُ في «الفتح».

- **التنبيه الرابع:**

ظهر من صريح حديث الباب ثبوت المعراج بالسنة، واعلم أنها متواترة، ولا تظنَّنَّ أن المعراج ثبوته في السنة فقط، بل كذلك هو ثابت في القران الكريم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾[2] الآيات.

فبان أن الإسراء والمعراج ثابتان بالقرآن والسنة المتواترة، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك.

- **ثلاثة أسئلة مهمة:**

وهاهنا ثلاثة أسئلة مهمة يجب التفطن إليها والإصغاء إلى جوابها:

السؤال الأول: عرِّفونا من هو شريكٌ هذا الذي خُطئ في روايته لحديث الإسراء.

السؤال الثاني: عرفونا ماذا قال حفاظ الحديث وأئمة هذا الشأن في روايته

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٤٦٣).
(٢) [النجم: ١ - ١٦].

المشار إليها.

السؤال الثالث: كيف توردون هذه الرواية وقد ذكرتم عنها ما ذكرتم؟ ألا يتوجه إليكم الانتقاد؟

- **فللجواب عن السؤال الأول هاك ترجمة شريك:**

هو [شريك بن عبد الله بن أبي نمر أبو عبد الله المدني، صدوق يخطئ من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة خ م د تم س ق](١).

- **للجواب عن سؤالك الثاني: ننقل إليك ما انتقده الحفاظ على شريك في هذه الرواية، فتفطن:**

١- **قال الإمام مسلم في الصحيح:** «وقدم فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص»(٢).

٢- وقال عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»:

«زاد فيه - يعني شريكًا - زيادة مجهولة، وأتىٰ فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روىٰ حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين، كمثل ابن شهاب، وثابت البناني، وقتادة، فلم يأتِ أحدٌ منهم بما أتىٰ به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث»(٣).

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٢٦٦).

(٢) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٨) رقم (١٦٢).

(٣) الجمع بين الصحيحين (١/ ١٢٧، ١٢٨).

٣- **قال النووي في شرح مسلم:** «وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم علىٰ ذلك»[١].

٤- **قال ابن كثير في تفسيره:** «وهو كما قاله مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه»[٢].

٥- **قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:**

[ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد علىٰ ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في السموات، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة.

الثالث: كونه منامًا.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهىٰ وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة.

الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات، وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما من تحت سدرة المنتهىٰ.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٢/ ٢٠٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٧).

السادس: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة.

السابع: نسبة الدنو والتدلي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والمشهور في الحديث أنه جبريل.

الثامن: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلىٰ سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضىٰ رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

التاسع: قوله: فعلا به الجبار، فقال: وهو مكانه.

العاشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمره بالرجوع بعد أن انتهىٰ التخفيف إلىٰ الخمس فامتنع.

الحادي عشر: زيادة ذكر التور في الطست][1] اهـ من «الفتح» بتصرف.

٦- قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإسراء والمعراج»:

[ولعل هذا الاختلاف هو من شريك نفسه، فإنه - وإن كان من رجال الشيخين - فقد تكلموا في حفظه - كما تراه مبسوطًا في كتب الرجال -. وقال الحافظ فيه في «التقريب»: «صدوق يخطئ»][2].

- وأما جوابنا عن سؤالك الثالث فنقول:

لنا فيما نقلناه من رواية شريك المشار إليها والمنتقدة مقاصد:

أحدها: كنا نتوقع لو أغفلناها أن يقول قائل: ليس عنده فقه في الحديث. أو

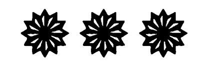
---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٨٥، ٤٨٦).

(٢) الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما وتخريجها وبيان صحيحها من سقيمها ص (٣٣).

مبتغ النيل منا: لم أعرضتم عما رواه شريك عن أنس وهو من رجال الشيخين؟!

وثانيها: لم نكن - ولله الحمد - بدعًا في هذا الصنيع؛ فإن أهل العلم ينقلون ما ينقلون من الأحاديث والأقوال، ثم يُتبعونها بما يؤيدها أو يردها، وقد أَبَنتُ لك ما يوجب رد هذا الحديث.





الباب الثالث والخمسون

باب: ذكر النبي ﷺ الأنبياء عليهم السلام

❁ شرح الترجمة:

الأنبياء: جمع نبي، وله في اللغة معنيان:

أحدهما: من النبا، وهو ما علا وارتفع من الأرض.

وثانيهما: من النبأ، وهو الخبر العظيم الهائل، قال تعالىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]، وكلا المعنين لا ينافي أحدهما الآخر؛ إذ الأنبياء يبعثون في علية قومهم نسبًا وخَلقًا وخُلقًا، وهم آتون من الله بالخبر العظيم.

وشرعًا: رجل من بني آدم أوحىٰ الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، أو جاء بتقرير شريعة سابقة، وبهذا يظهر أن الأنبياء قسمان:

أحدهما: مَن هو رسول نبي، ومنهم: أولو العزم وهود وصالح وشعيب – صلىٰ الله وسلم علىٰ الجميع – وهؤلاء شرائعهم مستقلة.

والثاني: من ليس شريعته مستقلة، وإنما مقررًا شريعة نبي قبله، ومن هؤلاء

---

(١) [النبأ: ١، ٢].

يوشع بن نون؛ فإنه مبعوث من الله بتقرير شريعة موسىٰ وهارون - صلىٰ الله وسلم عليهم أجمعين -.

وبهذا تعلم بطلان القول: «أن النبي رجل من بني آدم أوحىٰ الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه»، وهذا التعريف وإن كان مشهورًا ولا يكاد يعرف غيره عند الكثيرين إلا أنه يرده الكتاب والسنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[1] الآية.

الآية نصٌّ صريح في أن النبي مرسلٌ كالرسول.

ومن السنة: ما أخرجه الشيخان عن أبي حازم، قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي ﷺ، قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي**»[2] الحديث.

فوجه الدلالة من هذا الحديث الصحيح: أن سياسة الأنبياء لبني إسرائيل هي تبليغهم بالشرع وأمرهم به.

الحديث الثامن والسبعون

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة،

---

(١) [الحج: ٥٢].

(٢) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن أنبياء بني إسرائيل (٤/ ١٦٩) رقم (٣٤٥٥)، ومسلم في الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخليفة (٣/ ١٤٧١) رقم (١٨٤٢).

فمررنا بوادٍ فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق[١]. فقال: كأني أنظر إلىٰ موسىٰ ﷺ [فذكر من لونه وشعره شيئًا لم يحفظه داود]، واضعًا إصبعيه في أذنيه، له جؤار إلىٰ الله تعالىٰ بالتلبية مارًّا بهذا الوادي. قال: ثم سرنا حتىٰ أتينا علىٰ ثنية، فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هرشىٰ أو لفت[٢]، فقال: كأني أنظر إلىٰ يونس علىٰ ناقة حمراء عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خُلبة، مارًّا بهذا الوادي ملبيًا».

الحديث التاسع والسبعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «حين أسري بي لقيت موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فنعته النبي ﷺ -، فإذا رجل - حسبته قال: مضطرب -، رَجِل الرأس، كأنه من رجال شنوءة، قال: ولقيت عيسىٰ - فنعته النبي ﷺ -؛ فإذا ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس - يعني: حمامًا - قال: ورأيت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا أشبه ولده به. قال: فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقيل لي: خذ أيهما شئت. فأخذت اللبن فشربته، فقال: هديت الفطرة، أو أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

---

(١) الأزرق: من الألوان، ووادي الأزرق بالحجاز، والأزرق ماء في طريق حاج الشام دون تَيماء (وفيه نظر) [معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ١٦٨)].

(٢) (هرشىٰ) بفتح الهاء وإسكان الراء وبالشين المعجمة مقصورة الألف، جبل في طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة، (لفت) بكسر اللام وإسكان الفاء، وقيل: بفتح اللام وإسكان الفاء.

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات، وفرض الصلوات».

وقال: حدثني محمد بن المثنىٰ، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن أبي العالية، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب.

وقال: حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد - وتقاربا في اللفظ -، قال ابن رافع: حدثنا، وقال عبد: أخبرنا - عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيهما أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: **قوله: (سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بوادٍ، فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق).**

وفي رواية أحمد بن حنبل وسريج بن يونس: «أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق، فقال: أي وادٍ هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق»[1].

وعند ابن ماجه من رواية بشر بن خلف: «كنا مع رسول الله ﷺ بين مكة

---

(١) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٥٢) رقم (١٦٦).

والمدينة، فمررنا بوادٍ، فقال: أي وادٍ هذا؟ قالوا: وادي الأزرق»[(١)].

وعند ابن حبان: «انطلقنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلىٰ المدينة، فلما أتينا علىٰ وادي الأزرق، قال: «**أي وادٍ هذا؟**» قالوا: وادي الأزرق»[(٢)] [قال المحقق: إسناده صحيح].

❁ المسألة الثانية: قوله: (كأني أنظر إلىٰ موسىٰ ﷺ [فذكر من لونه وشعره شيئًا لم يحفظه داود] واضعًا إصبعيه في أذنيه، له جؤار إلىٰ الله بالتلبية، مارًّا بهذا الوادي).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعده: «فنعته النبي ﷺ فإذا رجل - حسبته قال: مضطرب - رَجِل الرأس، كأنه من رجال شنوءة».

قوله: (داود):

ش/ هو [داود بن أبي هند القشيري مولاهم، أبو بكر أو أبو محمد البصري، ثقة، متقن كان يهم بأخرة، من الخامسة، مات سنة أربعين «ومئة» وقيل قبلها خ ت م ٤][(٣)].

وعند ابن ماجه: «كأني أنظر إلىٰ موسىٰ ﷺ - فذكر من طول شعره شيئًا لا يحفظه داود - واضعًا إصبعيه في أذنيه، له جؤار إلىٰ الله بالتلبية مارًّا بهذا الوادي»[(٤)].

---

(١) سنن ابن ماجه في المناسك، باب الحج علىٰ الرحل (٢/ ٩٦٥) رقم (٢٨٩١).

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب الحج، باب الإحرام، ذكر الاستحباب للملبي عند التلبية إدخال الأصبعين في الأذنين (٩/ ١١٠) رقم (٣٨٠١).

(٣) تقريب التهذيب (ص: ٢٠٠).

(٤) سبق تخريجه.

وعند ابن حبان: «كأنما أنظر إلىٰ موسىٰ ينعت من طوله وشعره ولونه واضعًا أصبعيه في أذنيه، له جؤار إلىٰ الله تعالىٰ بالتلبية مارًّا بهذا الوادي»(١).

وعنده من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله ﷺ قال: «كأني أنظر إلىٰ موسىٰ بن عمران منهبطًا من ثنية هرشىٰ ماشيًا»(٢).

ش/ قلت: ويبدو لي أن النبي ﷺ أُري موسىٰ ﷺ حاجًا مارًّا بالموضعين، ولعلهما في طريق واحد.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: «ثم سرنا حتىٰ أتينا علىٰ ثنية، فقال: أي ثنية هذه؟ قالوا: هرشىٰ أو لفت. فقال: كأني أنظر إلىٰ يونس علىٰ ناقة حمراء عليه جبة صوف، خطام ناقته ليف خلبة، مارًّا بهذا الوادي ملبيًا»**، وكذا عند ابن ماجه.

وعند ابن حبان: «ثم نفذنا الوادي حتىٰ أتينا - قال داود: أظنه ثنية هرشىٰ، قال: «**أي ثنية هذه؟**» فقلنا: ثنية هرشىٰ. قال: «**كأنما أنظر إلىٰ يونس علىٰ ناقة حمراء، خطام الناقة خلبة، عليه جبة له من صوف يهل نهارًا بهذه الثنية ملبيًا**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب التاريخ، باب بدء الخلق ذكر وصف المصطفىٰ ﷺ تلبية موسىٰ كليم الله جَلَّوَعَلَا، ورميه الجمار في حجته - صلوات الله علىٰ نبينا وعليه - (٩/ ٧١) رقم (٣٧٥٥).

(٣) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان كتاب الحج، باب الإحرام، ذكر الاستحباب للملبي عند التلبية إدخال الأصبعين في الأذنين (٩/ ١١٠) رقم (٣٨٠١).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (عن أبي هريرة).**

ش/ صحابي مشهور بكنيته وتقدمت ترجمته.

وسوف يأتي شرح حديث أبي هريرة في باب: «صلىٰ النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام».





الباب الرابع والخمسون

باب: في ذكر النبي ﷺ المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والدجال

الحديث الثمانون

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ذكر رسول الله ﷺ يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنىٰ، كأن عينه عنبة طافية». قال: وقال رسول الله ﷺ: «أُراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترىٰ من أدم الرجال، تضرب لمته[1] بين منكبيه، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعًا يديه علىٰ منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم. ورأيت وراءه رجلًا جعدًا قططًا أعور عين اليمنىٰ كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعًا يديه علىٰ منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال».

وقال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا أنس - يعني: ابن عياض -، عن

(١) اللمة: ما يلم بالمنكبين من الشعر، والوفرة: أقل من اللمة، وهي ما لا يجاوز الأذنين.

موسىٰ - وهو ابن عقبة -، عن نافع قال: قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفيه ست مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (ذكر رسول الله ﷺ يومًا بين ظهراني الناس المسيح الدجال).

ولهما من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فخطب رسول الله ﷺ الناس، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد: ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتىٰ الجنة والنار، وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبًا أو مثل فتنة المسيح الدجال»[1].

ولهما أيضًا من رواية مالك: «وإذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنىٰ كأنها عنبة طافية، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح الدجال»[2].

وفي الصحيح من رواية عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم ذكر المسيح الدجال، فأطنب في ذكره»[3].

---

(١) البخاري، في العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس (١/ ٢٨) رقم (٨٦)، ومسلم في الكسوف، باب ما عرض علىٰ النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٦٣٤) رقم (٩٠٥).

(٢) البخاري، في اللباس، باب الجعد (٧/ ١٦١) رقم (٥٩٠٢)، ومسلم كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١/ ١٥٤) رقم (١٦٩).

(٣) البخاري، في المغازي، باب حجة الوداع (٥/ ١٧٦) رقم (٤٤٠٢).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنىٰ، كأن عينه عنبة طافية[(١)]).**

ش/ وفيه دليل علىٰ إثبات صفة العينين لله عَزَّوَجَلَّ؛ وإيضاحه: وصف المسيح الدجال بأنه أعور، والأعور من لا يبصر إلا بعين واحدة، وهو عيب ينزه الله تعالىٰ عنه.

فائدة:

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**الدجال**: وهو لغةً صيغة مبالغة من الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعًا: رجل مموِّه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية][(٢)].

قال مقيده: واعلم - هديت الرشد - أن الأحاديث في خبر عدو الله المسيح الدجال متواترة تواترًا معنويًّا يوجب العلم والعمل.

وعلىٰ سبيل المثال: انظر «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]، وانظر «شرح الطحاوية» تحقيق أحمد شاكر[(٤)]، وانظر «قصة المسيح

(١) أي: ناتئة.

(٢) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد ص (١٠٥).

(٣) (١٠/ ٣٣٢).

(٤) ص (٣٣٤).

الدجال ونزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ» للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وأجمع المسلمون علىٰ خروج المسيح الدجال، ووجوب الإيمان به، وأنه من علامات الساعة الكبار.

۞ المسألة الثالثة: قوله: (أُراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترىٰ من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماءً، واضعًا يديه علىٰ منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم).

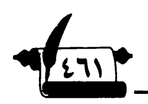
ولهما من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أن رسول الله ﷺ قال: أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم، قد رجَّلها، تقطر ماءً، متكئًا علىٰ رجلين أو علىٰ عواتق رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح ابن مريم**»[٢].

وعند مسلم من رواية حنظلة عن سالم عن ابن عمر، ورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مثله عند أحمد: «**أن رسول الله ﷺ قال: رأيت عند الكعبة رجلًا آدم سبط الرأس، واضعًا يديه علىٰ رجلين، يسكب رأسه أو يقطر رأسه، فسألت: من هذا؟ فقالوا: عيسىٰ**

---

(١) ص (٥٠ - ١١٧).

(٢) البخاري، في التعبير، باب رؤيا الليل (٩/ ٣٣) رقم (٦٩٩٩)، مسلم كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١/ ١٥٤) رقم (١٦٩).



ابن مريم أو المسيح ابن مريم لا ندري أي ذلك»[١].

ش/ قال مقيده: وهذه رؤيا منامية، ورؤىٰ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حق، وليست كرؤىٰ البشر.

واعلم - هدانا الله وإياك إلىٰ مراشد الأمور - أن الأحاديث في خبر المسيح ابن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونزوله، ووجوب الإيمان به، متواترة.

وعلىٰ سبيل المثال: انظر «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، وانظر «شرح الطحاوية» تحقيق أحمد شاكر[٣]، وانظر «قصة المسيح الدجال ونزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ» للألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤].

فائدة:

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [نزول عيسىٰ ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[٥].

أي: موت عيسىٰ، وهذا حين نزوله، كما فسره أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك.

وقال النبي ﷺ: «والله لينزلن عيسىٰ ابن مريم حكمًا وعدلًا» الحديث متفق عليه.

---

(١) مسلم كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١/ ١٥٤) رقم (١٦٩)، ومسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٢/ ٢٢) رقم (٤٧٤٣).

(٢) (١٠/ ٤٠٥).

(٣) ص (٣٣٤).

(٤) (٩٤ - ١٤٦).

(٥) [النساء: ١٥٩].

وقد أجمع المسلمون علىٰ نزوله. فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق، واضعًا كفيه علىٰ أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتىٰ يدركه بباب لُدّ فيقتله، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في «صحيح مسلم»، وبعضه في الصحيحين كليهما.

وروىٰ **الإمام أحمد وأبو داود**: أن عيسىٰ يبقىٰ بعد قتل الدجال أربعين سنة، ثم يتوفىٰ، ويصلي عليه المسلمون.

وذكر **البخاري في تاريخه**: أنه يدفن مع النبي ﷺ، فالله أعلم][1].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (ورأيت وراءه رجلًا جعدًا قططًا[2] أعور عين اليمنىٰ).**

ش/ تقدم شرحه.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (كأشبه من رأيت من الناس بابن قَطَن).**

وعند البخاري من رواية الزهري عن سالم: «**وأقرب الناس به شبهًا ابن قطن**». قال الزهري: «رجل من خزاعة هلك في الجاهلية»[3].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد ص (١٠٦ - ١٠٧).

(٢) بفتح الطاء الأولىٰ وبكسرها، وهو شديد الجعودة.

(٣) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٤/ ١٦٧) رقم (٣٤٤١).

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قلت: اسمه عبد العزىٰ بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائذ بن مالك بن المصطلق، وأمه هالة بنت خويلد، أفاده الدمياطي][(١)].

تنبيه:

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قال رسول الله ﷺ ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة»[(٢)] الحديث.

وفيه دليل علىٰ تحريم دخول مكة والمدينة - شرفهما الله - علىٰ الدجال، وهذا يعارض في الظاهر حديث الباب وما في معناه.

وما أحسن ما قاله الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أن قوله ﷺ: «**إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة**» أي: في زمن خروجه، ولم يُرِد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي، والله أعلم][(٣)].

قال مقيده: وهذا جمعٌ حسن؛ تتفق به الأحاديث ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٨٨).

(٢) البخاري، في الحج، باب لا يدخل الدجال المدينة (٣/ ٢٢) رقم (١٨٨١)، مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة (٤/ ٢٢٦٥) رقم (٢٩٤٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٤٨٩).

وفي هذا الباب كلام نفيس ماتع ننقله لك من «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**ومما ينبغي أن يعرف**: أن الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح كما بشرت بمحمد، وكذلك أنذرت بالمسيح الدجال، والأمم الثلاثة - المسلمون واليهود والنصارىٰ - متفقون علىٰ أن الأنبياء أنذرت بالمسيح الدجال وحذرت منه، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته المسيح الدجال حتىٰ نوح أنذره أمته، وسأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لأمته: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (ك ف ر) يقرأه كل مؤمن قارئ وغير قارئ**».

والأمم الثلاثة متفقون علىٰ أن الأنبياء بشروا بمسيح من ولد داود، فالأمم الثلاثة متفقون علىٰ الإخبار بمسيح هدًىٰ من نسل داود ومسيح ضلالة، وهم متفقون علىٰ أن مسيح الضلالة لم يأتِ بعد، ومتفقون علىٰ أن مسيح الهدىٰ سيأتي أيضًا، ثم المسلمون والنصارىٰ متفقون علىٰ أن مسيح الهدىٰ هو عيسىٰ ابن مريم، واليهود ينكرون أن يكون هو عيسىٰ ابن مريم مع إقرارهم بأنه من ولد داود؛ قالوا: لأن المسيح المبشر به تؤمن به الأمم كلها. وزعموا أن المسيح ابن مريم إنما بعث بدين النصارىٰ وهو دين ظاهر البطلان، والنصارىٰ تقر بأن المسيح مسيح الهدىٰ بعث، ومقرون بأنه سيأتي مرة ثانية، لكن يزعمون أن هذا الإتيان الثاني هو يوم القيامة ليجزي الناس بأعمالهم، وهو في زعمهم هو الله، والله الذي هو اللاهوت يأتي في ناسوته، كما زعموا أنه جاء قبل ذلك.

وأما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الأنبياء علىٰ وجهه، وهو موافق لما أخبر به خاتم الرسل، حيث قال في الحديث الصحيح: «**يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، وإمامًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**».

وأخبر في الحديث الصحيح أنه: «**إذا خرج مسيح الضلالة الأعور الكذاب نزل عيسىٰ ابن مريم علىٰ المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعًا يديه علىٰ منكبي ملكين، فإذا رآه الدجال انماع كما ينماع الملح في الماء، فيدركه فيقتله بالحربة عند باب لُدٍّ الشرقي علىٰ بضع عشرة خطوات منه، وهذا تفسير قوله تعالىٰ**: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾» أي: يؤمن بالمسيح قبل أن يموت حين نزوله إلىٰ الأرض، وحينئذ لا يبقىٰ يهودي ولا نصراني، ولايبقىٰ إلا دين الإسلام، وهذا موجود في نعته عند أهل الكتاب][1].

❁ المسألة السادسة: قوله: (واضعًا يديه علىٰ منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا المسيح الدجال).

ش/ تقدم معناه.

قال مقيده: وقد تحصل لديَّ من خلال ما وقفت عليه من أخبار عدو الله المسيح الدجال المتواترة ما يأتي:

أولًا: أنه أعور العين اليمنىٰ كأنها عنبة طافية.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٢٥٠ - ٢٥٣).

ثانيًا: أن الله يخرجه آخر الزمان امتحانًا للعباد؛ حتىٰ يتميز ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب.

ثالثًا: أنه يجوب الأرض كلها، إلا مكة والمدينة؛ فهما محروستان منه.

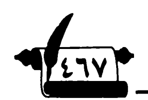
رابعًا: أنه يطوف الأرض مسرعًا كأنه غيث استدبرته الريح.

خامسًا: أنه يمكث أربعين يومًا؛ يوم كشهر ويوم كجمعة ويوم كسائر الأيام.

سادسًا: أنه يحمل معه جنة ونارًا فمن مات ممن أجابه أدخله جنته وهي نارٌ عليه، ومن قتله ممن ردَّه أدخله ناره وهي جنة عليه.

سابعا: أنه يدركه عبد الله ورسوله المسيح ابن مريم ﷺ عند باب لُدّ فيقتله.







الباب الخامس والخمسون

بابٌ: صلى النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام

الحديث الحادي والثمانون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُرِبت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي فإذا رجل ضرب[1] جعد، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه -، فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال».

---

(١) الضرب من الرجال: الخفيف اللحم الممشوق المستدق.

وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا حجين بن المثنىٰ، حدثنا عبد العزيز - وهو ابن أبي سلمة -، عن عبد الله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب ثمان مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها).

وعند أحمد عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال رسول الله ﷺ: «**فقمت في الحجر حين كذبني قومي**»(١) [قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين].

وعند أبي عوانة: «**لما كذبتني قريش حين أسري بي إلىٰ بيت المقدس قمت في الحجر**»(٢).

وفي السيرة: [فلما أصبح غدا علىٰ قريش فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس: هذا والله الإمر البين، والله إن العير لتطرد شهرًا من مكة إلىٰ الشام مدبرة وشهرًا مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلىٰ مكة؟! قال: فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلىٰ أبي بكر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك،

---

(١) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣/ ٣٧٧) رقم (١٥٠٧٧).

(٢) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، بيان غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم بعد ما أخرج من جوفه (١/ ١١٢) رقم (٣٤٠).

يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلىٰ فيه ورجع إلىٰ مكة!!

قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلىٰ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس. فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه «من الله» من السماء إلىٰ الأرض في ساعة من ليل أو نهار؛ فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل حتىٰ انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: **نعم**. قال: يا نبي الله، فصفه لي؛ فإني قد جئته][(١)].

ش/ والجمع بين هذه الروايات أن السؤال أولًا كان من قريش، ثم سأل من بعد أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واعلم أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس في شك من هذا الأمر، وإنما سؤاله من باب ليطمئن قلبي، كما قص الله عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[(٢)].

❁ المسألة الثانية: قوله: (فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به).

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: **«فرفع لي بيت المقدس حتىٰ جعلت**

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩).

(٢) [البقرة: ٢٦٠].

أنعت لهم آياته»[١].

وعند أبي عوانة: «**وأثنيت على ربي وسألته أن يمثل لي بيت المقدس، فرفع لي، فجعلت أنعت لهم آياته وأنا أنظر إليه**»[٢].

وفي السيرة: [قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت؛ أشهد أنك رسول الله. كلما وصف له منه شيئًا، قال: صدقت؛ أشهد أنك رسول الله. حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**وأنت يا أبا بكر: الصديق**». فيومئذ سماه الصديق][٣].

ش/ قال مقيده:

وفيه فائدتان:

إحداهما: تصديق الله نبيه ﷺ، وتفريج الكربة عنه حين حدث قريشًا بذكر أوصاف بيت المقدس، ولم يكن عرفه من قبل.

الثانية: منقبة من مناقب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجمة وفضائله التي لا تحصى، وهي تسمية النبي ﷺ إياه بالصديق.

---

(١) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣/ ٣٧٧) رقم (١٥٠٧٧).

(٢) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، بيان غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم بعد ما أخرج من جوفه رقم (١/ ١١٢) رقم (٣٤٠).

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٩).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء).**

وعند الحاكم والبزار من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثم دخلنا المسجد فنثرت لي الأنبياء من سمىٰ الله منهم ومن لم يسمِّ**»(١) قال عقبه: [وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ إلا حماد بن سلمة، عن أبي حمزة بهذا الإسناد، عن عبد الله].

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (فإذا موسىٰ قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة).**

وفي باب ذكر الأنبياء: «حين أسري بي لقيت موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنعته النبي ﷺ فإذا رجل - حسبته قال: مضطرب - رَجِل الرأس، كأنه من رجال شنوءة».

وعند الترمذي من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**عرض علي الأنبياء فإذا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة**»(٢).

وعند الشيخين، واللفظ لمسلم: «**مررت ليلة أسري بي علىٰ موسىٰ بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، رجل آدم طوال جعد، كأنه من رجال شنوءة**»(٣).

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الأهوال (٤/ ٦٤٨) رقم (٨٧٩٣)، ومسند البزار (٥/ ١٥) رقم (١٥٦٨).

(٢) جامع الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، في صفة النبي ﷺ (١/ ١٥٣) رقم (١٦٧).

(٣) البخاري، في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين. والملائكة في السماء آمين (٤/ ١١٦) رقم (٣٢٣٩)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٥١) رقم (١٦٥).

ش/ وقوله: «شنوءة».

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وشنوءة هو عبد الله بن كعب بن مالك بن نضر بن الأزد، وسمي شنوءة لشنآن كان بينه وبين قومه][١].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (وإذا عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي).

وفي باب ذكر النبي ﷺ الأنبياء - عليهم السلام -: «**ولقيت عيسىٰ** - فنعته النبي ﷺ - فإذا ربعة أحمر، **كأنما خرج من ديماس** - يعني: حمامًا -»[٢].

وعند البخاري من رواية محمد بن بشار، والمصنف من رواية عبد بن حميد: «**ورأيت عيسىٰ ابن مريم مربوع الخلق، إلىٰ الحمرة والبياض، سبط الرأس**»[٣].

وفي حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم والترمذي: «**ورأيت عيسىٰ ابن مريم، فإذا أقرب الناس من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود**»[٤].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٩٢).

(٢) الباب الثالث والخمسون.

(٣) البخاري، في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين. والملائكة في السماء آمين (٤/ ١١٦) رقم (٣٢٣٩)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٥١) رقم (١٦٥).

(٤) مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السموات وفرض الصلوات (١/ ١٥١) رقم (١٦٥)، والترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ، باب صفة النبي ﷺ (٥/ ٦٠٤) رقم (٣٦٤٩).

* **المسألة السادسة: قوله: (وإذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه -).**

وفي باب ذكر النبي ﷺ الأنبياء - عليهم السلام -: «**ورأيت إبراهيم - صلوات الله عليه؛ وأنا أشبه ولده به**».

وعند أحمد من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه: «**وعرض علي إبراهيم، قال: فإذا أقرب الناس شبهًا بصاحبكم**»(١) [قال محققه: صحيح، وهذا إسناد حسن].

* **المسألة السابعة: قوله: (فحانت الصلاة فأممتهم).**

وفي «الفتح» زاد في رواية يزيد بن أبي مالك، وأخرجها النسائي: «**ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء، فقدمني جبريل حتىٰ أممتهم**»(٢).

* **المسألة الثامنة: قوله: (فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه: فالتفت إليه، فبدأني بالسلام).**

ش/ قلت: يجوز أن القائل جبريل ﷺ أو غيره، وقد جاءت تسمية خازن النار عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمالك في القرآن الكريم: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾(٣).

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٥٢٨) رقم (١٠٨٤٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٩٩)، والنسائي في الصغرىٰ في الصلاة، باب فرض الصلاة (١/ ١٢٢) رقم (٤٥٠).

(٣) [الزخرف: ٧٧].

وفي قوله: «**فبدأني بالسلام**». البادي هو مالك ﷺ، وفيه الحث علىٰ البدء بالسلام حين اللقاء.

من فقه الحديث:

في صلاته ﷺ بالأنبياء إظهار لشرفه وفضله.







الباب السادس والخمسون

بابٌ: انتهاء النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى في الإسراء

الحديث الثاني والثمانون

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهىٰ وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها. قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾(١)، قال: فراش من ذهب. قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا: أُعطي الصلوات الخمس، وأُعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات.

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «في ذكر سدرة المنتهىٰ».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا مالك بن مغول (ح) وحدثنا ابن نمير وزهير بن حرب؛ جميعًا عن عبد الله بن نمير - وألفاظهم متقاربة -، قال ابن نمير: حدثنا أبي، حدثنا مالك بن مغول، عن الزبير بن عدي،

---

(١) [النجم: ١٦].

عن طلحة عن مرة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ش/ تقدم ضمن باب الإسراء، وفيه هاهنا مسألتان:

❁ المسألة الأولى: قوله: (فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثًا).

وفي الترمذي من رواية ابن مسعود: «**فأعطاه الله عندها ثلاثًا لم يعطهن نبيًّا كان قبله**»[1].

❁ المسألة الثانية: قوله: «أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا المقحمات».

ش/ «**المقحمات**» بكسر الحاء المهملة، أي: الذنوب الكبائر التي تقحم أصحابها وتوردهم النار.

وعند النسائي من حديث ابن عباس: «**أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفًا منهما إلا أعطيته**»[2].

وعند الترمذي: «**فرضت عليه الصلاة خمسًا وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لأمته المقحمات ما لم يشركوا بالله شيئًا**»[3].

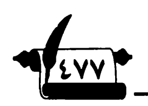
وعند أحمد: «**أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنز من تحت العرش، لم**

---

(١) جامع الترمذي في تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب من سورة النجم (٥/ ٣٩٣) رقم (٣٢٧٦).

(٢) سنن النسائي الصغرىٰ، كتاب الافتتاح، باب فضل فاتحة الكتاب (٢/ ١٣٨) رقم (٩١٢).

(٣) سبق تخريجه.



يعطهن نبي قبلي»(١) صحيح لغيره.

وعند أبي عوانة: «أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة ويغفر لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا المقحمات»(٢).

ش/ قال مقيده: واعلم أن هذا مقيدٌ بقيد؛ وهو أن مغفرة الله للكبائر لمن لقي الله عليها مقيدٌ بالمشيئة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٣).

تنبيه:

وعند الشيخين عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس كافة، وأُعطيتُ الشفاعة».**

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[لكن روىٰ مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«فضلت علىٰ**

---

(١) مسند أحمد، حديث المشايخ عن أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٥/ ١٥١) رقم (٢١٣٨٢).

(٢) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب بيان غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم بعد ما أخرج من جوفه (١/ ١١٥) رقم (٣٤٥).

(٣) [النساء: ٤٨].

الأنبياء بست»، فذكر أربعًا من هذه الخمس، وطريق الجمع أن يقال: لعله اطلع أولًا علىٰ بعض ما اختص به، ثم اطلع علىٰ الباقي، ومن لا يرىٰ مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله...].

إلىٰ أن قال: [تكميل: أول حديث أبي هريرة هذا: «**فضلت علىٰ الأنبياء بست**»، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد خصلتين وهما: «**وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون**» فتحصل منه. ومن حديث جابر سبع خصال. ولمسلم أيضًا من حديث حذيفة: «**فضلنا علىٰ الناس بثلاث خصال: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة**»، وذكر خصلة الأرض - كما تقدم -. قال: وذكر خصلة أخرىٰ، وهذه الخصلة المبهمة بينها ابن خزيمة والنسائي، وهي: «**وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش**».

يشير إلىٰ ما حطه الله عن أمته من الإصر وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعًا. ولأحمد من حديث علي: «**أعطيت أربعًا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم**»، وذكر خصلة التراب؛ فصارت الخصال اثنتي عشرة خصلة. وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة، رفعه «**فضلت علىٰ الأنبياء بست: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه**»، وذكر ثنتين مما تقدم. وله من حديث ابن عباس، رفعه «**فضلت علىٰ الأنبياء بخصلتين: كان**

شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه فأسلم»، قال: ونسيت الأخرىٰ. قلت: فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة. ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع. وقد تقدم طريق الجمع بين هذه الروايات، وأنه لا تعارض فيها. وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب «شرف المصطفىٰ» أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة][1] اهـ محل الغرض من «الفتح».

ش/ قال عبيد: ما أحسن هذا التقرير وأجمله، فرحم الله الحافظ وجزاه عن الإسلام خيرًا.



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٤٣٦ - ٤٣٩).



الباب السابع والخمسون

باب: في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

❁ **شرح آية الترجمة:**

ش/ قلت: وقبلها ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾(١).

[**يقول - تعالىٰ ذكره -:** ثم دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلىٰ إليه، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو ثم تدلىٰ فدنا، ولكنه حَسُنَ تقديم قوله: ﴿دَنَا﴾؛ إذ كان الدنو يدل علىٰ التدلي والتدلي علىٰ الدنو، كما يقول: زارني فلان فأحسن، وأحسن إلي فزارني، وشتمني فأسأء وأساء فشتمني. لأن الإساءة هي الشتم والشتم هو الإساءة] قاله ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

وأخرجه عن الحسن وقتادة والربيع بن أنس، وأخرج عن ابن عباس وأنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: أن المعني بذلك: ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلىٰ.

وقوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾. أي: فاقترب جبريل إلىٰ محمد لما هبط عليه إلىٰ الأرض حتىٰ كان بينه بين محمد ﷺ قاب قوسين؛ أي بقدرهما إذا مدا. قاله

(١) [النجم: ٨، ٩].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢/ ٥٠٣).

مجاهد وقتادة.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾. هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١).

أي: ما هي بألين من الحجارة، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة، وكذا قوله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾(٢).

الحديث الثالث والثمانون

عن الشيباني قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾. **قال: أخبرني ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن النبي ﷺ رأىٰ جبريل له ست مائة جناح».**

الحديث الرابع والثمانون

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٣)**، قال: «رآه بفؤاده مرتين».**

التخريج:

أولًا: حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أخرجه المصنف في باب: «ذكر سدرة المنتهىٰ».

---

(١) [البقرة: ٧٤]. (٢) [النساء: ٧٧]. (٣) [النجم: ١١]، [النجم: ١٣].

قال: حدثني أبو الربيع الزهراني، حدثنا عباد وهو ابن العوام، حدثنا الشيباني قال: سألت زر بن حبيش، فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج؛ جميعًا عن وكيع، قال الأشج: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زياد بن الحصين أبي جهمة، عن أبي العالية، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفي الباب أربع مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (الشيباني).

ش/ هو [سليمان بن أبي سليمان فيروز أبو إسحاق الشيباني الكوفي، ثقة من الخامسة، مات في حدود الأربعين «بعد المئة» ع][1].

❁ المسألة الثانية: قوله: (سألت زر بن حبيش).

وعند البخاري في تفسير سورة النجم: «سمعت زرًّا»[2].

وعنده بعد هذا برواية زائدة قال: «سألت زرًّا عن قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ٢٥٢).

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٦/ ١٤١) رقم (٤٨٥٦).

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾»[(١)].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (أخبرني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأىٰ جبريل له ست مائة جناح).

وعند البخاري في التفسير: «حدثنا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأىٰ جبريل له ست مائة جناح»[(٢)].

وعند المصنف من رواية عبيد الله بن معاذ العنبري: «رأىٰ جبريل في صورته، له ستمائة جناح»[(٣)].

❁ المسألة الرابعة: قوله: (عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، قال: (رآه بفؤاده مرتين)).

وعند الشيخين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية، قلت: ما هن؟»، فذكر الحديث وفيه: **«إنما هو جبريل لم أره علىٰ صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض»**[(٤)] الحديث.

(١) البخاري، في التفسير، باب قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (٦/ ١٤١) رقم (٤٨٥٧).

(٢) نفس الموضعين السابقين.

(٣) مسلم في الإيمان، باب ذكرة سدرة المنتهىٰ (١/ ١٥٨) رقم (١٧٤).

(٤) البخاري، في التفسير، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [ق: ٣٨]، ومسلم باب معنىٰ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وهل رأىٰ النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء (١/ ١٥٩) رقم (١٧٧).

تنبيه:

[جاء عن ابن عباس في أكثر الروايات عنه وأبي صالح والربيع: أن رسول الله ﷺ رأىٰ ربه بقلبه ليلة الإسراء، أخرجه عنهم جميعًا ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وروىٰ مسلم: باب معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ عن عطاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رآه بقلبه». وفي لفظ له من طريق أبي العالية: «رآه بفؤاده مرتين».

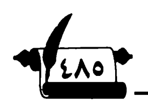
فالجمع بين هذه الأحاديث وحديث الباب: بحمل النفي في حديث عائشة علىٰ رؤية البصر، والإثبات في حديث ابن عباس وغيره علىٰ رؤية القلب][1].

قال مقيده: فإياك إياك - أيها الناصح لنفسه، الحازم في أمره، الناشد للحق، وهو ضالته أين نشده وجده - أن تغتر بقول من يقول: «اختلف الصحابة في العقيدة. فهذا والله غاية الكذب، وهي دعوة إلىٰ الضلال، وقد رددت عليه في رسالة سميتها: «التقرر المبين بكشف إجمالاتٍ لابن الأمين».



---

(١) إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري (٤/ ٥٥).





الباب الثامن والخمسون

باب: في رؤية الله جَلَّجَلَالُهُ

❁ **شرح الترجمة:**

قال مقيده: والحديث في هذه المسألة الكبيرة العظيمة التي هي ضمن الأصول التي يدين بها لله أهل السنة يتضمن خمسة أمور:

الأول: في الأدلة من السنة، كما ذكر المنذري.

الثاني: أدلة هذه المسألة من الكتاب العزيز.

الثالث: في مواطن الرؤية.

الرابع: في حجج منكري رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، مع الرد عليها.

الخامس: كلام نفيس لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **الأمر الأول: في الأدلة من السنة حسب ما ذكره المؤلف:**

الحديث الخامس والثمانون

عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن

محمدًا ﷺ رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية. قال: وقد كنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾(١)، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٢)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لم أره علىٰ صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلىٰ الأرض. فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٣)؟ أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ إلىٰ قوله: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٤)؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾(٥). قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم علىٰ الله الفرية والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾(٦).

وزاد داود: قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ﴾(٧).

---

(١) [التكوير: ٢٣].
(٢) [النجم: ١٣].
(٣) [الأنعام: ١٠٣].
(٤) [الشورىٰ: ٥١]
(٥) [المائدة: ٦٧].
(٦) [النمل: ٦٥].
(٧) [الأحزاب: ٣٧].

الحديث السادس والثمانون

عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية: النار - لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه».

الحديث السابع والثمانون

أن أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أخبره أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه.

فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه.

ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم

يومئذ إلا الرسل، ودعوىٰ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم.

وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن بقي بعمله، ومنهم المجازىٰ حتىٰ يُنَجَّىٰ، حتىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار؛ أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالىٰ أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا الله. فيعرفونهم في النار؛ يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السجود.

فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالىٰ من القضاء بين العباد، ويبقىٰ رجل مقبل بوجهه علىٰ النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل علىٰ الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني إلىٰ باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب. ويدعو الله حتىٰ يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن

تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق؛ فيقدمه إلىٰ باب الجنة، فإذا قام علىٰ باب الجنة انفهقت له الجنة؛ فرأىٰ ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة. فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيتَ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب، لا أكون أشقىٰ خلقك. فلا يزال يدعو الله حتىٰ يضحك الله عَزَّوَجَلَّ منه، فإذا ضحك الله تعالىٰ منهُ، قال: ادخل الجنة. فإذا دخلها قال الله له: تمنَّه. فيسأل ربه ويتمنىٰ، حتىٰ إن الله ليذكِّره من كذا وكذا، حتىٰ إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالىٰ: ذلك لك ومثله معه.

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا، حتىٰ إذا حدَّث أبو هريرة: أن الله قال لذلك الرجل: «ومثله معه»، قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: «ما حفظت إلا قوله: ذلك لك ومثله معه»، قال أبو سعيد: «أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله»، قال أبو هريرة: «وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا الجنة».

التخريج:

أولًا: حديث مسروق أخرجه المصنف في باب: «في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن الله لا ينام»، وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه».

وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود، عن

الشعبي، عن مسروق؛ فذكره.

ثانيًا: حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه في نفس الباب السابق.

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب؛ قالا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثالثًا: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه في باب: «معرفة طريق الرؤية».

وقال: حدثني زهير بن حرب، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي؛ أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره؛ فذكره.

- **وفي الباب ستٍ وثلاثون مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (عن مسروق).

ش/ هو [مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي، ثقة فقيه عابد، مخضرم من الثانية، مات سنة اثنتين ويقال: سنة ثلاث وستين ع][(١)].

❁ المسألة الثانية: قوله: (يا أبا عائشة، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية).

وفي رواية إسماعيل عن الشعبي: «سألت عائشة: هل رأىٰ محمد ﷺ ربه؟ فقالت: سبحان الله! لقد قَفَّ شعري لما قلت»[(٢)].

---

(١) تقريب التهذيب (٢/ ٥٢٨).

(٢) مسلم في الإيمان، باب معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١/ ١٦٠) رقم (١٧٧).

وفي البخاري: «قلت لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: يا أمتاه، هل رأىٰ محمد ﷺ ربه؟»، وأيضًا: «أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب»(١).

ش/ والجمع بينها: أنه سألها فأجابته مبتدئة بالسؤال مع التسبيح تعظيمًا للأمر.

* **المسألة الثالثة: قوله: (قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية).**

وعند البخاري: «من حدثك **أن محمدًا** ﷺ رأىٰ ربه؛ فقد كذب»(٢).

* **المسألة الرابعة: قوله: (وقد كنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني).**

ش/ والمعنىٰ: أن كلام أم المؤمنين وقع منه موقعًا فهاله الأمر، فاستعطفها بقوله: «يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني»، وهذا غاية في تأدب مسروق رَحِمَهُٱللَّهُ مع الصديقة أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وطلبه منها الرفق به.

* **المسألة الخامسة: قوله: (ألم يقل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟).**

ش/ وهذا الاستفسار من مسروق صريح في أنه فهم من الآيتين رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء.

---

(١) البخاري، في تفسير القرآن، وقال مجاهد: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ (٦/ ١٤٠) رقم (٤٨٥٥).

(٢) نفس المصدر السابق.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ؛ فقال: إنما هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين؛ رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض).**

ش/ في هذا الجواب ما يزيل عن مسروق ما فهمه من الآيتين السابقتين.

وفيه فائدة أخرى: وهي أن الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فهمت ما فهمه مسروق من الآيتين.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فقالت: أوَلم تسمع أن الله يقول:** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾).

وعند البخاري: «ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾».

ش/ قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: [اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾، فقال بعضهم: «معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها»][1] وأخرج في هذا المعنى عن ابن عباس وغيره.

وقوله ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: [الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٢/ ١٣)

السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن. ومن لطفه: أنه يسوق عبده إلىٰ مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعىٰ فيها، ويوصله إلىٰ السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب؛ حتىٰ أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها؛ لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين](١).

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (أولم تسمع أن الله يقول:** ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا﴾ **إلىٰ قوله:** ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾)؟.

ش/ قلت: وتمام السياق: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

قوله: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هذه مقامات الوحي بالنسبة إلىٰ جناب الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أنه تعالىٰ تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئًا لا يتمارىٰ فيه أنه من الله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في «صحيح ابن حبان» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي: أن نفسًا لن تموت حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**».

وقوله: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم؛ فحُجِبَ عنها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٦٨)

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: «**ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا**» الحديث. وكان أبوه قد قُتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا][1].

قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [أو يرسل الله من ملائكته رسولًا، إما جبرائيل، وإما غيره، ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾؛ يقول: فيوحي ذلك الرسول إلىٰ المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي][2].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [﴿إِنَّهُۥ﴾ - تعالىٰ - عليُّ الذات، عليُّ الأوصاف عظيمها، عليُّ الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات.

حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع][3].

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول**: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢١٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٢١/ ٥٥٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٧٦٢).

مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

وعند البخاري: ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ الآية[1].

ش/ وفي هذه الآية نص صريح علىٰ أن رسول الله ﷺ بلَّغ إلىٰ الخلق ما أمره الله بتبليغه إياهم، فلم يزد عليه ولم ينقص منه، وبهذا ظهر قوة استدلال الصديقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا علىٰ قولها: «ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم علىٰ الله الفرية».

وتفسير هذه الآية: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية.

فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتىٰ صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبقَ خير إلا دل

---

(١) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] (٦/ ١٤٠) رقم (٤٨٥٥).

(٢) [المائدة: ٦٧].

أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: فما امتثلت أمره.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك علىٰ التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين؛ فإن نواصيهم بيد الله، وقد تكفل بعصمتك؛ فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدىٰ فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم، فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير؛ بسبب كفرهم][1].

❁ المسألة العاشرة: قوله: (قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم علىٰ الله الفرية، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾).

وعند البخاري: ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[2][3].

ش/ والجمع بين الروايتين: أن الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استدلت بكلتا الآيتين،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٣٩).

(٢) [لقمان: ٣٤].

(٣) سبق تخريجه.

فلعل بعض الرواة اقتصر علىٰ واحدة، واقتصر بعضهم علىٰ الأخرىٰ.

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (وزاد داود: قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية:** ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾).

ش/ قلت: داود هو ابن أبي هند، وإسنادها: حدثنا محمد بن المثنىٰ، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا داود بهذا الإسناد نحو حديث ابن علية: وزاد؛ فذكره.

ومعنى الآية:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وكان سبب نزول هذه الآيات: أن الله تعالىٰ أراد أن يشرع شرعًا عامًّا للمؤمنين: أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة من جميع الوجوه، وأن أزواجهم، لا جناح علىٰ من تبناهم في نكاحهن.

وكان هذا من الأمور المعتادة التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولًا من رسوله وفعلًا، وإذا أراد الله أمرًا جعل له سببًا، وكان زيد بن حارثة يدعىٰ «زيد بن محمد»، قد تبناه النبي ﷺ فصار يدعىٰ إليه حتىٰ نزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾، فقيل له: «زيد بن حارثة».

وكانت تحته زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكان قد وقع في قلب الرسول: لو طلقها زيد لتزوَّجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضىٰ أن

جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺ في فراقها.

قال الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق، حين جاءك مشاورًا في فراقها، فقلت له ناصحًا له ومخبرًا بمصلحته مع وقوعها في قلبك: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ أي: لا تفارقها، واصبر علىٰ ما جاءك منها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ تعالىٰ في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة؛ فإن التقوىٰ تحث علىٰ الصبر وتأمر به.

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: والذي أخفاه: أنه لو طلقها زيد؛ لتزوجها ﷺ.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ في عدم إبداء ما في نفسك ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ وأن لا تباليهم شيئًا.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ وإنما ذلك لفائدة عظيمة؛ وهي: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ حيث رأوك تزوجت زَوْج زيد بن حارثة الذي كان من قبل ينتسب إليك.

ولما كان قوله: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ عامًّا في جميع الأحوال، وكان من الأحوال ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها؛ قيد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع](١).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٦٦٥).

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات).

وفي رواية أبي بكر عن الأعمش قال «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات».

ش/ والجمع بينهما أن من عدَّ قوله: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام». جملتين قال: خمسًا. ومن عدَّهما جملة واحدة جعلها أربعًا.

واعلم أن تسمية الجملة ذات الكلمات بكلمة واحدة سائغ في العربية وفصيح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[1].

وفي الحديث عن عامر بن واثلة قال: سأل رجل عليًّا: هل كان رسول الله ﷺ يسر إليك بشيء دون الناس؟ فغضب علي حتىٰ احمر وجهه، وقال: ما كان يسر إلي شيئًا دون الناس، غير أنه حدثني بأربع كلمات»[2].

وفي الألفية:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم	واسم وفعل ثمّ حرف الكلم
واحده كلمة والقول عم	وكلمة بها كلام قد يؤم

والمعنىٰ: أن الكلمة الواحدة يقصد بها عدة كلمات.

❁ المسألة الثالثة عشرة: قوله: (لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام).

ش/ قلت: فيه نفي النوم عنه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من كمال قيوميته وإحاطته

(١) [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

(٢) السنن الصغرىٰ للنسائي في الضحايا، باب من ذبح لغير الله (٧/ ٢٣٢) رقم (٤٤٢٢).

بخلقه وتصريف أمورهم وتدبيرها، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[١].

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (يخفض القسط ويرفعه).**

وفي رواية ابن المثنىٰ وابن بشار: «**يرفع القسط ويخفضه**»[٢].

ش/ وكلتا العباراتين معناهما واحد.

وعند أحمد: «**ولكنه يخفض القسط ويرفعه**»[٣].

ش/ [**قال القاضي عياض**: قال الهروي: قال ابن قتيبة: القسط: الميزان، وسمي قسطًا؛ لأن القسط: العدل، وبالميزان يقع العدل، قال: والمراد: أن الله تعالىٰ يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة، ويوزن من أرزاقهم النازلة، وهذا تمثيل لما يقدر تنزيله؛ فَشُبِّه بوزن الميزان، وقيل: المراد بالقسط: الرزق الذي هو قسط كل مخلوق يخفضه؛ فيقتره، ويرفعه؛ فيوسعه] حكاه النووي[٤].

قال مقيده: قال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٥].

---

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) مسلم في الإيمان، باب في قوله ﷺ: (إن الله لا ينام) (١/ ١٦١) رقم (١٧٩).

(٣) مسند أحمد، مسند أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ٤٠٥) رقم (١٩٦٤٩).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ٣١٩).

(٥) [السجدة: ٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ أي: يتنزل أمره من أعلىٰ السموات إلىٰ أقصىٰ تخوم الأرض السابعة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾(١).

وترفع الأعمال إلىٰ ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾](٢).

قلت: فيتحصل من هذه الآية والحديث: إثبات صفة العلو لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وكمال قدرته وسعة علمه بمخلوقاته، وأنه متكفل بمخلوقاته، وأنه متكفل بتدبير أمورها، ومن ذلك رزق كل مخلوق، قال تعالىٰ: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾(٣).

۞ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل).

وفي رواية ابن المثنىٰ وابن بشار: «**ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل**

---

(١) [الطلاق: ١٢]. (٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٥٩). (٣) [هود: ٦].

بالنهار»[١].

ش/ وكلتا العبارتين بمعنًى.

قلت: وفيه فوائد:

إحداها: تأكيد لقوله ﷺ: «**يخفض القسط ويرفعه**».

الثانية: إثبات صفة علو الذات لله تعالىٰ وعلو القدر وعلو القهر، قال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[٤] الآية.

الثالثة: إحاطة علمه بأعمال عباده صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها، وأنه محصٍ ذلك كله، وهذا يقتضي أنه مجازٍ كلًّا بعمله، قال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٦].

۞ المسألة السادسة عشرة: قوله: (حجابه النور، وفي رواية: النار).

ش/ قوله: «حجابه النور».

وعند المصنف عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر: لو رأيتُ رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) [المعارج: ٤].
(٣) [فاطر: ١٠].
(٤) [الملك: ١٦].
(٥) [النجم: ٣١].
(٦) [الزلزلة: ٧، ٨].

لسألته، فقال: عن أي شيء كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألت؛ فقال: رأيت نورًا»[١].

وقول المنذري: «وفي رواية: النار».

وعند المصنف: «وفي رواية أبي بكر: **حجابه النار**».

ش/ والمعنىٰ: أن النبي ﷺ لم يرَ ربه ليلة أسري به، ولكن رأىٰ نورًا، هو حجابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه).

وعند ابن ماجه من رواية علي بن محمد: «**لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»، ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢][٣].

وعند ابن حبان: «**حجابه النور، لو كشف طبقها أحرق سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»[٤].

---

(١) مسلم في الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «نور أنىٰ أراه»، وفي قوله: «رأيت نورًا» (١/ ١٦١) رقم (١٧٨).

(٢) [النمل: ٨].

(٣) سنن ابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧١) رقم (١٩٦).

(٤) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان في الإيمان، باب ما جاء في الصفات، ذكر البيان بأن صفات الله تليق بجلاله جَلَّ وَعَلَا ولا تشبه صفات المخلوقين (١/ ٤٩٩) رقم (٢٦٦).

ش/ قلت: في هذه الروايات إثبات صفة الوجه لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي ﷺ؛ أنه كان إذا دخل المسجد؛ قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**»(٣). [قال الألباني: إسناده صحيح].

۞ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: هل نرىٰ ربَنا يوم القيامة؟).

وعند البخاري من رواية أبو اليمان: «أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟»(٤).

وعند الشيخين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن أناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: نعم»(٥).

---

(١) [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. (٢) [القصص: ٨٨].

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١/ ١٢٧) رقم (٤٦٦)، وصحيح وضعيف سنن أبي داود رقم (٤٦٦).

(٤) البخاري، في الأذان باب فضل السجود (١/ ١٦٠) رقم (٨٠٦).

(٥) البخاري، في التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] (٦/ ٤٤) رقم (٤٥٨١)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

وفي رواية عبد الرزاق عند أحمد: «قال الناس: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟»[١].

وعنده من رواية ربعي بن إبراهيم، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟»[٢].

۞ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله).

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**»[٣].

وعند الشيخين من حديث جرير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ نظر إلىٰ القمر ليلة البدر»[٤].

۞ المسألة الموفية العشرين: قوله: (هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله).

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها**

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٢٧٥) رقم (٧٧٠٣).

(٢) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ١٦) رقم (١١١٤٣).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البخاري، في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر (١/ ١١٩) رقم (٥٧٣)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩) رقم (٦٣٣).

سحاب؟ قالوا: لا»[١].

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟»**[٢].

وعند المصنف: **«هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله»**[٣].

❁ المسألة الحادية والعشرون: قوله: (فإنكم ترونه كذلك).

وعند البخاري: **«فإنكم ترونه كذلك»**[٤].

وفي حديث جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون - أو: لا تضاهون - في رؤيته»**[٥].

وعند الشيخين من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»**[٦].

وعند المصنف من رواية سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

(٤، ٥، ٦) سبق تخريجه.

«فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»(١).

ش/ قلت: فتحصل من هذه الروايات أن رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة محققة، والمقصود من قوله: **«كما ترون»** وما شابهها: تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي.

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه).

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: **«يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع»**(٢).

وعند أحمد من رواية هيثم: **«يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، ثم يقال: ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون»**(٣).

وعند البزار: **«يحبس الناس يوم القيامة، ثُمَّ يقال: من كان يعبد شيئًا فليتبعه»**(٤).

وعند المصنف من طريق سويد بن سعيد، والبخاري من حديث محمد بن عبد العزيز: **«إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد»**(٥).

ش/ والجمع عندي - والله أعلم - أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدعو عبادة مرة

---

(١) مسلم في الزهد والرقائق، بابٌ (٤/ ٢٢٧٩) رقم (٢٩٦٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٣٦٨) رقم (٨٨٠٣).

(٤) مسند البزار، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (١٤/ ٢٢٥) رقم (٧٧٩١).

(٥) سبق تخريجه.

بنفسه، ومرة تدعوهم الملائكة بأمره، فسبحان من له الخلق والأمر.

❁ **المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت).**

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «**فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت**»[١].

وعند أحمد من رواية هيثم: «**فيتمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب الصور صُورَه، ولصاحب النار ناره؛ فيتبعون ما كانوا يعبدون**»[٢].

❁ **المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون).**

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري من رواية محمد بن عبد العزيز والمصنف من رواية سويد بن سعيد: «**حتىٰ إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله تعالىٰ من بر وفاجر؛ أتاهم رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها**»[٣].

❁ **المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم).**

وعند أحمد من رواية هيثم: «**ويبقىٰ المسلمون، فيطلع عليهم رب العالمين**

(١، ٢، ٣) سبق تخريجه.

فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حتىٰ نرىٰ ربنا. وهو يأمرهم ويثبتهم، ثم يتوارىٰ، ثم يطلع فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك الله ربنا، وهذا مكاننا حتىٰ نرىٰ ربنا. وهو يأمرهم ويثبتهم. قالوا: وهل نراه يا رسول الله؟ قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا. قال: فإنكم لا تضارون في رؤيته تلك الساعة. ثم يتوارىٰ ثم يطلع فيعرفهم نفسه: أنا ربكم»(١).

ش/ قلت: وفي الكتاب الكريم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٢).

• **وإن قال قائل: هذه الآية نزلت في عذاب القبر، كما في «صحيح البخاري» عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟**

قلنا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلما كان القوم مع الله في الدنيا قد أطاعوه، بفعل ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه، إخلاصًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واتباعًا لنبيه ﷺ؛ أثابهم في أحلك موقف بتثبيته لهم، وفي الحديث الصحيح عند الحاكم وغيره عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في**

(١) سبق تخريجه.

(٢) [إبراهيم: ٢٧].

الشدة»[(١)]، قال عقبه: [هذا حديث كبير عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إلا أن الشيخين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين، وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا].

قال مقيده: فلله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفضل والنعمة والثناء الحسن، فإنه لا يرد من اعتمد عليه خائبًا.

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: فارقنا الناس في الدنيا علىٰ أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا. مرتين أو ثلاثًا**»[(٢)].

وعند المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق؛ فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاءً ورياءً؛ إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر علىٰ قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا**»[(٣)].

---

(١) مستدرك الحاكم علىٰ الصحيحين، في معرفة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ذكر عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٣/ ٦٣٢) رقم (٦٣٠٣).

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] (٦/ ٤٤) رقم (٤٥٨١).

(٣) تقدم تخريجه.

ش/ قلت: وفي هذه الجملة إثبات صفة الساق لله عَزَّوَجَلَّ، وأنها هي العلامة بينه وبين عباده أولئك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت علىٰ أكثر من مائة تفسير؛ فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، إلا في مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1]، فروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وطائفة: أنهم عدوها في الصفات، للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين.

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل علىٰ أن هذه من الصفات، فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ في الإثبات، لم يضفها إلىٰ الله ولم يقل: عن ساقه. فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر][2].

وقال في نقض التأسيس: [الصحابة قد تنازعوا في تفسير هذه الآية: هل المراد به: الكشف عن الشدة، أو المراد: أنه يكشف الرب عن ساقه؟

ولم يتنازع الصحابة والتابعون فيما يذكر من آيات الصفات، إلا في هذه الآية، بخلاف قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[4]، ونحو ذلك، فإنه لم

---

(١) [القلم: ٤٢].
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٩٤، ٣٩٥).
(٣) [ص: ٧٥].
(٤) [الرحمن: ٢٧].

يتنازع فيها الصحابة والتابعون]، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة الله تعالىٰ - يعني قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ -؛ لأنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه. وإنما ذكر ساقًا نكرة غير معرَّفة ولا مضافة.

وهذا اللفظ بمجرده لا يدل علىٰ أنها ساق الله، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالىٰ أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المخرج في الصحيحين، الذي قال فيه: «**يكشف ربنا عن ساقه**»[1].

وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل علىٰ ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود، والسجود لا يصلح إلا لله، فعُلم أنه هو الكاشف عن ساقه.

وأيضًا فحَمْلُ ذلك علىٰ الشدة لا يصلح؛ لأن المستعمل في الشدة أن يقال: كشف الله الشدة - أي: أزالها - كما قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[2]، وقال: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

وإذا كان المعروف من ذلك في اللغة: أنه قال: كشف الشدة - أي: أزالها - فلفظ الآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، وهذا يراد به الإظهار والإبانة، وأيضًا هناك تحدث الشدة لا إزالتها، فلا تكشف الشدة يوم القيامة.

---

(١) البخاري، في التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] (٦/ ١٥٩) رقم (٤٩١٩)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

(٢) [الزخرف: ٥٠].

(٣) [المؤمنون: ٧٥].

لكن هذا الظاهر - من كون القرآن دالًّا علىٰ الصفة - ليس ظاهرًا من مجرد لفظة «ساق»؛ بل بالتركيب والسياق، وتدبر المعنىٰ المقصود.

❁ المسألة السادسة والعشرون: قوله: (فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوىٰ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم).

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: **«فيقولون: أنت ربنا. فيدعوهم، فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم؛ فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم»**(١).

❁ المسألة السابعة والعشرون: قوله: (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يَعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم المؤمن بقي بعمله، ومنهم المجازىٰ حتىٰ يُنَجَّىٰ).

وعند أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«فتخطف الناس بأعمالهم؛ فمنهم الموبَق بعمله، ومنهم المخردل»**(٢).

وعند المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«وقد تحول في صورته التي**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٧٥) رقم (٧٧٠٣).

رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر علىٰ جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم!! قيل: يا رسول الله، وما الجسر! قال: دحضٌ مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها: السعدان. فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[1].

❁ **المسألة الثامنة والعشرون:** قوله: (حتىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار؛ أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله تعالىٰ أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا الله. فيعرفونهم في النار؛ يعرفونهم بأثر السجود؛ تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود؛ حرم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السجود).

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «حتىٰ إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار؛ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله؛ فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السجود؛ فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود»[2].

وعنده من رواية عبد العزيز بن عبد الله: «حتىٰ إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار؛ أمر الملائكة أن يخرجوا من

(١، ٢) سبق تخريجه.

النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود؛ تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود؛ حرم الله علىٰ النار أن تأكل أثر السجود»(١).

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من رواية سويد بن سعيد: «حتىٰ إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده؛ ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله، في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون. فيقال لهم: أَخرِجوا من عرفتم. فتحرم صورهم علىٰ النار؛ فيُخرجون خلقًا كثيرًا، قد أخذت النار إلىٰ نصف ساقيه، وإلىٰ ركبتيه، ثم يقولون: ربنا، ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا؛ فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير؛ فأخرجوه. فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا، لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا؛ فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير؛ فأخرجوه. فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا. ثم يقول: ارجعوا؛ فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير؛ فأخرجوه. فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢)»(٣).

---

(١) البخاري، في التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٩/ ١٢٨)، رقم (٧٤٣٧).

(٢) [النساء: ٤٠].

(٣) سبق تخريجه.

❁ **المسألة التاسعة والعشرون: قوله: (وقد امتُحِشُوا، فيصب عليهم ماء الحياة؛ فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل).**

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «**قد امتُحِشُوا، فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة؛ فينبتون نبات الحبة في حميل السيل**»[١].

وأخرج المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من رواية نصر بن علي الجهضمي، «عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فأماتهم إماتة، حتىٰ إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا علىٰ أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**». فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»[٢].

ومن رواية هارون بن سعيد الأيلي: «**انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان؛ فأخرجوه فيخرجون منهًا حمما قد امتحشوا؛ فيلقون في نهر الحياة - أو الحيا -؛ فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلىٰ جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية؟!**»[٣].

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (٨/ ١١٧)، رقم (٦٥٧٣).

(٢) مسلم، في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ١٧٢)، رقم (١٨٥).

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ١٧٢)، رقم (١٨٤).

❁ المسألة الموفية ثلاثين: قوله: (ثم يفرغ الله تعالىٰ من القضاء بين العباد، ويبقىٰ رجل مقبل بوجهه علىٰ النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه).

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الآتي في الباب بعده: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك».

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقىٰ رجل بين الجنة والنار - وهو آخر أهل النار دخولًا الجنة، مقبل بوجهه قِبَل النار، فيقول: يا رب، اصرف وجهي عن النار؛ قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها»[1].

وعند أحمد من رواية عبد الرزاق: «ويبقىٰ رجل يقبل بوجهه إلىٰ النار، فيقول: أي رب، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها؛ فاصرف وجهي عن النار. فلا يزال يدعو الله»[2].

وعنده من رواية سليمان بن داود: «مقبل بوجهه علىٰ النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٢٧٥)، رقم (٧٧٠٣).

دخانها. فيدعو الله ما شاء أن يدعوه»[١].

❁ **المسألة الحادية والثلاثون: قوله: (ثم يقول الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله؛ فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل علىٰ الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت).**

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة؛ فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها. فيقول: لا، يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها».**

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: **«هل عسيت إن فُعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا، وعزتك. فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق؛ فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به علىٰ الجنة رأىٰ بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت»[٢].**

وعنده من رواية عبد العزيز بن عبد الله: **«هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟! فيقول: لا، وعزتك. لا أسألك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق**

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٢٩٣) رقم (٧٩١٤).

(٢) سبق تخريجه.

ما شاء؛ فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل علىٰ الجنة ورآها، سكت ما شاء الله أن يسكت»[(١)].

❁ المسألة الثانية والثلاثون: قوله: (ثم يقول: أي رب، قدمني إلىٰ باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟! ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب. ويدعو الله حتىٰ يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا، وعزتك. فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق، فيقدمه إلىٰ باب الجنة، فإذا قام علىٰ باب الجنة انفهقت[(٢)] له الجنة؛ فرأىٰ ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت).

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولىٰ، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟! فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها؛ فيستظل بظلها ويشرب من مائها».

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «ثم قال: يا رب، قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟! فيقول: يا رب، لا أكون أشقىٰ خلقك! فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي: انفتحت واتسعت.

تسأل غيره. فيقول: لا، وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق؛ فيقدمه إلىٰ باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأىٰ زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت»[1].

وفي رواية عبد العزيز بن عبد الله: «فرأىٰ ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت»[2].

وعند أحمد من رواية عبد الرزاق: «يا رب قربني إلىٰ باب الجنة. فيقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟! ويلك يا بن آدم! ما أغدرك! فلا يزال يدعو حتىٰ يقول: فلعلي إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟! فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره. ويعطي من عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غيره؛ فيقربه إلىٰ باب الجنة، فإذا دنا منها انفهقت له الجنة، فإذا رأىٰ ما فيها من الحبرة والسرور، سكت ما شاء الله أن يسكت»[3].

❁ المسألة الثالثة والثلاثون: قوله: (ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة. فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟! ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: أي رب، لا أكون أشقىٰ خلقك. فلا يزال يدعو الله حتىٰ يضحك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة. فإذا دخلها قال الله له: تمنه. فيسأل ربه ويتمنىٰ، حتىٰ إن الله ليُذَكِّرَه من كذا وكذا، حتىٰ إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالىٰ: ذلك لك ومثله معه).

(١، ٢، ٣) سبق تخريجه.

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه؛ لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟! قال: بلىٰ يا رب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها؛ فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني[1] منك! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني علىٰ ما أشاء قادر».

وعند البخاري من رواية سعيد بن المسيب: «فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا ابن آدم! ما أغدرك! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيت؟! فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقىٰ خلقك. فيضحك الله عَزَّوَجَلَّ منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ. فيتمنىٰ، حتىٰ إذا انقطع أمنيته قال الله عَزَّوَجَلَّ: من كذا وكذا. أقبل يذكره ربه، حتىٰ إذا انتهت به الأماني قال الله تعالىٰ: لك ذلك ومثله معه»[2].

---

(١) أي: يقطع مسألتك مني.

(٢) سبق تخريجه.

وفي رواية أبي اليمان: «**ثم يقول: رب أدخلني الجنة. ثم يقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟! ويلك يا ابن آدم! ما أغدرك! فيقول: يا رب لا تجعلني أشقىٰ خلقك. فلا يزال يدعو حتىٰ يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل له: تمنَّ من كذا. فيتمنىٰ، ثم يقال له: تمنَّ من كذا. فيتمنىٰ، حتىٰ تنقطع به الأماني فيقول له: هذا لك ومثله معه**»(١).

ش/ قلت: فيه إثبات صفة الضحك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي من الصفات الفعلية التي يثبتها أهل السنة، وفيها حديث: «**يضحك الله إلىٰ رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة.** فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: **يقاتل هذا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ فيُستشهد، ثم يتوب الله علىٰ القاتل؛ فيسلم، فيقاتل في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ فيُستشهد**»(٢) أخرجاه، واللفظ لمسلم.

۞ المسألة الرابعة والثلاثون: قوله: (قال عطاء بن يزيد).

ش/ هو [عطاء بن يزيد الليثي المدني، نزيل الشام، ثقة من الثالثة، مات سنة خمس أو سبع ومائة، وقد جاز الثمانين ع](٣).

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (٨/ ١١٧)، رقم (٦٥٧٣).

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيُسدد بعد ويُقتل (٤/ ٢٤) رقم (٢٨٢٦)، ومسلم كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣/ ١٥٠٤) رقم (١٨٩٠).

(٣) تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٢).

❁ **المسألة الخامسة والثلاثون: قوله: (وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يَرُدُّ عليه من حديثه شيئًا، حتىٰ إذا حدَّث أبو هريرة: أن الله قال لذلك الرجل: (ومثله معه)، قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: (ما حفظت إلا قوله: ذلك لك ومثله معه)، قال أبو سعيد: (أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله)، قال أبو هريرة: (وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا الجنة)).**

وعند البخاري من رواية أبي اليمان: «قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا. قال عطاء: وأبو سعيد الخدري جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئًا من حديثه، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله: «**هذا لك ومثله معه**»، قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هذا لك وعشرة أمثاله**»، قال أبو هريرة: حفظت: «**مثله معه**»»[1].

ش/ قلت: وقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما حفظت إلا قوله: «**ذلك لك ومثله معه**») لا يضر بحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأن كلًّا من الصحابيين حدث بما حفظه عن رسول الله ﷺ.

❁ **من فقه الأحاديث:**

أولًا: يجوز للمرء أن يسأل أهلِ العلم، وأنه لا بأس عليه إذا كان فهمه يستند إلىٰ دليل من الكتاب أو السنة وإن كان مخطئًا.

---

(١) سبق تخريجه.

ثانيًا: جواز التسبيح علىٰ سبيل الاستغراب أو الاستنكار، وهذا يفيده قول الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سبحان الله، لقد قَفَّ شعري».

ثالثًا: استعمال الرفق والتلطف مع من سأل قاصدًا للحق.

رابعًا: فيما يظهر من استنكار أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ مسروق سؤاله: هل رأىٰ النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ أنها لم تعلم بسؤال أبي ذر رسول الله ﷺ: «هل رأيت ربك؟» وقد مَرَّ.

خامسًا: إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تضافر عليه الكتاب والسنة الصحيحة المستفيضة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[2].

ومن السنة المستفيضة أحاديث الباب وما في معناها، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأجمع عليه أهل السنة.

وللدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة كتاب سمَّاه «الرؤية»، حققه أخونا الشيخ علي بن ناصر - حفظه الله -، فليراجعه من شاء.

سادسًا: إثبات الصراط، وأن مرور الناس عليه حسب أعمالهم، وقد أنكره القاضي عبد الجبار المعتزلي، وهو محجوجٌ بأحاديث الباب وما في معناها، وبمتواتر

(١) [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(٢) [المطففين: ٢٣].

السنة وإجماع أئمة العلم والإيمان والدين.

❁ **الأمر الثاني: الأدلة من الكتاب على مسألة الرؤية:**

- **أولًا: قال تعالىٰ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾(١).

ش/ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[يخبر تعالىٰ أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح؛ أبدله الحسنىٰ في الدار الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٞۖ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وزيادة علىٰ ذلك أيضًا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين.

وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلىٰ وجهه الكريم؛ فإنه زيادة أعظم من جميع ما أُعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته](٣).

- **ثانيًا: وقال تعالىٰ:** ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾(٤).

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ يقول تعالىٰ ذكره:

---

(١) [يونس: ٢٦].

(٢) [الرحمن: ٦٠].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٢).

(٤) [القيامة: ٢٢، ٢٣].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: يقول: حسنة جميلة من النعيم؛ يقال من ذلك: نضر وجه فلان: إذا حسن من النعمة، ونضَّر الله وجهه: إذا حسَّنه كذلك.

وأخرج في المعنىٰ عن مجاهد والحسن.

وقال: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنىٰ ذلك: أنها تنظر إلىٰ ربها.

وأخرج في المعنىٰ عن عكرمة والحسين بن واقد والحسن][1]. اهـ مع اختصار وتصرف.

- **ثالثًا: وقال تعالىٰ:** ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي: السُّرر تحت الحِجَال. ﴿يَنظُرُونَ﴾ قيل: معناه: ينظرون في مُلكهم، وما أعطاهم الله من الخير والفضل، الذي لا ينقضي، ولا يبيد. وقيل: معناه ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ. وهذا مقابلة لما وُصف به أولئك الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؛ فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهم علىٰ سررهم وفرشهم][3].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤/ ٧١).

(٢) [المطففين: ٢٣].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٥٢).

❁ الأمر الثالث: في مواطن الرؤية:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقد دخل أيضًا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ][(١)].

ش/ قال مقيده: مضىٰ أدلة الموطن الأول، وهو رؤية المؤمنين ربهم في عرصات القيامة - يعني المحشر -، وهاك من السنة الأدلة علىٰ رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، منها:

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة؛ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبر علىٰ وجهه، في جنة عدن**»[(٢)] أخرجه البخاري ومسلم.

وعن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، العقيدة الواسطية (٢/ ١٤٤).

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] (٦/ ١٤٥) رقم (٤٨٧٨)، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (١/ ١٦٣) رقم (١٨٠).

إليهم من النظر إلىٰ ربهم عَزَّوَجَلَّ»[١] خرجه مسلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقد رُوي تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس [قال البغوي: وأبو موسىٰ وعبادة بن الصامت]، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف][٢].

❁ الأمر الرابع: في حجج منكري رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة مع الرد عليها:

واعلم - هديت الرشد والسداد في الأقوال والأعمال - أن لمنكِرة رؤية الله يوم القيامة حججًا وشبهًا، ونحن نورد لك بعضها مع الرد عليها:

الشبهة الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٣]، والمعنىٰ عندهم: أن الله لا تراه الأبصار.

والرد علىٰ هذه الشبهة: أن الرؤية شيء والإدراك شيء آخر؛ فالرؤية هي مجرد النظر، والإدراك معناه الإحاطة؛ فالمعنىٰ الصحيح للآية: أن الأبصار لا تحيط بالله عَزَّوَجَلَّ.

وإيضاح أن الإدراك أمرٌ زائد علىٰ الرؤية، وهو الإحاطة؛ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا

---

(١) مسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (١/ ١٦٣) رقم (١٨١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٢).

(٣) [الأنعام: ١٠٣].

تَرَءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[﴿فَلَمَّا تَرَءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: رأىٰ كل من الفريقين صاحبه، فعند ذلك ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، وذلك أنه انتهىٰ بهم السير إلىٰ سيف البحر، وهو بحر القلزم، فصار أمامهم البحر، وفرعون قد أدركهم بجنوده، فلهذا قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون؛ فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد](٢).

ش/ قال عبيد: فبان أن الذي نفاه موسىٰ ﷺ هو إحاطة فرعون وجنده بنبي الله موسىٰ ومن معه من المؤمنين، ولم ينفِ الإبصار؛ فكل فريق يرىٰ الآخر رأي العين.

الشبهة الثانية: قالوا: إثبات رؤية الله لازمة أن الله في جهة، فيلزم منه أن الله جسم، والله منزه عن ذلك.

والجواب: أن الجهة لفظ مجمل له معانٍ ثلاثة:

أحدها: جهة سفل.

وثانيها: جهة علوٍّ تحيط بالله.

وثالثها: جهة علو لا تحيط به جَلَّ وَعَلَا وتحويه.

---

(١) [الشعراء: ٦١، ٦٢].

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٤٣).

فالأول والثاني باطلان ينزَّه الرب جَلَّوَعَلَا عنهما، والثالث هو الحق، وقد دل الكتاب والسنة عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(٢)، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وفي الحديث الصحيح: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»(٣).

الشبهة الثالثة: احتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾(٤)، وعند القوم أن هذا النفي مؤبدٌ؛ لأنه بمعنىٰ «لن».

والجواب: أن هذا الخطاب من الله جَلَّوَعَلَا لنبيه موسىٰ ﷺ كان في الدنيا، وحال الناس في الآخرة يختلف عن حالهم في الدنيا.

وثمة وجه آخر: وهو أن ما تقدم من الأدلة يبطل احتجاج هؤلاء المبتدعة بهذه الآية.

---

(١) [الملك: ١٦].

(٢) [آل عمران: ٥٥].

(٣) البخاري، في المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وخالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ اليمن قبل حجة الوداع (٥/ ١٦٣) رقم (٤٣٥١)، ومسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٢) رقم (١٠٦٤).

(٤) [الأعراف: ١٤٣].

❁ الأمر الخامس - وهو ختام الحديث في هذه المسألة الكبيرة العظيمة - ننقل لك كلامًا نفيسًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيه ما يروي الغليل ويشفي العليل؛ فتفطن إليه جيدًا:

[رؤية الله هي أعلىٰ مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، والذي يجب علىٰ كل مسلم اعتقاده: أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة؛ علىٰ ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث؛ فإنه أخبر ﷺ: «**أما إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»[1].

والمؤمنون في الرؤية علىٰ درجات علىٰ حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، ومن جحد رؤية الله في الدار الآخرة؛ فهو كافر إن كان ممن بلغه العلم.

واختلف أهل السنة في رؤية الكافر والمنافق لربه، وأول ما انتشر الكلام في هذه المسألة وتنازع الناس فيها بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها، وأولئك المختلفون لم يتلاعنوا ولا تهاجروا فيها؛ إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وهم أصحاب سنة.

وإليك هذه الثلاثة الأقوال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر (١/ ١١٩) رقم (٥٧٣)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩) رقم (٦٣٣).

قول أكثر العلماء المتأخرين؛ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

وقال رجل لمالك: يا أبا عبد الله، هل يرىٰ المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(١).

والأمة متفقون علىٰ أن المؤمنين يرون الله في المعاد، وأن الكافرين لا يرونه؛ فثبت بهذا إجماع الأمة - ممن يقول بجواز الرؤية وممن ينكرها - علىٰ منع رؤية الكافرين لله، وكل قول حادث بعد الإجماع؛ فهو باطل مردود.

القول الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة.

واستدلوا بحديث: «يجمع الله الناس يوم القيامة؛ فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٨٠).

فيتبعونه...»[١].

القول الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأىٰ السلطان - ثم يحتجب عنهم، ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم.

لأن اللقاء يدل علىٰ الرؤية والمعاينة، وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾.

وقد قال إمام اللغة أحمد بن يحيىٰ ثعلب: يقول في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ **أجمع أهل اللغة: أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار**[٢].

وفي «صحيح مسلم»[٣] **عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال: **«هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في**

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الصراط علىٰ جسر جهنم (٨/ ١١٧) رقم (٧٤٣٧)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣) رقم (١٨٢)، واللفظ له من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ساقه بإسناده ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٦٢)، قال ابن القيم عن سنده في «حادي الأرواح» (٣٧٨): (وحسبك بهذا الإسناد صحة).

(٣) في الزهد والرقاق، بابٌ (٤/ ٢٢٧٩) رقم (٢٩٦٨).

سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟». قالوا: لا. قال: «فوالذي نفسي بيده؛ لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما – قال – فيلقىٰ العبد فيقول: أي فل، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلىٰ. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقىٰ الثاني فيقول: أي فل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلىٰ أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقىٰ الثالث؛ فيقول له مثل ذلك؛ فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخير ما استطاع؛ فيقول: هاهنا إذًا – قال –: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ فيختم علىٰ فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله؛ وذلك ليعذر من نفسه. وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه».

وفي هذا الحديث أن الكافر والمنافق يلقىٰ ربه، وظاهره أن الخلق جميعهم يرون ربهم، فيلقىٰ الله العبد عند ذلك.

وفي حديث أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله، أكلنا يرىٰ ربه مُخليًا به يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين، أليس كلكم يرىٰ القمر ليلة البدر مُخليًا به». قلت: بلىٰ. قال: «فالله أعظم»[1].

---

(١) أخرجه أحمد، حديث أبي زرين العقيلي (٤/ ١١) رقم (١٦٢٣١)، وأبو داود في السنة، باب في الرؤية (٤/ ٢٣٤) رقم (٤٧٣١)، وابن ماجه في الإيمان، باب فيم أنكرت الجهمية (١/ ٦٤) =

وهذا الحديث فيه دليل علىٰ الرؤية العامة لأهل الموقف.

وصحَّ عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قوله: «والله إن منكم أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، يقول: ما غرك بي ابن آدم؟ ما غرك بي ابن آدم؟ ما غرك بي ابن آدم؟ ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»[(١)].

وهؤلاء الذين يثبتون رؤيته للكافر والمنافق إنما يثبتونها مرة واحدة أو مرتين للمنافقين «رؤية تعريف»، ثم يحتجب عنهم بعد ذلك في العرصة.

وهاهنا تنبيه:

وهو: أن «الرؤية المطلقة» قد صار يفهم منها الكرامة والثواب؛ ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظًا يوهم خلاف الحق، إلا أن يكون مأثورًا عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثورًا][(٢)].

=

رقم (١٨٠)، وابن حبان في التاريخ، باب بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السموات والأرض (١٤/ ٩) رقم (٦١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٤٦٥)، والحاكم في الأهوال (٤/ ٥٦٠)، وجوّد إسناده شيخ الإسلام في «المجموع» (٦/ ٤٩٧).

(١) أخرجه ابن خزيمة، في التوحيد (٢١٧)، وعبد الله في السنة (٤٧٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٨٩٠٠)، وهو أثر حسن.

قال الشيخ الهراس رَحِمَهُٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «التوحيد» لابن خزيمة (١٧١): (هذا حديث موقوف علىٰ ابن مسعود، وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي).

(٢) هذا المبحث ملخص من رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل البحرين في «المجموع» (٦/ ٤٨٥ - ٥٠٦)، وفيـه تصرف يسير.



الباب التاسع والخمسون

بابٌ: خروج الموحدين من النار

الحديث الثامن والثمانون

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم -، فأماتهم إماتة، حتىٰ إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر؛ فبثوا علىٰ أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

الحديث التاسع والثمانون

عن أنس عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين.

فترفع له شجرة؛ فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه الشجرة؛ فلأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟!

فيقول: لا يا ربِّ. ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولىٰ، فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟! فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟! فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليَين، فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟! قال: بلىٰ يا رب، هذه لا أسألك غيرها. وربه يعذره؛ لأنه يرىٰ ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي ربِّ أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم، ما يَصْرِيني منك[1]؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ؛ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني علىٰ ما أشاء قادر».

---

(١) أي: يقطع مسألتك مني.

الحديث التسعون

عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُسأَلُ عن الورود؟ فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك[1] فوق الناس، قال: فتدعىٰ الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتىٰ ننظر إليك، فيتجلىٰ لهم يضحك، قال: فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطىٰ كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا ثم يتبعونه، وعلىٰ جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأَضْوءِ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتىٰ يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيُجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتىٰ ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حُرَاقُه[2]، ثم يسأل، حتىٰ تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها».

---

(١) قوله: عن كذا وكذا... إلخ، قال الشراح: فيه تغيير، صوابه: «نجيء يوم القيامة علىٰ كوم فوق الناس» اهـ.

والكوم: بفتح الكاف علىٰ ما ذكره ابن الأثير - المواضع المشرفة، واحدها كومة، قالوا: فكأن الراوي أظلم عليه هذا الحرف؛ فعبر عنه بكذا وكذا، وفسره بقوله: (انظر)، فجمع النقلة الكل، ونسقوه علىٰ أنه من متن الحديث كما تراه. اهـ.

(٢) أي: أثر ناره.

الحديث الحادي والتسعون

عن يزيد الفقير قال: «كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم، جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾[(١)]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[(٢)] فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ يعني الذي يبعثه الله فيه. قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك[(٣)]، قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم[(٤)]، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون

---

(١) [آل عمران: ١٩٢].

(٢) [السجدة: ٢٠].

(٣) الأصل «غير أنه قال»، والتصحيح من «مسلم».

(٤) جمع سمسم، وهو الحب الذي يستخرج منه الشيرج، قال ابن الأثير: «معناه - والله أعلم -: أن السماسم جمع سمسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت في الشمس وليؤخذ حبها دقاقًا سودًا؛ كأنها محترقة، فشبه بها هؤلاء».

فيه؛ فيخرجون كأنهم القراطيس[١]. فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب علىٰ رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد. أو كما قال أبو نعيم.

الحديث الثاني والتسعون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة؛ فيعرضون علىٰ الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها. فينجيه الله منها».

التخريج:

أولًا: حديثه الأول أخرجه المصنف، في باب: «إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار».

وقال: حدثني نصر بن علي الجهضمي، حدثنا بشر - يعني: ابن المفضل - عن أبي مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج الحديث الثاني في باب: «آخر أهل النار خروجًا».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن أنس، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثالثًا: وأخرج حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «أدنىٰ أهل الجنة

---

(١) أي: الصحائف.

منزلة فيها».

وقال: حدثني عبيد الله بن سعيد وإسحاق بن منصور كلاهما، عن روح؛ قال عبيد الله: حدثنا روح بن عبادة القيسي، حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

رابعًا: وأخرج حديث يزيد الفقير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفس الباب السابق.

وقال: وحدثنا حجاج بن الشاعر، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا أبو عاصم - يعني: محمد بن أبي أيوب - قال: حدثني يزيد الفقير؛ فذكره.

خامسًا: أخرج حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا في نفس الباب السابق.

وقال: حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران وثابت، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفي الباب ثلاثٌ وعشرون مسألة:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون).

ش/ قلت: هؤلاء هم الكفار والمشركون، فالنار مأواهم، وهم خالدون فيها الخلود الأبدي السرمدي، قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[1].

(١) [الأعلىٰ: ١١ - ١٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**قوله:** ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَى﴾ وهي النار الموقدة، التي تطلع علىٰ الأفئدة.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: يعذب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتىٰ إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[1]][2] اهـ.

❁ المسألة الثانية: قوله: (فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فأماتهم إماتة).

وعند أحمد من رواية ابن أبي عدي: «**وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار**»[3].

وعند عبد بن حميد: «**وأما أقوام يريد الله عَزَّوَجَلَّ بهم الرحمة، فتميتهم النار**»[4].

وعند أبي عوانة: «**ولكنها تصيب أقوامًا بذنوبهم وخطاياهم**»[5].

---

(١) [فاطر: ٣٦].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٩٢٠).

(٣) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٣/ ٥) رقم (١١٠٢٩).

(٤) المنتخب، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٦٧) رقم (٨٦٣).

(٥) مستخرج أبي عوانة في الإيمان، باب صفة أهل النار المخلدون فيها (١/ ١٥٨) رقم (٤٥٦).

ش/ قال مقيده: واعلم أن هؤلاء هم أهل الكبائر من الموحدين، الذين لقوا الله علىٰ كبائر، فاقتضت مشيئته النافذة وحكمته البالغة أن يعذبهم في النار؛ جراءَ ما اقترفوه من كبائر لقوا الله عليها، فرحمهم بإماتته إياهم في النار بعد أن ذاقوا مسها، فسبحان من له الحكمة البالغة، وله في عباده الخلق والأمر، إنه علىٰ ما يشاء قادر.

❁ المسألة الثالثة: قوله: (حتىٰ إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر[1]، فبثوا علىٰ أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل).

وعند أحمد: «**فيدخل عليهم الشفعاء، فيأخذ الرجل أنصاره فيبثهم - أو قال: فينبتون - علىٰ نهر الحياء، أو قال: الحيوان، أو قال: الحياة، أو قال: نهر الجنة؛ فينبتون نبات الحبة في حميل السيل**»[2].

وفي «المنتخب»: «**فيحمل منهم الضبارة، فيبثهم علىٰ نهر في الجنة، نهر يقال له: نهر الحياة، أو نهر الحياء، أو نهر الحيوان، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ألم تروا إلىٰ الشجرة تكون خضراء، ثم تكون صفراء، أو تكون صفراء ثم تكون خضراء؟!**»[3].

وعند أبي عوانة: «**فإذا صاروا فحمًا أذن في الشفاعة، فأخرجوا ضبائر ضبائر، فبثوا علىٰ أنهار الجنة، فينادي مناد: يا أهل الجنة، أهريقوا عليهم من الماء. فينبتون**

---

(١) أي: جماعات في تفرقة.

(٢، ٣) سبق تخريجه.

كما تنبت الحبة في حميل السيل»[١].

ش/ وفيه دليل علىٰ أن الموحد لا يخلَّد في النار.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية).

وفي رواية سويد بن سعيد عند مسلم: «فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعىٰ بالبادية»[٢].

❁ المسألة الخامسة: قوله: (عن أبي الزبير).

ش/ هو [محمد بن مسلم بن تدرس - بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء - الأسدي، مولاهم، أبو الزبير المكي، صدوق إلا أنه يدلس، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين «بعد المئة» ع][٣].

❁ المسألة السادسة: قوله: (يُسأل عن الورود).

ش/ والمراد به مرور الناس يوم القيامة علىٰ الصراط، وفي الكتاب الكريم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٤]، فسره النبي ﷺ بمرور الناس علىٰ الصراط، وقد تقدم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

(٣) تقريب التهذيب (٢/ ٥٠٦).

(٤) [مريم: ٧١].

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فقال نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من «صحيح مسلم»، واتفق المتقدمون والمتأخرون علىٰ أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ.

قال الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين»: هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين، أو كيف كان.

وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف.

قال: «وصوابه: نجيء يوم القيامة علىٰ كوم». هكذا رواه بعض أهل الحديث.

وفي كتاب ابن أبي خيثمة، من طريق كعب بن مالك: «**يحشر الناس يوم القيامة علىٰ تل وأمتي علىٰ تل**».

وذكر الطبري في التفسير من حديث ابن عمر: «فيرقىٰ هو - يعني: محمدًا ﷺ - وأمته علىٰ كوم فوق الناس».

وذكر من حديث كعب بن مالك: «**يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي علىٰ تل**».

قال القاضي: فهذا كله يبين ما تغير من الحديث، وأنه كان أظلم هذا الحرف علىٰ الراوي أو أمحي؛ فعبر عنه بكذا وكذا، وفسره بقوله: «أي فوق الناس»، وكتب عليه: «انظر» تنبيهًا، فجمع النقلة الكل، ونسقوه علىٰ أنه من متن الحديث

كما تراه. هذا كلام القاضي، وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين، والله أعلم][١].

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (فتدعىٰ الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول).**

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: **«يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت»**[٢].

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتىٰ ننظر إليك).**

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه»**.

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (فيتجلىٰ لهم يضحك، فينطلق بهم ويتبعونه).**

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«فيأتيهم الله تعالىٰ في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه»**.

وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: **«قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا - مرتين أو ثلاثًا -.**

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (٣/ ٤٧).

(٢) الباب الثامن والخمسون، باب في رؤية الله جَلَّجَلَالُهُ، الحديث (٨٥).

حتىٰ إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق؛ فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة؛ كلما أراد أن يسجد خر علىٰ قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا»(١).

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (ويعطىٰ كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه).**

بيَّنَه بقوله: «ثم يطفأ نور المنافقين».

ش/ قال مقيده: ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ وهذا إخبار منه تعالىٰ عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وإنه لا

---

(١) مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

(٢) [الحديد: ١٣، ١٤].

ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به، وترك ما عنه زجر.

وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾[1]، وهكذا روي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغير واحد، وهو الصحيح.

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: النار. قاله قتادة، وابن زيد، وغيرهما...

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلىٰ، قد كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾. قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلىٰ وقت.

وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي: قلتم: سيغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾. أي: ما زلتم في هذا حتىٰ جاء الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾؛ أي: الشيطان.

(١) [الأعراف: ٤٦].

قال قتادة: كانوا علىٰ خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها، حتىٰ قذفهم الله في النار][1] اهـ.

۞ المسألة الثانية عشرة: قوله: (ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وسيأتي في باب: قول النبي ﷺ: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب**» -: «**فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر. فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»[2].

ش/ فيحتمل أنهم المذكورون في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويحتمل غيرهم، وفضل الله واسع.

۞ المسألة الثالثة عشرة: قوله: (ثم الذين يلونهم كأضْوءِ نجم في السماء).

وعند المصنف من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ثم الذين يلونهم علىٰ أشد نجم في السماء إضاءةً**»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦ - ١٨).

(٢) الباب السابع والستون، رقم (١٠٢).

(٣) مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة علىٰ صورة القمر (٤/ ٢١٧٩) رقم (٢٨٣٤).

وعند البخاري: «ثم الذين يلونهم علىٰ أشد كوكب دري في السماء إضاءةً»[(١)].

❁ **المسألة الرابعة عشرة: قوله: (ثم كذلك).**

ش/ والمعنىٰ: «ثم الذين يلونهم كأضْوءِ نجم في السماء».

❁ **المسألة الخامسة عشرة: قوله: (ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتىٰ يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتىٰ ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه، ثم يسأل حتىٰ تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها).**

ش/ والمعنىٰ: أنه تحل الشفاعة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيمن دخل النار من الموحدين جراء كبائر، وقد تقدم معنىٰ بقية الحديث، ولله الحمد والمنة.

❁ **المسألة السادسة عشرة: قوله: (عن يزيد الفقير).**

ش/ هو [يزيد بن صهيب الكوفي، أبو عثمان المعروف بالفقير - بفتح الفاء بعدها قاف -، قيل له ذلك؛ لأنه كان يشكو فقار ظهره، ثقة، من الرابعة، خ م د س ق][(٢)].

❁ **المسألة السابعة عشرة: قوله: (كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد، نريد أن نحج، ثم نخرج علىٰ الناس).**

ش/ وحاصله أنه شغفه حب رأي الخوارج، أولئك القوم المكفرة بالكبائر،

---

(١) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم - صلوات الله عليه - وذريته (٤/ ١٣٢) رقم (٣٣٢٧).

(٢) تقريب التهذيب (ص: ٦٠٢).

وأنه عزم علىٰ إظهار ذلك بعد الحج، ثم نجاه الله من هذا المذهب الخبيث، وهداه إلىٰ مذهب أهل السنة؛ بما سمعه من حديث جابر عن النبي ﷺ، كما سيذكره بعد.

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (فمررنا علىٰ المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم، جالس إلىٰ سارية عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين).

وعند الشيخين - واللفظ للبخاري - من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار؛ فيخرج أقوامًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة»**، إلىٰ أن قال: **«فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»**(١).

❁ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ فما هذا الذي تقولون؟).

ش/ يظهر منه أمران:

الأول: استنكار يزيد الفقير علىٰ جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما ساقه من حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) البخاري، في التوحيد، باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] (٩/ ١٢٩) رقم (٧٤٣٩)، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

والثاني: استدلال يزيد الفقير بالآيتين علىٰ ما كان عليه من مذهب الخوارج الخبيث، وهو تخليد من لقي الله علىٰ كبيرة في النار.

❁ المسألة الموفية عشرين: قوله: (أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ **يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج).**

ش/ قلت: من فقه ذلك الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسن سياسته في التعليم والاحتجاج علىٰ الخصم - كما هي عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -؛ أنه سأل يزيد هذين السؤالين: «هل تقرأ القرآن؟ هل سمعت بمقام محمد ﷺ؟» فلما أجابه عنهما بنعم؛ ذكر له الدليل علىٰ فساد مذهب الخوارج، وهو قوله: «فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج».

❁ المسألة الحادية والعشرون: قوله: (ثم نعت وضع الصراط) إلىٰ قوله: (كأنهم قراطيس).

ش/ يعني مرور الناس علىٰ الصراط، وقد تقدم.

❁ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذِب علىٰ رسول الله ﷺ؟! فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد. أو كما قال أبو نُعيم).

ش/ قلت: فسبحان من له الفضل والنعمة والثناء الحسن، يهدي من يشاء

بفضله، وحاصله أن تسعه من أولئك الرهط هداهم الله لما سمعوا من الحق، وبقي العاشر علىٰ ما هو عليه من الضلال، فنعوذ بالله من غلبة الشقوة.

وقوله: (أبو نعيم).

ش/ هو [الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي مولاهم الأحول، أبو نعيم الملائي بضم الميم، مشهور بكنيته، ثقة، ثبت، من التاسعة، مات سنة ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة، وكان مولده سنة ثلاثين، وهو من كبار شيوخ البخاري ع][1].

❁ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (يخرج من النار أربعة؛ فيعرضون علىٰ الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها. فينجيه الله منها).

وفي «المشكاة» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج من النار أربعة، فيعرضون علىٰ الله، ثم يؤمر بهم إلىٰ النار؛ فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب. لقد كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها.** قال: **فينجيه الله منها**»[2] وعزاه إلىٰ مسلم.

وعند ابن حبان بإسناد مسلم حديث الباب عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٤٤٦).

(٢) مشكاة المصابيح في أحوال القيامة وبدء الخلق، باب الحوض والشفاعة، الفصل الأول (٣/ ٢١٤) رقم (٥٥٨٨).

قال رسول الله ﷺ: «**يخرج رجلان من النار، فيعرضان علىٰ الله، ثم يؤمر بهما إلىٰ النار، فيلتفت أحدهما فيقول: يا رب ما كان هذا رجائي. قال: وما كان رجاؤك؟ قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني. فيرحمه الله فيدخله الجنة**»(١).

[قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم].

ش/ قال مقيده: والجمع عندي بين هذه الروايات - والله أعلم - أن الله أخرج من النار رجلين، ثم أخرج بعدُ أخرَين، فلعل ثابتًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة روىٰ أربعة، ومرة روىٰ اثنين، فيتحصل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخرج أولئك القوم مرة، ثم أمر بإعادتهم إليها مرة أخرىٰ.

فسبحانه له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، له الخلق والأمر، فلا يُسأل عما يفعل، آمنًا بذلك كله، وأنه حق علىٰ حقيقته، يجب أن يُصان عن الظنون الكاذبة والخيالات الباطلة.

تنبيه:

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب عَزَّوَجَلَّ: أخرجوهما. فلما أُخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: إن رحمتي لكما أن**

---

(١) كتاب الرقائق، باب حسن الظن بالله تعالىٰ، ذكر البيان بأن حسن الظن بالمعبود جَلَّ وَعَلَا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير (٢/ ٤٠٠) رقم (٦٣٢).

تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار. فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه؛ فيجعلها عليه بردًا وسلامًا، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه؛ فيقول له الرب عَزَّوَجَلَّ: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقىٰ صاحبك؟ فيقول: يا رب، إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني. فيقول له الرب: لك رجاؤك. فيدخلان جميعًا الجنة برحمة الله»[1].

[قال أبو عيسىٰ: إسناد هذا الحديث ضعيف؛ لأنه عن رشدين بن سعد، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث، عن ابن أنعم وهو الأفريقي، والأفريقي ضعيف عند أهل الحديث].

قال مقيده: وفيه علةٌ أخرىٰ وهي في قوله: «أن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما» وهذا منكر، وبيانه أن أهل النار كلهم صياحهم شديد، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [يقول تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ قال ابن عباس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر. أي: تنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق؛ لما هم فيه من العذاب، عياذًا بالله من ذلك][3].

❁ ❁ ❁

---

(١) سنن الترمذي، في صفة جهنم، باب منه (٤/ ٧١٤) رقم (٢٥٩٩).

(٢) [هود: ١٠٦].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥١).



الباب الستون

بابُ: الشفاعة

❁ شرح الترجمة:

ش/ الشفاعة لها معانٍ ثلاثة:

أحدها: لغوي، وهو من الشفع ضد الوتر، كاثنين وأربعة وستة، فيصير الشافع والمشفوع فيه بانضمامهما إلىٰ بعضهما شفعًا.

الثاني: عرفي، ومعناه سؤال الخير للغير، مثاله: أن يكون علىٰ أحد الناس دينٌ لآخر، فيطلب من ذي مكانة عند الدائن أن يشفع له بالوضع من دينه، أو الزيادة في الأجل.

الثالث: الشرعي، وهو سؤال عبدٍ رضي الله قوله وعمله مغفرة ذنوب بعض المجرمين.

واعلم أن الناس من حيث إثبات الشفاعة في أهل الكبائر وعدمه ثلاثة أقسام:

أحدها: الغلاة في إثبات الشفاعة، وهم أهل التصوف والخرافة من القبوريين، وأولئك يثبتون الشفاعة فيمن يزعمون فيه الولاية عند الله، إثباتًا مطلقًا في الدنيا والآخرة، ولهذا يسألونهم إياها أحياءً وأمواتًا.

الثاني: منكرة الشفاعة في أهل الكبائر من الجهمية والمعتزلة والخوارج؛ لأن

مرتكب الكبيرة عندهم إذا لم يتب كان خالدًا مخلدًا في النار.

الثالث: أهل السنة والجماعة، وهؤلاء يثبتون الشفاعة عند الله يوم القيامة بشرطين:

- **أحدهما**: إذن الله للشافع؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾(٢).

- **وثانيهما**: رضاه عن المشفوع فيه، والله لا يرضىٰ إلا عن أهل التوحيد؛ فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سألت رسول الله ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «**لقد ظننت - يا أبا هريرة - أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك؛ لما عرفته من حرصك علىٰ الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله. خالصًا من قلبه أو نفسه**»(٣).

ويجمع الشرطين قوله تعالىٰ: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾(٤).

الحديث الثالث والتسعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع،

---

(١) [البقرة: ٢٥٥]. (٢) [يونس: ٣].

(٣) البخاري، في العلم، باب الحرص علىٰ الحديث (١/ ٣١) رقم (٩٩)، ومسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣٧٣) رقم (٨٨٤٥).

(٤) [النجم: ٢٦].

وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بمَ ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ اشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح.

فيأتون نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلىٰ الأرض، وسماك الله ﴿عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[1]؛ اشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ إبراهيم ﷺ.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله – وذكر كذباته –،

---

(١) [الإسراء: ٣].

نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فيأتون موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه علىٰ الناس؛ اشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ.

فيأتون عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1] فاشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر له ذنبًا - نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ.

فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ اشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم قال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم

---

(١) [النساء: ١٧١].

شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرىٰ».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا في سياق الحديث، إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف؛ قالا: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا أبو حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

● **وفيه خمس وعشرون مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم).**

وعند البخاري من رواية محمد بن عبيد في الأنبياء: «كنا مع النبي ﷺ في دعوة»[(١)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه).**

ش/ فيه دليل علىٰ التخيير في الأطعمة، وتفضيل بعضها علىٰ بعض، واستحانة ذلك من قبل الشخص نفسه.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فنهس منها نهسة).**

ش/ بنون ومهملة، أي: أخذ منها بأطراف أسنانه.

---

(١) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ الآية [نوح: ١] (٤/ ١٣٤) رقم (٣٣٤٠).

❁ المسألة الرابعة: قوله: (أنا سيد الناس يوم القيامة).

وعند البخاري: «**أنا سيد القوم يوم القيامة**»(١).

❁ المسألة الخامسة: قوله: (وهل تدرون بم ذاك؟).

وعند البخاري في تفسير سورة الإسراء: «**وهل تدرون مم ذلك؟**»(٢).

ش/ والمعنىٰ: هل تدرون ما سبب ذلك؟

❁ المسألة السادسة: قوله: (يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين).

وعند البخاري: «**يجمع الله الناس الأولين والآخرين**»(٣).

وعنده من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة**»(٤).

قال الحافظ رَحِمَهُٱللَّهُ: ووقع في رواية معبد بن هلال: «**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض**»(٥).

❁ المسألة السابعة: قوله: (في صعيد واحد).

ش/ قلت: يعني في مكان واحد، وذلك المكان أرض الحشر.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] (٦/ ٨٤) رقم (٤٧١٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البخاري، في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٦) رقم (٦٥٦٥).

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٣٢).

❁ المسألة الثامنة: قوله: (فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر).

وعند البخاري في الأنبياء: «**فيبصرهم الناظر، ويُسمعهم الداعي**»[(١)].

ش/ قلت: وهذا دليل علىٰ التفاف بعضهم حول بعض، من شدة الهول والكرب، والمعنىٰ أنه يحيط بهم، لا يخفىٰ عليه منهم شيء؛ لاستواء الأرض، وعدم الحجاب.

❁ المسألة التاسعة: قوله: (وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [في رواية إسحاق بن راهويه، عن جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة: «**وتدنو الشمس من رؤوسهم؛ فيشتد عليهم حرها، ويشق عليهم دنوها؛ فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه**».

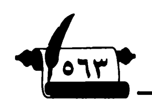
وقد أخرج المصنف من حديث المقداد: «**أن الشمس تدنو حتىٰ تصير من الناس قدر ميل**».

وفي حديث سلمان: «**تعطىٰ الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس، فيعرقون حتىٰ يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتىٰ يقول: عق عق**». وفي رواية النضر بن أنس: «**لغم ما هم فيه والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت**»][(٢)] اهـ من الفتح بتصرف.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٩٤).



❁ المسألة العاشرة: قوله: (فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟).

وعند البخاري: «**ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟**»(١).

وعنده من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لو استشفعنا إلىٰ ربنا**»(٢).

❁ المسألة الحادية عشرة: قوله: (فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم. فيأتون آدم).

وعند البخاري: «**فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم. فيأتون آدم**»(٣).

وعند المصنف من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فيقولون: يا أبانا**»(٤).

وفي رواية شيبان عند النسائي: «**فينطلقون حتىٰ يأتوا آدم**»(٥).

❁ المسألة الثانية عشرة: قوله: (فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تفسير سورة البقرة عند البخاري: «**فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء؛**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] (٦/ ١٧) رقم (٤٤٧٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مسلم في الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٦) رقم (١٩٥).

(٥) سنن النسائي، في التفسير، باب سورة الصافات (٦/ ٤٤٠) رقم (١١٤٣٣).

فاشفع لنا عند ربك حتىٰ يريحنا من مكاننا هذا»[١].

ش/ فيه إظهار شرف أبي البشر ﷺ، وما امتن الله به عليه من هذه الفضائل الأربع التي اختص بها دون غيره.

وهل هو نبي؟ هذا هو القول الحق، ويدل له ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا رسول الله، أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مكلم**»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»[٢].

۞ المسألة الثالثة عشرة: قوله: (ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله).

ش/ قلت: هذا بعض عذر أبي البشر ﷺ، وفيه إثبات صفة الغضب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعناه معروف ولا تُعلم كيفيته، ومن آثار ذلك الغضب ما يصيب الناس من الكرب يوم القيامة.

۞ المسألة الرابعة عشرة: قوله: (وإنه نهاني عن الشجرة).

ش/ قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح - صلوات الله عليهما - من القرون (١٤/ ٦٩) رقم (٦١٩٠).

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[(٢)].

۞ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (اذهبوا إلىٰ نوح. فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلىٰ الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا؛ اشفع لنا إلىٰ ربك؛ ألا ترىٰ ما نحن فيه؛ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: **«ائتوا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض. فيأتونه، فيقول: لست هناكم. ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم؛ فيستحي»**[(٣)].

ش/ قلت:

قوله: (ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم؛ فيستحي).

يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ

---

(١) [البقرة: ٣٥، ٣٦]. (٢) [طه: ١٢٠، ١٢١]. (٣) سبق تخريجه.

ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(١)].

وقوله: «وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها علىٰ قومي».

يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[(٢)].

والجمع بين هاتين الروايتين:

أولًا: أن نوحًا ﷺ ذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم؛ فاستحيا، وهذا أول العذرين فلما ألحوا عليه بطلب الشفاعة فيهم عند الله ذكر العذر.

الثاني؛ وهو أنه كانت له دعوة علىٰ قومه.

۞ المسألة السادسة عشرة: قوله: (اذهبوا إلىٰ إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض... إلىٰ قوله: بعده مثله).

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ائتوا خليل الرحمن. فيأتونه؛ فيقول: لست هناكم»**[(٣)].

ش/ فيه شرف إبراهيم ﷺ، وما منَّ الله به عليه من الخلة، وهي نهاية المحبة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا

---

(١) [هود: ٤٥، ٤٦].

(٢) [نوح: ٢٦، ٢٧].

(٣) سبق تخريجه.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾(١)، وفي الصحيح قال ﷺ: «**فإن الله تعالىٰ قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»(٢).

❁ المسألة السابعة عشرة: قوله: (وذكر كذباته).

ش/ وبيانه: ما أخرجه البخاري في الأنبياء، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لم يكذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا ثلاث كذبات؛ ثنتين منهن في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾(٣)، وقوله ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾(٤)، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتىٰ علىٰ جبار من الجبابرة فقيل له: إن هاهنا رجلًا معه امرأة من أحسن، الناس فأرسل إليه فسأله عنها. فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتىٰ سارة قال: يا سارة، ليس علىٰ وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي؛ فلا تكذبيني...**»(٥) الحديث.

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (اذهبوا إلىٰ موسىٰ. فيأتون موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه علىٰ الناس).

وعند البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تفسير سورة البقرة: «**ائتوا**

(١) [النساء: ١٢٥].

(٢) مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد علىٰ القبور (١/ ٣٧٧) رقم (٥٣٢).

(٣) [الصافات: ٨٩]. (٤) [الأنبياء: ٦٣].

(٥) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] (٤/ ١٤٠) رقم (٣٣٥٧)، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (٤/ ١٨٤٠) رقم (٢٣٧١).

موسىٰ؛ عبدًا كلمه الله وأعطاه التوراة»(١).

ش/ فيه فضيلتان لموسى ﷺ:

إحداهما: تكليم الله إياه.

الثانية: إعطاءه التوراة.

وقد دل الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والحق علىٰ هاتين الخصلتين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٢) الآية. وفي الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾(٣)، وفي الآية الآخرىٰ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾(٤).

فقد دلت الآيات على أمرين:

أحدهما: تكليم الله له، وذلك علىٰ الحقيقة؛ لأن الكلام يضاف إلىٰ من يقوله ابتداءً، ولا يضاف إلىٰ من يقوله مُبلغًا ومؤديًا إلا بقرينة.

الثاني: إعطاء الله إياه التوراة، وهذا من رسالته إلىٰ قومه، وحديث الباب وما في معناه من الأحاديث الصحيحة دليل علىٰ ما تضمنته هذه الآيات.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) [النساء: ١٦٤].

(٣) [الأعراف: ١٤٣].

(٤) [المائدة: ٤٣].



❁ المسألة التاسعة عشرة: قوله: (وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فيقول: لست هناكم. ويذكر قتل النفس بغير نفس؛ فيستحي من ربه**»(١).

❁ المسألة الموفية عشرين: قوله: (يا عيسىٰ أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلىٰ مريم، وروح منه).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فيقول: ائتوا عيسىٰ؛ عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه. فيقول: لست هناكم**»(٢).

ش/ قلت: جاءت هذه الخصال الأربع فيما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق؛ أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**»(٣)، وفي الكتاب العزيز: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾(٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت

(١، ٢) سبق تخريجه.

(٣) البخاري، أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] (٤/ ١٦٥) رقم (٣٤٣٥).

(٤) [آل عمران: ٤٥].

علىٰ عيسىٰ؛ لأنها هي السبب في وجوده، من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بين في موضع آخر أنها لفظة (كن)، وذلك في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١]، وقيل: الكلمة: بشارة الملائكة لها بأنها ستلده. واختاره ابن جرير، والأول قول الجمهور][٢] اهـ.

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره**: [الآية نزلت في وفد نجران، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا؟ قال: «**وما أقول**»؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله. قال: «**أجل هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول**». فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ ٱللَّهِ﴾ في كونه خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾ لأنه خلق من غير أب وأم][٣].

قلت: وقد جمع الله لعيسىٰ ﷺ في سورة النساء بين ثلاث مناقب منها في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾[٤].

- وفي هذا ردٌّ علىٰ اليهود الذين فرطوا في المسيح ﷺ، وقذفوا أمه بالبهتان.
- كما أن فيه الرد علىٰ النصارىٰ الذين غلوا فيه، واتخذوه إلهًا من دون الله.

وإن قال قائل: ما القول في الروح هاهنا وفي الحديث؟

---

(١) [آل عمران: ٥٩].

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٢٠٠).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ٤٧).

(٤) [النساء: ١٧١].

قلنا: الجواب: ما قاله غير واحد من أهل العلم: إن تلك الروح هي النفخة التي نفخها الملَك في جيب أم المسيح - عليهما السلام -، فاستقرت في رحمها؛ فولدت عيسىٰ ﷺ.

❁ **المسألة الحادية والعشرون: قوله: (لم يذكر له ذنبًا).**

ش/ ليس في الحديث ذكر ذنب المسيح ﷺ، لكن أخرج الترمذي في تفسير سورة الإسراء عن أبي سعيد، وفيه: «**فيأتون عيسىٰ فيقول: إني عُبدت من دون الله**».

وفي الفتح: [وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: «**إني اتخذت إلٰهًا من دون الله**»[(١)]، وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه، وزاد: «**وإن يغفر لي اليوم حسبي**»][(٢)].

قلت: فحديث سعيد من طريق علي بن جدعان، وهو ضعيف، وما حكاه الحافظ من الروايات شاهد له، والله أعلم.

تنبيه:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: [«ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

(١) مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١/ ٢٨١) رقم (٢٥٤٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٣٣).

ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[(١)](٢).

قال مقيده: هذا الحديث فيه فضيلة أخرىٰ غير ما تقدم من فضائل المسيح ابن مريم ﷺ، وهي: أن الله استجاب دعاء جدته أم مريم حين قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

۞ المسألة الثانية والعشرون: قوله: (فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: **«ائتوا محمدًا ﷺ؛ عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**(٣).

قلت: قد ثبت هذا الفضل وهذه المزية والمنقبة لخاتم الرسل ﷺ؛ ففي الكتاب العزيز: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾(٤).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وذلك - والله أعلم - بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرة، وبما تحمل ﷺ من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم

(١) [آل عمران: ٣٦].

(٢) البخاري، في التفسير، باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (٦/ ٣٤) رقم (٤٥٤٨).

(٣) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] (٦/ ١٧) رقم (٤٤٧٦).

(٤) [الفتح: ٢].

مناقبه وكراماته ﷺ، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر][1].

وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ قام حتىٰ تفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!»[2].

قال مقيده: وفي هذا ردٌّ قوي قاصم لظهور المفكرين العصريين من الدعاة - كما زعموا - القائلين: «إنه ما أمر بالاستغفار إلا لتقصير منه في بعض ما أوجب الله عليه»، فقد ضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، وانحرفوا عن جادة الحق، وركبوا الهوىٰ، وقالوا ما لم يقله أحدٌ قبلهم فيما أعلم.

وفي الحديث النص علىٰ أنه خاتم النبيين، وهذا دليل علىٰ أنه لا نبي بعده، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[3].

وفي الحديث الصحيح: «**وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس كافة**»[4]، وأجمع أئمة العلم والدين والإيمان علىٰ أن من ادَّعىٰ النبوة بعد محمد ﷺ؛ كان كافرًا مرتدًّا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٧٩١).

(٢) مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٤/ ٢١٧٢) رقم (٢٨٢٠).

(٣) [الأحزاب: ٤٠].

(٤) البخاري، في الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» (١/ ٩٥) رقم (٤٣٨)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، بابٌ (١/ ٣٧٠) رقم (٥٢١).

۞ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب، أمتي أمتي).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«فيأتوني؛ فأنطلق حتىٰ أستأذن علىٰ ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفَّع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه»**[1].

ش/ والجمع بين الروايتين أن الله يلهم نبيه ﷺ محامد، ويعلمه ما لم يكن يعلم من حمده وحسن الثناء عليه في الموضعين.

۞ المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب).

ش/ فيه دليل علىٰ فضل أمة محمد ﷺ، وكثرة من يدخل منهم الجنة.

۞ المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرىٰ).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في تفسير سورة الإسراء: **«والذي نفسي بيده**

---

(١) سبق تخريجه.

إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرىٰ»(١).

ش/ كذا بالشك فيما وقفت عليه من طرق، الحديث فلعل «أو» بمعنىٰ «بل».

وفيه دليل علىٰ سَعة أبواب الجنة، وقد جاء في الكتاب الكريم النص علىٰ سَعتها: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾(٣) الآية.

تنبيه:

استدل أهل الزيغ والخرافة من غلاة الصوفية والقبوريين بهذا الحديث، علىٰ جواز الاستغاثة بالأموات من الأنبياء والأولياء.

قالوا: فالناس استغاثوا بالأنبياء.

قلنا: هذه حجة داحضة، وشبهة فاسدة، والجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أنه لم تقع استغاثة في هذا الحديث وما في معناه بميت، وإنما وقعت بالأنبياء وهم أحياء في الموقف.

---

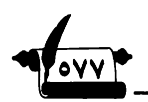
(١) البخاري، في التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] (٦/ ٨٤) رقم (٤٧١٢).

(٢) [آل عمران: ١٣٣].

(٣) [الحديد: ٢١].

الثاني: أن الناس استغاثوا بالأنبياء في أمرٍ مقدور لهم عليه، وهو طلب الشفاعة لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ بالخلاص من هول ذلك الموقف، إلا أن أولئك الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد أبدوا اعتذارهم، وشرَّف الله بها محمدًا ﷺ، والله يختص من يشاء بفضله ورحمته.







الباب الحادي والستون

باب: قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»

الحديث الرابع والتسعون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت، وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد».

التخريج:

أخرجه المصنف، في: «باب في قول النبي ﷺ: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»**».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن المختار بن فلفل قال: قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

● **وفيه ثلاث مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (أنا أول شفيع في الجنة).**

وفي رواية سفيان: **«وأنا أول من يقرع باب الجنة»**[1].

---

(١) مسلم في الإيمان، باب قول النبي ﷺ: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»** (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦).

وفي رواية جرير: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»[(١)].

وفي رواية ثابت: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح؛ فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك**»[(٢)].

❁ **المسألة الثانية: قوله: (لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت).**

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم: «**وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحىٰ الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(٣)].

وفي راوية جرير: «**وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[(٤)].

ومن رواية سفيان: «**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة**»[(٥)].

ش/ فيتحصل من جميع هذه الروايات كثرة أتباع النبي ﷺ في الدنيا، وكثرة أتباعه من المؤمنين به يوم القيامة.

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد).**

وفي حديث عرض الأمم علىٰ النبي ﷺ عند الشيخين - واللفظ للبخاري -:

---

(١) نفس المصدر السابق.

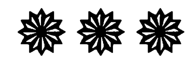
(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الباب التاسع، باب: في آيات النبي ﷺ والإيمان به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

«عُرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد»(١).



(١) البخاري، في الطب، باب من لم يرقِ (٧/ ١٣٤) رقم (٥٧٥٢)، ومسلم، في الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٩) رقم (٢٠٠).



الباب الثاني والستون

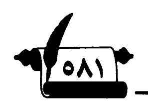
باب: استفتاح النبي ﷺ باب الجنة

الحديث الخامس والتسعون

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح؛ فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك».

ش/ تقدم شرحه ضمن الباب قبله.







الباب الثالث والستون

باب: قول النبي ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة»

الحديث السادس والتسعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا».

التخريج:

أخرجه المصنف في باب: «اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب - واللفظ لأبي كريب -؛ قالا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه ثلاث مسائل:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (لكل نبي دعوة مستجابة).

وفي رواية الأعرج عند البخاري وأبي زرعة عند المصنف: **«لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها؛ فيستجاب له؛ فيؤتاها»**[1].

---

(١) البخاري، في الدعوات، باب **«لكل نبي دعوة مستجابة»** (٨/ ٦٧) رقم (٥٨٢٩)، ومسلم، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٨٩) رقم (١٩٩).

وفي حديث أنس عند البخاري: «**كل نبي سأل سؤلًا** - أو قال - **لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب**»[١] كذا بالشك.

وعند المصنف عن قتادة عن أنس بالجزم: «**لكل نبي دعوة دعاها لأمته**»[٢].

وفي حديث همام بن منبه عند أحمد: «**لكل نبي دعوة تستجاب له**»[٣].

وعنده من رواية محمد بن زياد: «**لكل نبي دعوة دعا بها في أمته؛ فيستجاب له**»[٤].

وفي حديث أنس عند أحمد: «**إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته**»[٥].

ش/ قال مقيده: فاتفقت هذه الروايات علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يضيع دعوة نبيٍّ من أنبيائه، سواء كانت الدعوة لهم أو عليهم، والذي يحضرني: ما أخبر الله به عن إجابة عبده ورسوله نوح ﷺ، حين دعا ربه، وذلك في موضعين:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾[٦].

---

(١) البخاري، في الدعوات، باب «**لكل نبي دعوة مستجابة**» (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٥).

(٢) مسلم، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٩٠) رقم (٢٠٠).

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣١٣) رقم (٧٧٨٤).

(٤) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤٠٩) رقم (٩٢٩٢).

(٥) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٢٠٨) رقم (١٣١٩٣).

(٦) [نوح: ٢٦ - ٢٨].

الموضع الثاني: ﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾[1].

۞ **المسألة الثانية: قوله: (وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة).**

وعند البخاري من رواية الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**»[2].

وعند المصنف من رواية ابن شهاب، عن عمه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وأردت - إن شاء الله - أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[3].

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[4].

وعند أحمد من رواية همام بن منبه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وأريد - إن شاء**

---

(١) [القمر: ٩ - ١٤].

(٢) البخاري، في الدعوات، باب «**لكل نبي دعوة مستجابة**» (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٤).

(٣) مسلم، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١/ ١٨٩) رقم (١٩٨).

(٤) البخاري، في الدعوات، باب «**لكل نبي دعوة مستجابة**» (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٥).

الله - أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي إلىٰ يوم القيامة»[(١)].

وعنده من رواية غندر: «وأني أريد أن أدخر دعوتي - إن شاء الله - شفاعة لأمتي يوم القيامة - قال ابن جعفر: في أمته -»[(٢)].

وعند الدارمي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي»، فذكر الحديث، وفيه: «وقيل لي: سل تعطه. فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي»[(٣)].

ش/ قلت: ومحصل هذه الروايات: أن مما أودعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلب نبينا محمد ﷺ من رحمته؛ تأخيره الدعوة لأمته إلىٰ يوم القيامة شفاعة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من عظيم رحمته بأمته وشدة رأفته بهم؛ قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٤)]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(٥)].

تنبيه:

أخرج مسلم من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها

---

(١) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٣١٣) رقم (٧٧٨٤).

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤٣٠) رقم (٩٥٤٨).

(٣) سنن الدارمي، في السير، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا (٧/ ٤٠٨) رقم (٢٥٢٢).

(٤) [التوبة: ١٢٨].

(٥) [آل عمران: ١٦٤]

بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم»(١) الحديث.

وأخرج البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعث النبي ﷺ سبعين رجلًا لحاجة، يقال لهم: القراء فعرض لهم حيَّان من بني سليم: رعل وذكوان عند بئر يقال لها: بئر معونة، فقال القوم: والله ما إياكم أردنا، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ. فقتلوهم؛ فدعا النبي ﷺ عليهم شهرًا في صلاة الغداة، وذلك بدء القنوت، وما كنا نقنت»(٢).

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه علىٰ النبي ﷺ. فذكر الحديث وفيه: «**قال: اللهم اهدِ دوسًا وأتِ بهم**»(٣).

فأفادت هذه الأحاديث وما في معناها - وهو كثير - أن رسول الله ﷺ دعا لعامة الأمة، ودعا لقومٍ، وعلىٰ قوم، وهذا يعارض في الظاهر حديث الباب، والجمع فيما يبدو لي: أن رسول الله ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته أول الأمر، ثم أُذن بعدُ في الدعاء، أو أن دعاءه - كما أفادته الأحاديث المذكورة - كان أول الأمر، ثم أمر بعدُ باختباء دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة، والله أعلم.

---

(١) مسلم، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) رقم (٢٨٨٩).

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة (٥/ ١٠٤) رقم (٤٠٨٨).

(٣) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدىٰ ليتألفهم (٤/ ٤٤) رقم (٢٩٣٧).

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا).**

وعند الدارمي: «**وهي نائلة منكم - إن شاء الله تعالىٰ - من لم يشرك بالله شيئًا**»(١).

ش/ قلت: فهذا يفيد فائدتين:

إحداهما: ما تقدم في باب الشفاعة من أحاديث، محصلها: أن الشفاعة لا ينالها إلا أهل الإيمان؛ فبها يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة منهُ.

الثانية: النص الصريح علىٰ أنه لا حظَّ لكافر في شفاعة النبي ﷺ، وهذا لا ينافي ما تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا...**» إلىٰ قوله: «**أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه**»(٢).

والجمع: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخرج من أهل النار صنفين:

أحدهما: بشفاعة النبي ﷺ ومن يأذن له بالشفاعة فيهم.

الثاني: أنه جَلَّ وَعَلَا يخرج أقوامًا برحمته لم يعملوا خيرًا قط.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣] (٩/ ١٢٩) رقم (٧٤٣٩).



الباب الرابع والستون

بابُ: دعاء النبي ﷺ لأمته

الحديث السابع والتسعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالىٰ في إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي﴾[1] الآية، وقال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] فرفع يديه، وقال: اللهم أمتي أمتي. وبكىٰ، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال تعالىٰ: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

الحديث الثامن والتسعون

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومنعة؟ قال: حصن كان لدوس في الجاهلية، فأبىٰ

(١) [إبراهيم: ٣٦].

(٢) [المائدة: ١١٨].

ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة، فمرض، فجزع؛ فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلىٰ نبيه ﷺ. فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل علىٰ رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليديه فاغفر».

التخريج:

أولًا: أخرج المصنف حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم».

وقال: حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ الصدفي، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في باب: «الدليل علىٰ أن قاتل نفسه لا يكفر».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم، جميعًا، عن سليمان؛ قال أبو بكر: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن حجاج الصواف، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

• وفيه عشر مسائل:

❁ **المسألة الأولى: قوله: (أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالىٰ في إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:** ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي﴾

ش/ وتمامها: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ يقول: يا ربّ إن الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ﴾ يقول: أزلنَ كثيرًا من الناس عن طريق الهُدىٰ وسبيل الحق، حتىٰ عبدوهنّ وكفروا بك.

وأخرج في المعنىٰ عن قتادة.

وقوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ﴾ يقول: فمن تبعني علىٰ ما أنا عليه من الإيمان بك، وإخلاص العبادة لك، وفراق عبادة الأوثان؛ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ﴾ يقول: فإنه مستنّ بسنَّتِي، وعامل بمثل عملي، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: ومن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخَطائين بفضلك، ورحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم.

وأخرج في المعنىٰ عن قتادة وحديث الباب][2].

---

(١) [إبراهيم: ٣٦].

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/ ١٧).

❁ **المسألة الثانية: قوله:** (وقال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾).

ش/ قلت: والسياق تامًّا: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(1).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

[﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وحدوه ولا تشركوا به شيئًا ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ﴾ أقمت ﴿فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قبضتني ورفعتني إليك ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ والحفيظ عليهم، تحفظ أعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فإن قيل: كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار؟ وكيف قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، وهذا لا يليق بسؤال المغفرة؟

قيل: أما الأول فمعناه: إن تعذبهم بإقامتهم علىٰ كفرهم، وإن تغفر لهم بعد الإيمان. وهذا يستقيم علىٰ قول السدي: إن هذا السؤال قبل يوم القيامة؛ لأن الإيمان لا ينفع في القيامة.

---

(1) [المائدة: ١١٧، ١١٨].

وقيل: هذا في فريقين منهم، معناه: إن تعذب من كفر منهم، وإن تغفر لمن آمن منهم.

وقيل: ليس هذا علىٰ وجه طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال: فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكنه علىٰ تسليم الأمر وتفويضه إلىٰ مراده][(١)].

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي. وبكىٰ).

ش/ والمعنىٰ: أن رسول الله ﷺ حين تلا هذه الآيات العظيمة، وما تضمنته من وعيد شديد علىٰ أهل معصية الله، خشي أن يقع علىٰ أمته من شدة الوعيد ما يهلكهم، فمن أجل ذلك رفع يديه وبكىٰ، وقال ما قال، وهذا من إلحاحه علىٰ ربه في الدعاء.

وفيه دليل علىٰ مشروعية رفع اليدين في الدعاء، ولهذا بسط وتفصيل يأتي موضعه إن شاء الله.

❁ المسألة الرابعة: قوله: (فقال الله عَزَّوَجَلَّ: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟).

وعند ابن حبان: «وبكىٰ؛ فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد ﷺ - وربك أعلم - فسله ما يبكيه؟»[(٢)].

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٢٢).

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب فضل الأمة، ذكر وعد الله جَلَّوَعَلَا رسوله ﷺ أن يرضيه في أمته ولا يسوؤه فيهم (١٦/ ٢١٧) رقم (٧٢٣٥)

ش/ وهذا من سرعة رحمة الله ولطفه بنبيه محمد ﷺ فأرسل إليه جبريل يسأله عن سبب بكائه، مع أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم ذلك من عبده ورسوله ﷺ.

وفيه دليل علىٰ إثبات صفة الكلام لله بدليل: «**فقال الله** عَزَّوَجَلَّ..» إلخ.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (فأتاه جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فسأله، فأخبره رسول الله** ﷺ **بما قال - وهو أعلم - فقال الله: يا جبريل، اذهب إلىٰ محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد:

منها: البشارة العظيمة لهذه الأمة - زادها الله تعالىٰ شرفًا - بما وعدها الله تعالىٰ بقوله: «**سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**»، وهذا من أرجىٰ الأحاديث لهذه الأمة، أو أرجاها.

ومنها: بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالىٰ، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ: إظهار شرف النبي ﷺ، وأنه بالمحل الأعلىٰ فيُسترضىٰ، ويكرم بما يرضيه][1].

قال مقيده: واعلم أنه مما يزيد هذا وضوحًا، ما جاء في الكتاب الكريم، وفي السنة من تقييده، والدلالة علىٰ أنه لا يقع العذاب علىٰ هذه الأمة جميعها، ومن

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ٣٤٨).

ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(٢)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(٣)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[(٤)].

ولا ريب أن ما تضمنته هذه الآيات من حسن العاقبة لأهل الإيمان بالله وبرسوله هو مرضيٌّ للنبي ﷺ وغير مسيءٍ إليه؛ لأن محصل هذه الآيات: أن الجزاء من جنس العمل.

ومن السنة: ما أخرجه الشيخان عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك؛ فمن هم بحسنة فلم يعملها؛ كتبها الله عنده حسنة، كاملة وإن هم بها فعملها، كتبها الله عَزَّ وَجَلَّ عنده عشر حسنات إلىٰ سبع مائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة. وإن هم بسيئة فلم يعملها؛ كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها؛ كتبها الله سيئة واحدة**»[(٥)].

---

(١) [الرحمن: ٤٦].
(٢) [النازعات: ٣٧ - ٤١].
(٣) [النور: ٥٥].
(٤) [النجم: ٣١].
(٥) البخاري، في الرقاق، باب إذا هم بحسنة أو سيئة (٨/ ١٠٣) رقم (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/ ١٣١) رقم (١٣١).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (الطفيل بن عمرو الدوسي).**

ش/ هو الطفيل بن عمرو الدوسي - صحابي مشهور - الزهراني لقبه ذو النور، وسبب تسمية الطفيل بذي النور: أنه لما وفد علىٰ النبي ﷺ فدعا لقومه قال له: ابعثني إليهم واجعل لي آية. فقال: «**اللهم نوِّر له**». فسطع نور بين عينيه، فقال: يا رب، أخاف أن يقولوا: مُثْلَة. فتحول إلىٰ طرف سوطه، فكان يضيء له في الليلة المظلمة»(١).

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فقال: يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومنَعَة؟ قال: حصن كان لدوس في الجاهلية. فأبىٰ ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار).**

وعند ابن حبان: «قدم الطفيل بن عمرو الدوسي علىٰ رسول الله ﷺ بمكة، فقال: يا رسول الله هلم إلىٰ حصن وعدد وعدة - قال أبو الزبير: حصن في رأس الجبل لا يؤتىٰ إلا في مثل الشراك - فقال له رسول الله ﷺ: «**أمعك من وراءك؟**» قال: لا أدري. فأعرض عنه»(٢).

وعند أبي يعلىٰ: «قدم الطفيل بن عمرو الدوسي علىٰ رسول الله ﷺ بمكة، فقال لرسول الله ﷺ: هلم إلىٰ حصن حصين، وعدد وعدة - قال أبو الزبير: الدوس: حصن في رأس جبل لا يؤتىٰ إلا في مثل الشِّراك - فقال له رسول الله ﷺ:

(١) انظر ترجمته مطولة في الإصابة (٣/ ٥٢١).

(٢) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن، ذكر ما يستحب للمرء إذا علم من أخيه حوبة وقد مات أن يستغفر الله جَلَّوَعَلَا له (٧/ ٢٨٧) رقم (٣٠١٧).

«أمعك من وراءك؟» قال: لا أدري. قال: فأعرض عنه؛ لما ذخر الله للأنصار»(١).

وفي السيرة: [قال ابن إسحاق: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له؛ خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «من أنتم؟».

قالوا: نفر من الخزرج. قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم.

قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟»

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبيًّا مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا

---

(١) مسند أبي يعلى، مسند جابر رضي الله عنه (٤/ ١٢٦) رقم (٢١٧٥).

قوم، تعلمون - والله - إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنَّكم إليه.

فأجابوه فيما دعاهم إليه؛ بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، والقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسىٰ أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلىٰ أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك؛ فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلىٰ بلادهم، قد آمنوا وصدقوا](١).

قلت: وفي الكتاب الكريم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن. ﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق. ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: التوراة. ﴿وَكَانُوا۟﴾ يعني: اليهود. ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مبعث محمد ﷺ. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ علىٰ مشركي العرب؛ وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة. فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا. فنقتلكم معه قتل

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، باب بدء إسلام الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ (٢/ ١٧٦).

(٢) [البقرة: ٨٩].

عاد وثمود وإرم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ يعني محمدًا ﷺ من غير بني إسرائيل، وعرفوا نعته وصفته. ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بغيًا وحسدًا. ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾][١].

❁ المسألة الثامنة: قوله: (فلما هاجر النبي ﷺ إلىٰ المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه).

ش/ لم أقف له علىٰ تسمية.

وفي السيرة: «ثم قدمت علىٰ رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله ﷺ بخيبر، حتىٰ نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوس»[٢].

❁ المسألة التاسعة: قوله: (فاجتووا[٣] المدينة، فمرض؛ فجزع؛ فأخذ مشاقص[٤] له، فقطع بها براجمه[٥]، فشخبت يداه حتىٰ مات).

❁ المسألة العاشرة: قوله: (فقال رسول الله ﷺ: اللهم وليديه فاغفر).

وعند ابن حبان: «فرفع رسول الله ﷺ يديه: «اللهم وليديه فاغفر، اللهم وليديه

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٢٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة [جوا]: أي أصابهم الجوىٰ: وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها، واستوخموها. ويقال: اجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة.

(٤) جمع (مشقص) بكسر الميم وفتح القاف: سهم فيه نصل عريض.

(٥) هي مفاصل الأصابع، واحدتها (برجمة).

فاغفر، اللهم وليديه فاغفر»[١].

اعتراض والجواب عنه:

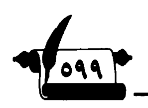
وهاهنا اعتراض أراه مهمًّا فاصغِ إليه - أيها المسلم - وتفطن إلىٰ جوابه؛ وذاك الاعتراض: كيف استجزتم شرح حديث جابر في قصة الطفيل وفي إسناده أبو الزبير، وهو مدلسٌ وقد عنعن، ألم تقفوا علىٰ ما قاله محدث العصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحديث من رواية أبي الزبير عن جابر: وأبو الزبير مدلس وقد عنعنه، وقد تقرر عند أهل المعرفة بهذا العلم الشريف ترك الاحتجاج بحديثه المعنعن، إلا ما كان من رواية ليث بن سعد عنه؛ فإنه لم يأخذ عنه إلا ما ذكر له السماع فيه؛ ولهذا قال الذهبي في ترجمته من «الميزان»: وفي صحيح مسلم أحاديث مما لم يوضح فيها أبو الزبير السماع عن جابر، ولا هي من طريق الليث عنه؛ ففي القلب منها شيء».

فجوابك يا هذا من أوجه:

أحدها: قد وعينا كلام محدث العصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو عندنا ذو منزلة عالية ورتبة شريفة، نرىٰ من حقه علينا حفظ كرامته وسابقته في العلم والفضل وإن قيل فينا ما قيل؛ فمسلكنا وسبيلنا هو حفظ الفضل لذي الفضل وإن خالفنا

---

(١) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن، ذكر ما يستحب للمرء إذا علم من أخيه حوبة وقد مات، أن يستغفر الله جَلَّوَعَلَا له (٧/ ٢٨٨) رقم (٣٠١٧).



وخالفناه في بعض الأمور.

ثانيها: ما ورثناه عن أئمتنا وعلمائنا هو عدم التعصب للأشخاص والوقوف عند أقوالهم، بل نثبت الحق بدليله أينما كان.

ثالثها: وهو أقواها لمن كان حاذقًا طُلبته الحق، أنَّىٰ نشده وجده، في هذه الأسطر؛ فاعقله وتفطن إليه تدرك الدليل القاطع، علىٰ أني لم أكن بدعًا ممن قَبِل رواية أبي الزبير المكي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أولاً:

إن الإمام مسلمًا رَحِمَهُ اللَّهُ من الأئمة الكبار الذين رزقهم الله معرفة تامة بالسنة، فهو من أئمة علم العلل، وقد انتقىٰ من أحاديث أبي الزبير انتقاءً يدل علىٰ أنه متحقق من صحتها لديه، وكما أنه في المقابل أعرض عن روايات من طريق أبي الزبير عن جابر وهي صحيحة، وهذا يؤكد أن لصاحبَي الصحيح منهجًا خاصًّا في الانتقاء.

انظر: «زاد المعاد»[(١)]، «هدي الساري»[(٢)]، «التنكيل» للمعلمي[(٣)].

ثانيا:

أن علماء الحديث وأئمة العلل، تتابعوا في التسليم لمرويات الصحيحين ولمتونها، إلا أحرفًا يسيرة - وتجد أن الحق في أكثرها مع صاحبي الصحيح - ومن

(١) (١/ ٣٥٣).   (٢) ص (٣٨١)   (٣) ص (٦٩٢).

أشهر من ألَّف في ذلك الإمام الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإلزامات والتتبع» ومع ذلك لم ينتقد مسلمًا في رواية أبي الزبير؛ بل طالبه وألزمه بإخراج أحاديث لم يخرجها في صحيحه من طريق أبي الزبير عن جابر.

قال الدارقطني في «التتبع»: «وبقي علىٰ مسلم من تراجم أبي الزبير حديث كثير»(١).

ثالثًا: تجاوز العلماء للمعنعنات في الصحيحين:

قال الحافظ قطب الدين الحلبي: «أكثر المعنعنات منزَّلة منزلة السماع؛ يعني: إما لمجيئها من وجه آخر بالتصريح، أو لكون المعنعن لا يدلس إلا عن ثقة، أو بعض شيوخه، أو لوقوعها من جهة بعض النقاد المحققين سماع المعنعن لها»(٢).

وقال الإمام النووي في مقدمة شرحه لمسلم: «واعلم أن ما كان في الصحيحين عن المدلسين بـ(عن) أو نحوها، فمحمول علىٰ ثبوت السماع من جهة أخرىٰ»(٣).

رابعًا:

أن أبا الزبير مختلف في اتهامه بالتدليس؛ فمن العلماء من يدفع عنه تهمة التدليس، وإن سلمنا بتدليسه؛ فقد رأىٰ جمع من المحققين - بعد سبر رواياته - أن تدليسه ليس عن المتهمين والضعفاء، بل تدليسه من جنس تدليس السلف الذين

---

(١) الإلزامات والتتبع، ص (٣٧٠).

(٢) فتح المغيث (١/ ١٧٦).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ٣٣).

لا يدلسون عن متهم ومجروح، وهو تابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ابن قيم الجوزية:

«وأبو الزبير - وإن كان فيه تدليس - فليس معروفًا بالتدليس عن المتهمين والضعفاء، بل تدليسه من جنس تدليس السلف، لم يكونوا يدلسون عن متهم ولا مجروح، وإنما كثر هذا النوع من التدليس في المتأخرين»[(١)].

خامسًا:

قد يقول قائل: إن الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينفرد بتضعيفه لرواية أبي الزبير عن جابر، بل هو مسبوق؛ فقد سبقه عبد الحق الإشبيلي وابن القطان الفاسي.

والجواب:

بأن هذين العالمين مسبوقان بما ذكرناه من براهين علىٰ قبول روايته؛ فعبد الحق الإشبيلي توفي سنة إحدىٰ وثمانين وخمسمائة، وابن القطان الفاسي توفي سنة ثمان وعشرين وستمائة.



(١) زاد المعاد (٥/ ٤٠٨).



الباب الخامس والستون

بابٌ: في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

❁ شرح آية الترجمة:

ش/ [يقول - جلَّ ثناؤه - لنبيه محمد ﷺ: وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك، قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم لكفرهم][(١)].

الحديث التاسع والتسعون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أُنزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[(٢)] دعا رسول الله ﷺ قريشًا؛ فاجتمعوا؛ فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها».

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٩/ ٤٠٤).

(٢) [الشعراء: ٢١٤].

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب؛ قالا: حدثنا جرير، عن عبد الملك ابن عمير، عن موسىٰ بن طلحة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا؛ فعم وخص).**

وعند البخاري من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ علىٰ الصفا، فجعل ينادي...»(١).

وعنده من رواية سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾...(٢).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار) إلىٰ قوله: (يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها).**

وعند البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**فجعل ينادي؛ يا بني فهر، يا بني عدي: لبطون قريش، حتىٰ اجتمعوا؛ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج**

---

(١) البخاري، في التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (٦/ ١١١) رقم (٤٧٧٠)

(٢) نفس المصدر السابق، برقم (٤٧٧١)

أرسل رسولًا؛ لينظر ما هو»(١).

وعنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم؛ لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**»(٢).

ش/ تنبيه:

أخرج المصنف من وجه، والبخاري من طريق عمر بن حفص بن غياث؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغيرَ عليكم، أكنتم مصدقيّ؟** قالوا: نعم؛ ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**. فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾(٣).

قلت: فيه فائدتان:

الأولىٰ: شدة عداوة أبي لهب للنبي ﷺ مع أنه عمه، وما أنكأ عداوة القريب! قال الشاعر:

وظلم ذوي القربىٰ أشد مضاضة	علىٰ النفس من وقع الحسام المهند

(١، ٢) تقدم تخريجه. (٣) [المسد: ١، ٢].

الثانية: تفيد سورة (تبت) موت أبي لهب وزوجه علىٰ الكفر، وإيضاحه أنه لم يأتِ دليل يدل علىٰ غير ما تضمنته السورة، فمن زعم إسلامهما؛ فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

فائدة عظيمة:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله للأبعد والأقرب: «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» حتىٰ قال: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا**»، فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن؛ تبين له التوحيد وغربة الدين][(١)].

تنبيه:

فإن قال قائل: حديث الباب وما استشهدتم به من حديث أبي هريرة وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مرسلة، والمرسل علىٰ التحقيق ضعيف؛ فلم صنعتم ذلك؟

فجوابه: أن هذين الحديثين من مراسيل الصحابة، وحكمه حكم الموصول علىٰ الراجح.

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

أَمَّا الَّذِي أَرْسَلَهُ الصَّحَابِيْ ... فَحُكْمُهُ الوَصْلُ عَلىٰ الصَّوَابِ

---

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢]، ص (٢٦).

وقال في الشرح: أي: أما مراسيل الصحابة فحكمها حكم الموصول.

قال ابن الصلاح: [ثم إنا لم نَعُدَّ من أنواع المرسل ونحوه ما يسمىٰ في أصول الفقه: مرسل الصحابي، مثل ما يرويه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند؛ لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابة غير قادحة؛ لأن الصحابة كلهم عدول][1] اهـ.

قلت: قوله: «لأن روايتهم عن الصحابة» والصواب: أن يقال: لأن غالب روايتهم؛ إذ قد سمع جماعة من الصحابة بعض التابعين.



---

(١) معرفة أنواع علوم الحديث (١/ ٥٦).



الباب السادس والستون

باب: ما ينفع النبي ﷺ أبا طالب

الحديث المئة

عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

الحديث الأول بعد المئة

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه».

التخريج:

أولًا: حديث العباس أخرجه المصنف في باب: «شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه».

وقال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن أبي بكر المقدمي ومحمد بن عبد الملك الأموي؛ قالوا: حدثنا أبو عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن

الحارث بن نوفل، عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

ثانيًا: وأخرج حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في باب: «أهون أهل النار عذابًا».

وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فذكره.

- **وفيه مسألتان:**

❁ المسألة الأولى: قوله: (هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك).

وعند المصنف من وجه آخر: «قلت: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك؛ فهل نفعه ذلك؟»[(١)].

وعند البخاري من رواية مسدد: «ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك»[(٢)].

❁ المسألة الثانية: قوله: (قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار).

وعند المصنف من طريق ابن أبي عمر: «**قال: نعم، وجدته في غمرات من**

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه (١/ ١٥٩) رقم (٣٥٨).

(٢) البخاري، في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨)

النار، فأخرجته إلىٰ ضحضاح»[١].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **في هذا الباب: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه».**

وعند الشيخين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة؛ فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»**[٢].

وأخرج الشيخان - واللفظ للبخاري - عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل علىٰ أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل والقمقم»**[٣].

ش/ قال مقيده: فيحتمل أن المذكور في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه هو أبو طالب نفسه، ويحتمل أنه غيره، والله أعلم.

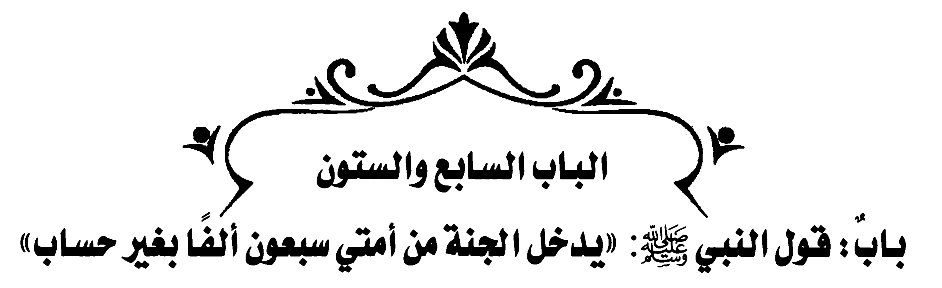


---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه (١/ ١٥٩) رقم (٣٦٠).

(٣) البخاري، في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٥) رقم (٦٥٦٢).

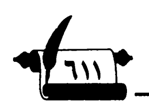


الباب السابع والستون

بابٌ: قول النبي ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب»

الحديث الثاني بعد المئة

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت: أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت. قال: فماذا صنعت؟ قلت: استرقيت. قال: فما حملك علىٰ ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، فقال: وما حدثكم الشعبي؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة»؛ فقال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «عرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم؛ فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، ولكن انظر إلىٰ الأفق. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر. فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم:



فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله شيئًا. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون.

فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة».

تخريجه:

أخرجه المصنف، في باب: «الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب».

وقال: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، أخبرنا حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير؛ فذكره.

- **وفيه سبعٌ وعشرون مسألة:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (عن حصين بن عبد الرحمن).**

ش/ هو [حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، تغير حفظه في الآخر، من الخامسة، مات سنة ست وثلاثين؛ يعني بعد المئة، وله ثلاث وتسعون ع][1].

---

(١) تقريب التهذيب (١/ ١٧٠).

❁ **المسألة الثانية: قوله: (كنت عند سعيد بن جبير).**

ش/ هو [سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة، ثبت، فقيه، من الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسىٰ ونحوهما مرسلة، قُتل بين يدي الحجاج دون المائة، سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين ع][(١)].

❁ **المسألة الثالثة: قوله: (أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة؟).**

ش/ قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [قوله: «**أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة؟**» هو بالقاف والضاد المعجمة، ومعناه: سقط، وأما «**البارحة**» فهي أقرب ليلة مضت. قال أبو العباس ثعلب: يقال: قبل الزوال رأيت الليلة، وبعد الزوال رأيت البارحة. وهكذا قال غير ثعلب، قالوا: وهي مشتقة من «برح» إذا زال، وقد ثبت في «صحيح مسلم» في كتاب الرؤيا أن النبي ﷺ كان إذا صلىٰ الصبح قال: «**هل رأىٰ أحد منكم البارحة رؤيا؟**»][(٢)].

قال مقيده: فقول سعيد بن جبير: «**أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة**» سؤال منه لجلسائه، ويبدو أنهم أكثر من واحد، وفيه دليل علىٰ أن السلف يستحبون المذاكرة في العلم، وقد يصدِّرون الجلسة بسؤالٍ، كما صنع ابن جبير.

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ٢٣٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (١/ ٣٦٦).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (قلت: أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت).**

ش/ [أراد أن ينفي عن نفسه اتهام العبادة والسهر في الصلاة، مع أنه لم يكن فيها.

وقوله: «لدغت» هو بالدال المهملة والغين المعجمة، قال أهل اللغة: يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تأبره بشوكتها][(١)] قاله النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه][(٢)].

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (فماذا صنعت؟).**

ش/ قلت: القائل هو سعيد بن جبير، والمسؤول هو الحصين بن عبد الرحمن صاحب القصة.

❁ **المسألة السادسة: قوله: (قلت: استرقيت[(٣)]).**

ش/ وقد صح في السنة أن من الرقية قراءة الفاتحة على الملدوغ؛ قال ﷺ: «**وما يدريك أنها رقية؟**»[(٤)] أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد، وله قصة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (١/ ١٣).

(٣) أي: طلبت الرقية، وهي مداواة المريض بالنفث بنحو القراءة.

(٤) البخاري، في الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب (٣/ ٩٣) رقم (٢٢٧٦).

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فما حملك علىٰ ذلك).**

ش/ والمعنىٰ: ما الذي جعلك تسترقي؟ والسؤال من سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (حديث حدثناه الشعبي).**

ش/ «حديثٌ» فاعل لفعل محذوف، والمعنىٰ: حملني علىٰ ذلك الصنيع حديثٌ... إلخ. وهذا الجواب يتضمن استدلال الحصين بن عبد الرحمن علىٰ ما صنعه من طلب الرقية.

❁ **المسألة التاسعة: قوله: (وما حدثكم الشعبي؟).**

ش/ السائل هو سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والمعنىٰ: أي شيء حدثكم الشعبي ووجدتَ فيه دليلًا علىٰ ما صنعت؟

❁ **المسألة العاشرة: قوله: (حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي).**

ش/ هو [بريدة بن الحصيب بمهملتين مصغرًا، قيل: اسمه عامر، وبريدة لقبه، أبو سهل الأسلمي، صحابي أسلم قبل بدر، مات سنة ثلاث وستين ع][1].

فائدة نفيسة:

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [كذا رواه محمد بن فضيل عن حصين موقوفًا، ووافقه هشيم وشعبة عن حصين علىٰ وقفه، ورواية هشيم عند أحمد ومسلم، ورواية شعبة عند الترمذي تعليقًا، ووصلها ابنا أبي شيبة ولكن قالا: «عن بريدة» بدل

---

(١) تقريب التهذيب (ص: ١٢١)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٨٦).

عمران بن حصين، وخالف الجميع مالك بن مغول عن حصين فرواه مرفوعًا وقال: «عن عمران بن حصين». أخرجه أحمد وأبو داود، وكذا قال ابن عيينة: «عن حصين» أخرجه الترمذي، وكذا قال إسحاق بن سليمان: «عن حصين». أخرجه ابن ماجه. واختلف فيه علىٰ الشعبي اختلافًا آخر؛ فأخرجه أبو داود من طريق العباس بن ذريح - بمعجمة وراء وآخره مهملة بوزن عظيم - فقال: «عن الشعبي عن أنس» ورفعه، وشذ العباس بذلك. والمحفوظ رواية حصين مع الاختلاف عليه في رفعه ووقفه، وهل هو عن عمران أو بريدة، والتحقيق: أنه عنده عن عمران وعن بريدة جميعًا.

ووقع لبعض الرواة عن البخاري قال: حديث الشعبي مرسل، والمسند حديث ابن عباس، فأشار بذلك إلىٰ أنه أورد حديث الشعبي استطرادًا ولم يقصد إلىٰ تصحيحه، ولعل هذا هو السر في حذف الحميدي له من «الجمع بين الصحيحين»؛ فإنه لم يذكره أصلًا. ثم وجدت في نسخة الصغاني: «قال أبو عبد الله هو المصنف: إنما أردنا من هذا حديث ابن عباس، والشعبي عن عمران مرسل» وهذا يؤيد ما ذكرته][1].

قال مقيده: فبان بهذا أن الحصين بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ استند في صنيعه، علىٰ حديث أخذه عن صحابي، وهو بريدة بن حصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فانتفىٰ الإرسال.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٥٦).

❁ **المسألة الحادية عشرة: قوله: (لا رقية إلا من عين أو حمة).**

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [بضم المهملة وتخفيف الميم، قال ثعلب وغيره: هي سم العقرب، وقال القزاز: قيل: هي شوكة العقرب. وكذا قال ابن سيده: إنها الإبرة التي تضرب بها العقرب والزنبور.

وقال الخطابي: الحمة كل هامة ذات سم من حية أو عقرب. وقد أخرج أبو داود من حديث سهل بن حنيف مرفوعًا: «**لا رقية إلا من نفس، أو حمة، أو لدغة**». فغاير بينهما، فيحتمل أن يخرج علىٰ أن الحمة خاصة بالعقرب، فيكون ذكر اللدغة بعدها من العام بعد الخاص][(١)].

قلت: فبان بهذا أن الحمة هي اللدغة الحاصلة من كل ذات سم، فيستوي فيه لدغ العقرب وغيرها، ويحمل النفي في حديث الباب علىٰ أنه لا رقية أشفىٰ أو أولىٰ، وليس المقصود النهي عما سواهما.

ويدل له ما أخرجه الشيخان - واللفظ للبخاري - عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «**باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفىٰ سقيمنا، بإذن ربنا**»[(٢)].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) البخاري، في الطب، باب رقية النبي ﷺ (٧/ ١٣٣) رقم (٥٧٤٥)، مسلم، في السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (٤/ ١٧٢٤) رقم (٢١٩٤).

❁ **المسألة الثانية عشرة: قوله: (قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع).**

ش/ والمعنىٰ: أن سعيد بن جبير أقرَّ الحصين بن عبد الرحمن علىٰ ما صنعه من الرقية؛ فقال ما قال.

وفيه دليل علىٰ أن من انتهىٰ إلىٰ سُنة؛ فلا حرج عليه، وإن كان غيره أولىٰ منه؛ لأن هذا هو مبلغ علمه، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

❁ **المسألة الثالثة عشرة: قوله: (عرضت علي الأمم).**

ش/ قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقد بيَّن عبثر بن القاسم - بموحدة ثم مثلثة وزن جعفر - في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي، أن ذلك كان ليلة الإسراء، ولفظه: «لما أسري بالنبي ﷺ، جعل يمر بالنبي ومعه الواحد...» الحديث، فإن كان ذلك محفوظًا؛ كانت فيه قوة لمن ذهب إلىٰ تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا، غير الذي وقع بمكة، فقد وقع عند أحمد والبزار بسند صحيح قال: «أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ثم عدنا إليه، فقال: عرضت علي الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي يمر ومعه العصابة» فذكر الحديث. وفي حديث جابر عند البزار: «أبطأ رسول الله ﷺ عن صلاة العشاء حتىٰ نام بعض من كان في المسجد...» الحديث. والذي يتحرر من هذه المسألة أن الإسراء الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السموات بابًا بابًا، ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سماء، ولا المراجعة معهم، ولا

المراجعة مع موسىٰ فيما يتعلق بفرض الصلوات، ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وإنما تكررت قضايا كثيرة سوىٰ ذلك رآها النبي ﷺ، فمنها بمكة البعض، ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض، ومعظمها في المنام، والله أعلم][(١)].

۞ المسألة الرابعة عشرة: قوله: (فرأيت النبي ومعه الرهيط).

وعند البخاري: «**والنبي معه الرهط**»[(٢)].

ش/ قلت: وهما بمعنىٰ، والتصغير في حديث الباب للتقليل.

والرهط: هم الجماعة دون العشرة.

۞ المسألة الخامسة عشرة: قوله: (والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد).

وفي حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم: «**وإن من الأنبياء نبيًّا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»[(٣)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[**الثانية عشرة**: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٠٧).

(٢) البخاري، في الطب، باب من لم يرقِ (٧/ ١٣٧) رقم (٥٧٥٢).

(٣) الباب الحادي والستون، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**».

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة][١]، وذكر هذه المسائل وغيرها.

❁ **المسألة السادسة عشرة: قوله: (إذ رفع لي سواد عظيم؛ فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ ﷺ وقومه).**

وعند البخاري: «**حتىٰ رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسىٰ وقومه**»[٢].

وعنده من رواية حصين بن نمير: «**ورأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي؛ فقيل: هذا موسىٰ وقومه**»[٣].

وعند أحمد: «**إذ رفع لي سواد عظيم؛ فقلت: هذه أمتي؟ فقيل: هذا موسىٰ وقومه**»[٤].

ش/ قلت: وفيه فائدة:

وهي: فضيلة موسىٰ ﷺ، وأنه أكثر الأنبياء تابعًا قبل محمدٍ ﷺ.

---

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب (١/ ١٢).

(٢) البخاري، في الطب، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، وفضل من لم يكتوِ (٧/ ١٢٦) رقم (٥٧٠٥).

(٣) البخاري، في الطب، باب من لم يرقِ (٧/ ١٣٧) رقم (٥٧٥٢).

(٤) مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١/ ٢٧١) رقم (٢٤٤٨).

❁ **المسألة السابعة عشرة: قوله: (ولكن انظر إلىٰ الأفق. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر. فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك).**

وعند البخاري من رواية عمران بن ميسرة: «**قيل انظر إلىٰ الأفق. فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك**»[(١)].

وعند البخاري من رواية مسدد: «**ثم قيل لي: انظر. فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا. فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق؛ فقيل: هؤلاء أمتك**»[(٢)].

وعند أحمد من رواية سريج: «**ولكن انظر إلىٰ الأفق. فإذا سواد عظيم، ثم قيل: انظر إلىٰ هذا الجانب الآخر. فإذا سواد عظيم، فقيل: هذه أمتك**»[(٣)].

وعند الترمذي من رواية عبد الله بن أحمد أبي حصين: «**ولكن ارفع رأسك فانظر. قال: فإذا سواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب ومن ذا الجانب، فقيل: هؤلاء أمتك**»[(٤)].

ش/ قلت: وفيه فضيلة هذه الأمة في الكم والكيف.

---

(١) البخاري، في الطب، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، وفضل من لم يكتوِ (٧/ ١٢٦) رقم (٥٧٠٥).

(٢) البخاري، في الطب، باب من لم يرقِ (٧/ ١٣٧) رقم (٥٧٥٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) جامع الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع عن النبي ﷺ، ما جاء في صفة أواني الحوض (٤/ ٦٣١) رقم (٢٤٤٦).

وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: «**إنكم وفيتم سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها علىٰ الله**»[١].

❁ المسألة الثامنة عشرة: قوله: (ومنهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب).

وعند البخاري من رواية مسدد: «**ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**»[٢].

وفي رواية عمران بن ميسرة: «**هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب**»[٣].

وأخرج المصنف من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب**»[٤].

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، واللفظ له: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا بغير حساب، فقال يزيد بن الأخنس السلمي: والله ما أولئك في أمتك إلا كالذباب الأصهب في الذبان. فقال رسول الله ﷺ: كان**

(١) سنن ابن ماجه، في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، والترمذي، في تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران (٢/ ١٤٣٣) رقم (٤٢٨٨).

(٢، ٣) تقدم تخريجه.

(٤) مسلم في الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٧) رقم (٢١٦).

ربي عَزَّوَجَلَّ قد وعدني سبعين ألفًا، مع كل ألف سبعون ألفًا، وزادني ثلاث حثيات»[(١)].

❁ **المسألة التاسعة عشرة: قوله: (ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب).**

وعند البخاري من رواية عمران بن ميسرة: «ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم»[(٢)].

وفي رواية مسدد: «فتفرق الناس ولم يبين لهم»[(٣)].

❁ **المسألة الموفية عشرين: قوله: (فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا. وذكروا أشياء).**

وفي رواية عمران بن ميسرة: «وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام؛ فإنا ولدنا في الجاهلية»[(٤)].

وفي رواية مسدد: «فتذاكر أصحاب النبي ﷺ؛ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا»[(٥)].

وعند الترمذي من رواية أبي حصين عبد الله بن أحمد: «**فقيل: هؤلاء أمتك**

---

(١) مسند أحمد، حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٢٥٠) رقم (٢٢٢١٠)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع عن النبي ﷺ (منه) (٤/ ٦٢٦) رقم (٢٤٣٧).

(٢، ٣، ٤، ٥) تقدم تخريجه.

وسوىٰ هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. فدخل ولم يسألوه ولم يفسر لهم، فقالوا: نحن هم. وقال قائلون: هم أبناؤنا الذين ولدوا علىٰ الفطرة والإسلام»(١).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[السابعة: عمق علم الصحابة؛ لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم علىٰ الخير](٢).

❁ **المسألة الحادية والعشرون: قوله: (فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه).**

وفي رواية مسدد: «فبلغ النبي ﷺ»(٣).

وعند ابن حبان: «**فخرج إليهم النبي ﷺ، فقال: ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟ فأخبروه بمقالتهم**»(٤).

ش/ والجمع بين هذه الروايات أن خوضهم بلغ النبي ﷺ، ثم لما عاد إليهم سألهم؛ لمزيد التأكد.

❁ **المسألة الثانية والعشرون: قوله: (لا يرقون ولا يسترقون).**

وعند البخاري من رواية عمران بن ميسرة: «**هم الذين لا يسترقون**». وكذا

(١، ٢، ٣) تقدم تخريجه.

(٤) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، في كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ وأخباره، ذكر عرض الله جَلَّ وَعَلَا الأمم علىٰ المصطفىٰ ﷺ (١٤/ ٣٤٠) رقم (٦٤٣٠).

في رواية مسدد[١].

وعند المصنف من رواية محمد بن سيرين عن عمران: «**ولا يسترقون**»[٢].

ش/ فبان بهذا التقرير أن رواية «**لا يرقون**» في الباب شاذة، كما قال محققه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قوله: «**ولا يرقون**» شاذة تفرد بها شيخ مسلم سعيد بن منصور، والحديث في «صحيح البخاري»، وتفصيل ذلك في موضع آخر إن شاء الله».

ومعنىٰ: «**لا يسترقون**»: أي لا يطلبون الرقية، وهذا من تمام توكلهم علىٰ الله.

قال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[في بعض روايات مسلم: «لا يرقون».

ولكن هذه الرواية خطأ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأن الرسول ﷺ كان يرقي، ورقاه جبريل وعائشة[٣]، وكذلك الصحابة كانوا يرقون.

واستفعل بمعنىٰ طلب الفعل، مثل: استغفر؛ أي: طلب المغفرة، واستجار: طلب الجوار. وهنا استرقىٰ؛ أي: طلب الرقية. أي: لا يطلبون من أحد أن يقرأ

---

(١) تقدم تخريجها.

(٢) مسلم في الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٧) رقم (٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته رقم (٤٤٣٩)، ومسلم في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث رقم (٢١٩٢).

عليهم؛ لما يلي:

أولًا: لقوة اعتمادهم علىٰ الله.

ثانيًا: لعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله.

ثالثًا: ولما في ذلك من التعلق بغير الله][(١)].

قال مقيده: ومن مزيد التفصيل في هذه المسألة ننقل لك من «تيسير العزيز الحميد»:

[والفرق بين الراقي والمسترقي في أن المسترقي سائل مستعطٍ ملتفت إلىٰ غير الله بقلبه، والراقي محسن.

قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل؛ فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم، ولا يتطيرون. وكذا قال ابن القيم؛ ولكن اعترضه بعضهم بأن قال: تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه.

والمعنىٰ الذي حمله علىٰ التغليط موجود في المرقىٰ؛ لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تام التوكل، فكذا يقال: والذي يفعل به غيره ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل تمام التوكل، وليس في وقوع ذلك من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دلالة علىٰ المدعىٰ، ولا في فعل النبي ﷺ له أيضًا دلالة؛ لأنه في مقام التشريع، وتبيين الأحكام. كذا قال هذا القائل، وهو خطأ من وجوه:

(١) القول المفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٠٢، ١٠٣).

الأول: أن هذه الزيادة لا يمكن تصحيحها إلا بحملها علىٰ وجوه لا يصح حملها عليها، كقول بعضهم: المراد: لا يرقون بما كان شركًا أو احتمله. فإنه ليس في الحديث ما يدل علىٰ هذا أصلًا. وأيضا فعلىٰ هذا لا يكون للسبعين مزية علىٰ غيرهم؛ فإن جملة المؤمنين لا يرقون بما كان شركًا.

الثاني: قوله: «فكذا يقال...» إلخ، لا يصح هذا القياس؛ فإنه من أفسد القياس، وكيف يقاس من سأل وطلب علىٰ من لم يسأل؟! مع أنه قياس مع وجود الفارق الشرعي، فهو فاسد الاعتبار؛ لأنه تسوية بين ما فرّق الشارع بينهما، بقوله: «**من اكتوىٰ أو استرقىٰ؛ فقد برئ من التوكل**». رواه أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم أيضًا. وكيف يجعل ترك الإحسان إلىٰ الخلق سببًا للسبق إلىٰ الجنان؟! وهذا بخلاف من رقىٰ أو رقي من غير سؤال، فقد رقىٰ جبريل النبي ﷺ. ولا يجوز أن يقال: إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن متوكلًا في تلك الحال.

الثالث: قوله: «ليس في وقوع ذلك من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ...» إلخ، كلام غير صحيح، بل هما سيدا المتوكلين، فإذا وقع ذلك منهما، دل علىٰ أنه لا ينافي التوكل، فاعلم ذلك][1].

۞ المسألة الثالثة والعشرون: قوله: (ولا يتطيرون).

ش/ التطير: هو التشاؤم بمرئيٍّ أو مسموع؛ فينقدح في قلب المتطير العدول عن

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٠٨، ١٠٩).

قصده بتأثير ما تشاءم منه.

❁ **المسألة الرابعة والعشرون: قوله: (وعلىٰ ربهم يتوكلون).**

ش/ التوكل في اللغة: التفويض، يقول: وكلت إليه كذا ووكلته؛ عليه أي فوضته إليه.

وشرعًا: هو اعتماد القلب علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في جلب النفع ودفع الضر.

فائدة:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال؛ وهو التوكل علىٰ الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد، الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء، والرضا به ربًّا وإلهًا، والرضا بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلىٰ التلذذ بالبلاء، وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل علىٰ من يشاء بما يشاء ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

واعلم أن الحديث لا يدل علىٰ أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا - كما يظنه الجهلة - فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، حتىٰ الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2] أي: كافيه.

---

(١) [البقرة، من الآية: ١٠٥].

(٢) [الطلاق: ٣].

إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها؛ توكلًا علىٰ الله، كالاسترقاء والاكتواء؛ فتركهم له ليس لكونه سببًا، لكن لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سببًا لشفائه بخيط العنكبوت، أما نفس مباشرة الأسباب، والتداوي علىٰ وجه لا كراهية فيه؛ فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعًا. في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**».

وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله! أنتداوىٰ؟ فقال: **نعم، يا عباد الله تداووا؛ فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، غير داء واحد.** قالوا: ما هو؟ قال: «**الهرم**» رواه أحمد][1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[فقد تضمنت هذه الأحاديث:

إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، ويجوز أن يكون قوله: «**لكل داء دواء**» علىٰ عمومه، حتىٰ يتناول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن لطبيب أن يبرئها، ويكون الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوىٰ علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليه سبيلًا؛ لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله؛ ولهذا علَّق النبي ﷺ الشفاء علىٰ مصادفة الدواء للداء؛ فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضد، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلق النبي ﷺ البرء بموافقة

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١١٠، ١١١).

الداء للدواء، وهذا قدر زائد علىٰ مجرد وجوده؛ فإن الدواء متىٰ جاوز درجة الداء في الكيفية أو زاد في الكمية علىٰ ما ينبغي نقلَه إلىٰ داء آخر، ومتىٰ قصَّر عنها لم يفِ بمقاومته، وكان العلاج قاصرًا، ومتىٰ لم يقع المداوي علىٰ الدواء، أو لم يقع الدواء علىٰ الداء لم يحصل الشفاء، ومتىٰ لم يكن الزمان صالحًا لذلك الدواء لم ينفع، ومتىٰ كان البدن غير قابل له، أو القوة عاجزة عن حمله، أو ثَم مانع يمنع من تأثيره؛ لم يحصل البُرء؛ لعدم المصادفة. ومتىٰ تمت المصادفة حصل البُرء بإذن الله، ولا بد، وهذا أحسن المحملين في الحديث.

والثاني: أن يكون من العام المراد به الخاص، لا سيما والداخل في اللفظ أضعاف أضعاف الخارج منه، وهذا يستعمل في كل لسان، ويكون المراد أن الله لم يضع داء يقبل الدواء إلا وضع له دواء، فلا يدخل في هذا الأدواء التي لا تقبل الدواء، وهذا كقوله تعالىٰ في الريح التي سلطها علىٰ قوم عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾(١) أي: كل شيء يقبل التدمير ومن شأن الريح أن تدمره، ونظائره كثيرة.

ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم، ومقاومة بعضها لبعض، ودفع بعضها ببعض، وتسليط بعضها علىٰ بعض، تبين له كمال قدرة الرب تعالىٰ وحكمته وإتقانه ما صنعه، وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر، وأن كل ما سواه فله ما يضاده ويمانعه، كما أنه الغني بذاته، وكل ما سواه محتاج بذاته.

---

(١) [الأحقاف: ٢٥].

وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا][1] اهـ.

تنبيه:

أخرج المصنف من حديث عمران زيادة «**ولا يكتوون**»، وأخرجها البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي هذه المسألة أحاديث أخرى منها:

ما أخرجه مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن كان في شيء من أدويتكم خير؛ ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار.** قال رسول الله ﷺ: **وما أحب أن أكتوي.** قال: فجاء بحجام فشرطه؛ فذهب عنه ما يجد»[2].

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار؛ وأنا أنهىٰ أمتي عن الكي**»[3].

ش/ قلت: وما أحسن ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الجمع بين هذه الأحاديث،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٢).

(٢) مسلم، في السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (٤/ ١٧٢٩) رقم (٢٢٠٥).

(٣) البخاري، في الطب، باب الشفاء في ثلاث (٧/ ١٢٣) رقم (٥٦٨١).



وما في معناها من الأحاديث في هذه المسألة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

[فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع:

أحدها: فعله.

والثاني: عدم محبته له.

والثالث: الثناء علىٰ من تركه.

والرابع: النهي عنه.

ولا تعارض بينها - بحمد الله تعالىٰ -؛ فإن فعله يدل علىٰ جوازه، وعدم محبته له لا يدل علىٰ المنع منه، وأما الثناء علىٰ تاركه؛ فيدل علىٰ أن تركه أولىٰ وأفضل، وأما النهي عنه؛ فعلىٰ سبيل الاختيار والكراهة، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفًا من حدوث الداء والله أعلم][1].

❁ **المسألة الخامسة والعشرون: قوله: (فقام عكَّاشة بن محصن).**

ش/ هو [عكاشة بن محصن بن حرثان، قيس بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين، وشهد بدرًا، وقع ذكره في الصحيحين][2].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٥٨).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥٣٣).

❁ **المسألة السادسة والعشرون: قوله: (ادع الله أن يجعلني منهم).**

وعند البخاري من رواية عمران بن ميسرة: «فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: **نعم**»[١].

ش/ والجمع بين الروايتين: أن عكَّاشة سأل النبي ﷺ أن يدعو الله أن يجعله منهم، ثم بعد جواب النبي ﷺ بقوله: «**أنت منهم**». استفسر منه مرة أخرىٰ للتأكيد، وقد يكون الباعث له علىٰ قوله: «أنا منهم يا رسول الله؟» الفرح.

وفيه فضيلة عكاشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهادة النبي ﷺ له بالجنة.

❁ **المسألة السابعة والعشرون: قوله: (ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة).**

وفي رواية مسدد وعمران بن ميسرة عند البخاري: «فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: **سبقك بها عكاشة**»[٢].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **سبقك بها عكاشة**»[٣].

---

(١) البخاري، في الطب، باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره، وفضل من لم يكتوِ (٧/ ١٢٦) رقم (٥٧٠٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مسلم، في الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٧) رقم (٢١٦).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ][1].

❋ ❋ ❋

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (١/ ١٣).



الباب الثامن والستون

باب: قول النبي ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»

الحديث الثالث بعد المئة

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحوًا من أربعين رجلًا، فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: قلنا: نعم. فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فقلنا: نعم. فقال: والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة؛ وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر».

تخريجه:

أخرجه المصنف في باب: «كون هذه الأمة نصف أهل الجنة».

وقال: حدثنا محمد بن المثنىٰ ومحمد بن بشار - واللفظ لابن المثنىٰ - قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه ست مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحوًا من أربعين رجلًا).**

وأخرج المصنف من وجه آخر: «خطبنا رسول الله ﷺ فأسند ظهره إلىٰ قبة أدم»(١).

وعند البخاري من رواية أحمد بن عثمان: «بينما رسول الله ﷺ مضيف ظهره إلىٰ قبة من أدم يمان»(٢).

وعند أحمد: «حدثنا رسول الله ﷺ بمنىٰ، وهو مسند ظهره إلىٰ قبة حمراء»(٣).

وعند ابن حبان، من رواية شيخه أبي عروبة، بحران: «بينما هو ذات يوم في بيت المال، إذ قال: خرج علينا نبي الله ﷺ ذات يوم من قبة له من أدم»(٤).

ش/ قال مقيده: والجمع عندي بالحمل علىٰ تعدد القصة.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: قلنا: نعم).**

وعند مسلم من رواية محمد بن عبد الله بن نمير: «**أتحبون أنكم ربع أهل الجنة؟ فقلنا: نعم**»(٥).

---

(١) مسلم في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١/ ٢٠١) رقم (٢٢١).

(٢) البخاري، في الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٨/ ١٣١) رقم (٦٦٤٢).

(٣) مسند أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٤٥) رقم (٤٢٥١).

(٤) الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب فضل الأمة، ذكر الإخبار عن وصف عدد أهل الجنة من هذه الأمة (١٦/ ٢٢٨) رقم (٧٢٤٥).

(٥) سبق تخريجه.

وعند البخاري من طريق أحمد بن عثمان: «إذ قال لأصحابه: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: بلىٰ»(١).

وفيه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا»(٢).

❁ المسألة الثالثة: قوله: (فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فقلنا: نعم).

وعند مسلم من رواية محمد بن عبد الله بن نمير: «فقال: أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله»(٣).

وعند البخاري من رواية أحمد بن عثمان: «قال: أفلم ترضوا أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: بلىٰ»(٤).

وعنده من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم قال: ثلث أهل الجنة. فكبرنا»(٥).

وعند المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فحمدنا الله وكبرنا»(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٤/ ١٣٨) رقم (٣٣٤٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) مسلم، في الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار» (١/ ٢٠١) رقم (٢٢٢).

❁ **المسألة الرابعة: قوله: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة).**

وأخرج المصنف من وجه آخر: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة**»(١).

وعند البخاري من رواية محمد بن بشار: «**أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»(٢).

وعنده من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا**»(٣).

وعند المصنف من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة**»(٤).

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة).**

وأخرج المصنف من وجه آخر: «**ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد**»(٥).

وعند الترمذي برواية محمود بن غيلان، وابن ماجه، برواية محمد بن بشار:

---

(١) مسلم، في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١/ ٢٠١) رقم (٢٢١).

(٢) البخاري، في الرقاق، باب كيف الحشر (٨/ ١١٠) رقم (٦٥٢٨).

(٣) البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (٤/ ١٣٨) رقم (٣٣٤٨).

(٤، ٥) سبق تخريجه.

«إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة»(١).

ش/ فيه النص الصريح علىٰ أن الجنة محرمة علىٰ الكفار، ومصداقه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٢).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر).**

ومن طريق محمد بن عبد الله بن نمير: **«ما أنتم في سواكم من الأمم، إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»**(٣).

وفي رواية هناد بن السري: **«ما المسلمون في الكفار، إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض»**(٤).

وعند الشيخين من حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«إن مثلكم في الأمم، كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقْمةِ في ذراع الحمار»**(٥).

---

(١) سنن الترمذي، صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة، سنن ابن ماجه، في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ (٢/ ١٤٣٢) رقم (٤٢٨٣).

(٢) [المائدة: ٧٢].

(٣) مسلم في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١/ ٢٠١) رقم (٢٢١).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) البخاري، في الرقاق، في باب قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] (٨/ ١١٠) رقم (٦٥٣٠)، مسلم في الإيمان، باب قوله: **«يقول الله لآدم: أخرج بعث النار»** (١/ ٢٠١) رقم (٢٢٢).

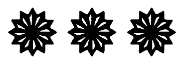
وعند البخاري من رواية عمر بن حفص: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود**»[١].

ش/ قال مقيده: والذي يظهر لي من مجموع هذه الروايات، إخباره ﷺ بأن أتباعه علىٰ دينه أقل الناس، ويؤيده رواية ابن مسعود المتقدمة: «**وما أنتم في أهل الشرك...**» إلخ.

من فقه الأحاديث:

أولًا: جواز التكبير حال الفرح؛ سرورًا بنعمة الله.

ثانيًا: من خصائص النبي ﷺ، وفضائل هذه الأمة؛ أن أكثر أهل الجنة منهم.



---

(١) البخاري، في التفسير، باب: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢] (٦/ ٩٧) رقم (٤٧٤١).

الباب التاسع والستون

باب: في قوله عَزَّوَجَلَّ لآدم: «أخرج بعث النار من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين»

الحديث الرابع بعد المئة

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين. قال: فذاك حين يشيب الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُم بِسُكَرَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]. قال: فاشتد عليهم، قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ فقال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل. قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة. فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرَّقْمَة[2] في ذراع الحمار».

---

(١) [الحج: ٢]. (٢) هي هنا: الهنة الناتئة في ذراع الدابة من الداخل، وهما رقمتان في ذراعيها.

تخريجه: أخرجه المصنف، في باب: «قوله: **يقول الله لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين**».

وقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة العبسي، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فذكره.

- **وفيه تسع مسائل:**

❁ **المسألة الأولى: قوله: (يقول الله عَزَّ وَجَلَّ).**

وعند البخاري في تفسير سورة الحج: «قال النبي ﷺ: **قال الله عَزَّ وَجَلَّ**»[١]، وكذا في الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، وفي آخرها «تعالىٰ» بدل «عَزَّ وَجَلَّ».

وفي التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٢]. «قال النبي ﷺ: يقول الله» بلا زيادة.

وعند النسائي في تفسير سورة الحج: «قال رسول الله ﷺ: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[٣].

ش/ فقد اتفقت هذه الروايات جميعها - كما ترىٰ - علىٰ أن الحديث مرفوع.

❁ **المسألة الثانية: قوله: (يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك).**

وعند البخاري في التفسير: «**لبيك ربنا وسعديك**»[٤].

---

(١) البخاري، في التفسير، باب: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] (٦/ ٩٧) رقم (٤٧٤١).

(٢) [سبأ: ٢٣]

(٣) في التفسير، باب سورة الحج (٦/ ٤٠٩) رقم (١١٣٣٩).

(٤) تقدم تخريجه.

وعند المصنف: «**لبيك وسعديك**»(١) فقط.

ش/ [وفي الاقتصار علىٰ الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضًا بتقدير الله، كالخير](٢).

قلت: وفي التنزيل الكريم: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾(٣).

❁ المسألة الثالثة: قوله: (أخرج بعث النار).

وعند البخاري في تفسير سورة الحج: «**فينادىٰ بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلىٰ النار**»(٤).

قوله: (فينادي بصوت).

كذا في التوحيد، وفي الأنبياء: (**يقول**).

وعند النسائي: «**يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لآدم يوم القيامة: يا آدم**»(٥).

ش/ قلت: وفي هذا دليل علىٰ أن المنادي هو الله جَلَّ وَعَلَا، وأنه يخاطب عبده آدم ﷺ بلا واسطة بكلام يسمعه آدم، وذلك الكلام بحرف وصوت، وهذا هو

---

(١) مسلم في الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار» (١/ ٢٠١) رقم (٢٢٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٨٩).

(٣) [الجن: ١٠].

(٤، ٥) سبق تخريجه.

مذهب أهل السنة والجماعة.

قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالته إلىٰ أهل زبيد، في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت:

[اعلموا - أرشدنا الله وإياكم - أنه لم يكن خلاف بين الخلق - علىٰ اختلاف نحلهم، من أول الزمان، إلىٰ الوقت الذي ظهر فيه ابن كُلَّاب، والقلانسي، والأشعري، وأقرانهم؛ الذين يتظاهرون بالرد علىٰ المعتزلة، وهم معهم، بل أخس حالًا منهم في الباطن - من أن الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا، ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات: إلىٰ أن قال - فالإجماع منعقد بين العقلاء علىٰ كون الكلام حرفًا وصوتًا][(١)] اهـ.

❁ **المسألة الرابعة: وقوله (إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلىٰ النار).**

وعند النسائي: «**قم فابعث من ذريتك بعث النار**»[(٢)].

وعند أحمد: «**نصيب**»[(٣)] بدل «**بعث**».

ش/ والبعث بمعنىٰ المبعوث، وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلىٰ جهة من الجهات للحرب وغيرها، ومعناه هنا: ميِّز أهل النار من غيرهم. وإنما خصَّ

(١) رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت (١/ ١١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٣٧٨) رقم (٨٩٠٠).

بذلك آدم؛ لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء؛ فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء، وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة.

❁ **المسألة الخامسة: قوله: (وما بعث النار؟).**

وعند البخاري: «**يا رب، وما بعث النار؟**»(١).

[الواو عاطفة على شيء محذوف، تقديره: سمعت وأطعت، وما بعث النار؟](٢).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، في باب كيف الحشر، من الرقاق: «**فيقول: يا رب كم أخرج؟**»(٣).

❁ **المسألة السادسة: قوله: (من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين).**

وعند البخاري في التفسير: «**من كل ألف - أراه قال - تسعمئة وتسعة وتسعين**»(٤).

وعند النسائي: «**من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**»(٥).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، المشار إليه قبل قليل: «**من كل مائةٍ تسعة وتسعين**»(٦).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٨٩).

(٣) البخاري، في الرقاق؛ باب كيف الحشر (٨/ ١١٠) رقم (٦٥٢٩).

(٤، ٥) سبق تخريجه.

(٦) مسند أحمد، مسند أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (٢/ ٣٧٨) رقم (٨٩٠٠).

قال الكرماني: [وإن مفهوم العدد لا اعتبار له؛ فالتخصيص بعدد لا يدل علىٰ نفي الزائد، والمقصود من العددين واحد، وهو تقليل عدد المؤمنين، وتكثير عدد الكافرين][1]. حكاه الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ **المسألة السابعة: قوله: (فذاك حين يشيب الصغير،** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾).

وعند البخاري: **«فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ، ولكن عذاب الله شديد»**[2].

وعند النسائي: **«فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترىٰ الناس سكارىٰ... إلخ»**.

ش/ ففي الحديث ردٌّ علىٰ القائلين: إن زلزلة الساعة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[3]؛ واقعة في الدنيا. وهم علقمة والشعبي وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي][4]. أخرجه عنهم ابن جرير في تفسير الآية.

❁ **المسألة الثامنة: قوله: (قال: فاشتد عليهم؛ قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟).**

وعند البخاري في التفسير: «فشق ذلك علىٰ الناس؛ حتىٰ تغيرت وجوههم»[5].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٩٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) [الحج: ١].
(٤) جامع البيان في تأويل آيِ القرآن (١٨/ ٥٥٩).
(٥) تقدم تخريجه.

وفي الأنبياء: «قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟[١]».

وعند النسائي: «فشق ذلك علىٰ الصحابة»[٢].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فشق ذلك علىٰ القوم، ووقعت عليهم الكآبة والحزن».

وعند الترمذي والنسائي في تفسير سورة الحج، والحاكم في الإيمان، وصححه من حديث عمران بن حصين: «فأبلس القوم حتىٰ ما أبدوا بضاحكة»[٣].

❁ المسألة التاسعة: قوله: (أبشروا؛ فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل).

وعند البخاري في التفسير: «**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد**»[٤].

وفي الأنبياء: «**أبشروا؛ فإن منكم رجلًا، ومن يأجوج ومأجوج ألفًا**»[٥].

وعند النسائي: «فدخل منزله، ثم خرج عليهم، فقال: **من يأجوج ومأجوج**

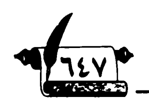
---

(١) البخاري، في أحاديث الأنبياء، قصة يأجوج ومأجوج (٤/ ١٣٨) رقم (٣٣٤٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة الحج (٥/ ٣٢٣) رقم (٣١٦٩)، وسنن النسائي الكبرىٰ، تفسير سورة الحج، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ (١٠/ ١٨٩) رقم (١١٢٧٧)، والحاكم في الإيمان (١/ ٨١) رقم (٧٨).

(٤، ٥) سبق تخريجه.



ألف، ومنكم واحد»(١).

وعند الترمذي من حديث عمران: «**فقال: اعملوا وأبشروا**»(٢).

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وقد فتح الله تعالىٰ في ذلك بأجوبة أخر؛ وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه علىٰ جميع ذرية آدم؛ فيكون من كل ألف واحد، ويقرب ذلك: أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، دون حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ](٣). قاله في شرحه لهذا الحديث في الرقاق، بعد نقله كلام الكرماني الذي قدمناه في المسألة الخامسة.

آخر شرح كتاب الإيمان من هذا المختصر، وبه تم الجزء الأول، ولله الحمد والمنة، ويليه الجزء الثاني وأوله كتاب الوضوء.



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٩٠).

فهرس الموضوعات

كتاب الإيمان